كتاب الخليج

د. محمد فارس الفارس

دراسات في تاريخ الإمارات

قراءة في الوثائق البريطانية



الخليج

دراسات في تاريخ الإمارات

" قراءة في الوثائق البريطانية "

دراسات في تاريخ الإمارات

(قراءة في الوثائق البريطانية)

د. محمد فارس الفارس

وحدة الدراسات

دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر

الشارقة ٢٠٠٣

توجه جميع المراسلات
على العنوان التالي:

وحدة الدراسات
دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر
ص.ب: ٣٠
الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٥٥٩٨٧٧٧ - ٦ - ٩٧١+
فاكس: ٥٥٩٩٣٣٦ - ٦ - ٩٧١+
Email: http://www.alkhaleej.co.ae

المحتويات

مقدمة

تعاني المكتبة العربية من نقص كبير في الدراسات التاريخية المتعلقة بمنطقة الخليج بصفة عامة، ورغم وجود كم هائل من الوثائق البرتغالية والهولندية والبريطانية، ووثائق الشركات الاستعمارية مثل شركات الهند الشرقية، والمقيميات الهولندية والبريطانية، ومراسلات الضباط ورجال السياسة، والرحالة وغيرهم، ممن أقاموا أو جابوا منطقة الخليج، إلا أن الدراسات التي تتطرق لمختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال فترة تمتد لأكثر من خمسمائة عام منذ وصول البرتغاليين لمنطقة الخليج، بقيت قليلة، ولم تستفد معظم تلك الدراسات من آلاف الخرائط التي رسمت وملايين الرسائل والتقارير التي تحدثت عن كل ما يتعلق بالخليج والجزيرة العربية.

وتعتبر الوثائق البريطانية أفضل مادة تاريخية لمؤرخي التاريخ الحديث والمعاصر، سواء لمنطقة الخليج أو الدول العربية التي كانت ضمن نطاق السيطرة البريطانية، وتتفوق على الوثائق الأوروبية الأخرى بغزارة مادتها ودقة معلوماتها، وتكتسب أهمية بالغة لدى حكومات معظم دول العالم نظراً إلى مجموعة من العوامل أهمها أنها كتبت بصفة رسمية من قبل رجال الإدارة، والساسة البريطانيين لحكومتهم، وأيضاً لأنها كتبت في وقت ومكان الحدث. كما أنها كتبت من قبل السلطة المهيمنة صاحبة القرار في المنطقة، ولكن يعيبها أنها كتبت من وجهة النظر البريطانية، إلا أن ذلك لا يقلل من

أهمية معلومات تلك المراسلات والتقارير.

وأثناء قراءتي لبعض تلك الوثائق، وجدت أنه من الضروري إطلاع القراء على بعض الأحداث التي مرت بها منطقة الخليج بصفة عامة، والإمارات بصفة خاصة، خلال فترات مختلفة من تاريخها، من خلال عرض محتويات تلك الوثائق ومناقشتها، فنشرت أربعة موضوعات في جريدة الخليج استندت في مادتها على الوثائق والرسائل المحفوظة في الأرشيف البريطاني، كان الموضوع الأول بعنوان «موقف الإنجليز من بدء التعليم النظامي في الإمارات في الخمسينات» وتطرقت في هذا الموضوع لموقف الإدارة البريطانية من التعليم النظامي الذي حل محل التعليم الديني بدءاً من عام ١٩٥٣ بمبادرة من الكويت، واعتمدت في كتابة هذا الموضوع على تقارير المعتمدين البريطانيين، ورسائلهم التي تبدي وجهة نظرهم لحكومتهم، حول المساعدات العربية، والبعثات التعليمية، التي بدأت تفد إلى الإمارات من الكويت ومصر وقطر وغيرها، والأثر الذي أحدثه التعليم في مجتمع الإمارات، واختراقه لحالة الإنغلاق التي عاش فيها هذا المجتمع عشرات السنين. وكيف كان دخول التعليم النظامي بداية لانفتاح مجتمع الإمارات على العالم العربي.

ونشرت بعد ذلك موضوعاً من عدة حلقات بعنوان «السيطرة الأجنبية على الاقتصاد وأثرها على التركيبة السكانية»، وتطرق هذا الموضوع لأثر السيطرة الأجنبية في وقتنا الحاضر على التركيبة السكانية، وكيف يقبض الأجانب، وبصفة خاصة الآسيويون، على مقاليد التجارة في الإمارات، وأثر هذه السيطرة على مستقبل الاقتصاد الوطني.

وتطرق الموضوع للجذور التاريخية لهذه السيطرة، عندما كان الآسيويون يتحكمون في اقتصاد اللؤلؤ في كل منطقة الخليج، أثناء عصر اللؤلؤ الذي انتهى في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين.

كما تطرق للتركيبة السكانية في الإمارات في أواخر القرن التاسع عشر، وفي فترات أخرى من القرن العشرين، وأثر الانهيار الاقتصادي في الثلاثينات على سكان الإمارات الذين عملوا كأجراء أثناء فترة ازدهار اللؤلؤ، ودخلوا في دوامة الديون المعقدة مع مموليهم الآسيويين بعد الأزمة الاقتصادية، ومشابهة ذلك الوضع لما يحدث الآن.

وتطرق الموضوع لأهم افرازات ذلك الوضع والذي تمثل في نزوح سكان الإمارات من بلدهم في موجات هجرة مكثفة، خلال فترة الأربعينات والخمسينات إلى دول الخليج الأخرى.

أما الموضوع الثالث فكان بعنوان «الإدارة البريطانية في منطقة الخليج» واشتمل هذا الموضوع على إعطاء نبذة عن الإدارة البريطانية في الهند، ودور نائب الملك في حكومة الهند البريطانية في الإشراف على شؤون الخليج، وتعيين إدارة خاصة بمنطقة الخليج تمثلت بمناصب المقيمين، والضباط السياسيين، والمعتمدين البريطانيين، والوكلاء المحليين، ودور هؤلاء في صنع الأحداث التي مرت بها المنطقة طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، كما تطرقت الحلقات إلى بداية التوثيق البريطاني لأحداث المنطقة منذ إنشاء شركة الهند الشرقية البريطانية في أوائل القرن السابع عشر.

أما الموضوع الرابع فكان بعنوان «رسائل الحكام والتجار المحفوظة في الأرشيف البريطاني» واشتمل هذا الموضوع على عرض لمجموعة من رسائل الحكام والتجار التي تم تبادلها بين كل من الحكام والتجار والإدارة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وتعبر محتويات تلك الرسائل عن حقيقة الأوضاع الاقتصادية المتردية في تلك الفترة، وآثار الكساد الاقتصادي في الثلاثينات، ثم تأثيرات الحرب العالمية الثانية، وما تبعها من إجراءات تقشفية قامت بها السلطة البريطانية لمجمل منطقة الخليج، وتعتبر تلك الرسائل بمثابة المخطوطات التي تعبر عن وجهة النظر المحلية، في مقابل وجهة

النظر البريطانية التي تعبر عنها الوثائق البريطانية، كما أنها تساعد الباحثين في تكملة معلومات الوثائق البريطانية حول الأوضاع في المنطقة.

لقد تفضلت جريدة الخليج بنشر هذه الموضوعات في كتاب ليسهل على المهتمين بدراسة تاريخ الإمارات والخليج الوصول للمعلومة بسهولة، والاستفادة من المادة المكتوبة ومصادرها، متمنيا أن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة التاريخية، وسيتبع هذا الكتاب الذي سمي «دراسات في تاريخ الإمارات» أجزاء أخرى في المستقبل بإذن الله.

محمد فارس الفارس

موقف الإنجليز من بدء التعليم النظامي في الإمارات في الخمسينات



أول دفعة من طلاب القاسمية عام ١٩٥٣

(١)

مخاوف الإنجليز من التعليم

في تقرير له عام ١٩٥١، كتب المقيم السياسي البريطاني في الخليج روبرت هاي يقول بأن «بدء التعليم النظامي في كل من قطر والكويت والبحرين سيؤدي إلى نشوء روح مضادة لبريطانيا بين المتعلمين، أما الإمارات فهي على درجة من البدائية تفرض علينا الإبقاء عليها تحت إشرافنا المباشر كمحميات مستعمرة لأطول فترة ممكنة»[١]، ويعبر هذا الكلام الواضح عن موقف الإدارة البريطانية من التغيرات الاجتماعية التي بدأت تطرأ على منطقة الخليج في تلك الفترة، وأهمها بدء التعليم النظامي وحلوله محل التعليم الديني التقليدي، وكانت كل من الكويت والبحرين وقطر قد سبقت الإمارات في بدء التعليم النظامي، وفي حين تشير كلمات هاي إلى دق ناقوس الخطر القادم إلى الدول المذكورة، يرى أن ما يجب اتباعه مع الإمارات هو أن تبقى على ما هي عليه من تخلف وجهل من خلال الإشراف المباشر للسلطة البريطانية لأطول فترة ممكنة، ويبدو القلق البريطاني واضحا بسبب التقارير التي بدأ المقيمون البريطانيون بكتابتها في تلك الفترة عن تأثير التعليم في تلك المجتمعات، ودور المعلمين العرب في نمو الوعي السياسي لأبنائها، وما يمكن أن ينتج من تطورات فيما بعد إذا استمرت الأمور كما هي، ولا شك أن المخاوف البريطانية لم تأت من فراغ، فالتعليم من شأنه أن يخلق وضعا جديدا في المجتمع على النقيض تماما من وضعه السابق، وسنرى فيما بعد كيف أن تلك المخاوف كانت على درجة كبيرة من الصحة. ويأتي وصف هاي لمجتمع

الإمارات بالبدائية معبرا عن حقيقة الوضع في تلك الفترة، وما أصبح عليه مجتمع الإمارات من بدائية نتيجة الفقر والجهل والانغلاق الذي فرضته بريطانيا، كما تعبر كلمات مستر هاي عن الرغبة البريطانية في استمرار الاوضاع دون تغيير.

وفي حين وجدت الادارة البريطانية ان هذه الأوضاع باتت مرشحة للتغيير، رأت انه من الضروري التكيف مع هذه المستجدات بدلا من الوقوف في وجهها.

زيارة أول بعثة كويتية للإمارات عام ١٩٥٣

بدأ التعليم النظامي في الإمارات أو إمارات الساحل كما كانت تسمى في ذلك الوقت بشكل فعلي عام ١٩٥٣ أي بعد سنتين من تقرير هاي، وهذا أيضا يعطينا صورة واضحة لسرعة التغيرات التي بدأت تفرض نفسها على المنطقة، وتشير الوثائق البريطانية إلى انه في مارس عام ١٩٥٣ زارت أول بعثة كويتية الإمارات برئاسة مدير المعارف الكويتية عبدالعزيز حسين بناء على طلب من الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة، وعرض الوفد الكويتي الذي قام بزيارة الحكام إرسال عدد من أبناء الإمارات للكويت لإكمال تعليمهم هناك، إلا أن الحكام الذين رحبوا بتلك الزيارة، اقترحوا بدلا من ذلك أن تقدم الحكومة الكويتية دعما ماليا لإنشاء مدارس في الإمارات أو إرسال عدد من المعلمين لتدريس الطلاب في الإمارات بدلا من اضطرارهم للاغتراب عن أهلهم سنوات طويلة ربما تؤدي إلى انسلاخهم عن مجتمعهم، وتعهد عبدالعزيز حسين بمحاولة إقناع الحكومة الكويتية بهذا الاقتراح[٢].



مدرسون مواطنون شاركوا زملاءهم المدرسين العرب في بداية التعليم النظامي ويبدو في الصورة من اليسار:
جاسم سيف المدفع، عبدالله القيواني، مصطفى طه، محمد دياب الموسى، صالح الخطيب (١٩٥٤م)

وصول المدرسين من الكويت

ذكر لي محمد دياب الموسى الذي حضر كأحد أعضاء البعثة التعليمية الكويتية عام ١٩٥٤ ، في مقابلة أجريتها معه، إن بعض العائلات كانت ترسل أبناءها في تلك الفترة إلى السعودية والكويت وقطر ليتلقوا تعليمهم هناك، ولا شك إن الاقتراح بإرسال معلمين إلى الإمارات سيكون افضل بكثير من انتقال طلاب صغار السن إلى بلد آخر بعيداً عن ذويهم، وكان كثير من العائلات قد انتقلت إلى دول الخليج الأخرى للعمل هناك في فترة الخمسينات نتيجة لتوفر فرص العمل، وألحقوا أبناءهم بمدارس تلك الدول مما أوجد حركة هجرة واسعة من الإمارات في تلك الفترة.

- 4 -

Relations with Persia.

19. Information has been received that the Persians propose to send troops to certain islands in the Gulf including Tamb and Abu Musa which we regard as belonging to Ras al Khaimah and Sharjah respectively. Arrangements have been made for these islands to be watched by naval and air patrols.

Relations with the Arab League.

20. The Secretary-General of the League and some of his staff were in Dhahran at the end of the month and we were told that they intended visiting Bahrain but they have not yet turned up here. The Ruler of Kuwait has been asked to consult us about any communications received from the Arab League and although he agreed to consult us on political matters he apparently does not consider that he is under any obligation to do so in economic and [illegible] affairs. He told the Political Agent about the request he had received to boycott Israel, cf. paragraph 10 of my last monthly letter and said that he had replied that Kuwait would not become a "bridge for trade to Israel".

Relations with India.

21. On the 15th of the month Shri Tara Chand, the Indian Ambassador at Tehran, landed for a few hours from the B.I. steamer m.s. "Dara" and signed the treaty between Muscat and India which was last referred to in paragraph [illegible] of my monthly letter for August, 1952.

Education.

22. A delegation from the Kuwait Education Department, headed by Abdul Aziz bin Hassan, Director of Education, visited the Trucial Coast from the 17th to the 21st and stayed with Shaikh Saqr of Sharjah. They visited all the Rulers except Abu Dhabi and Fujairah during their stay and discussed with them the possibility of educating students from the Trucial States in the Kuwait schools. Shaikh Saqr, not liking the idea of sending young boys to Kuwait for an education which would last ten years and in all probability turn them into Kuwaitis, a view which is shared by the other Rulers, suggested that the Kuwait Government should instead provide money to build schools in the Trucial States, or else send one or two teachers here. Abdul Aziz undertook to try and persuade the Kuwait Government to agree to this, but was not confident that he would succeed.

وجدت مقترحات إرســـال المعلمين إلى الإمارات صدرا رحبا من الكويتيين الذين وافقوا على الفور على إرسال أول بعثة تعليمية إلى الشارقة وهي أيضا أول بعثة تعليمية للإمارات وذلك في نوفمبر عام ١٩٥٣، وكانت هذه البعثة تتكون من مدرسين اثنين هما مصطفى يوسف طه وأحمد قاسم البوريني وهما فلسطينيا الجنسية، وقبل أن نكمل استعراضنا للوثائق، سنأخذ فكرة عن تلك البعثة من خلال حديثنا مع أحد أفرادها وهو مصطفى طه الذي قمت بمقابلته عام ١٩٩٣ وتحدث لي عن تلك التجربة بإسهاب وأمدني بمجموعة من الصور الفوتوغرافية التي تصور مختلف جوانب الحياة في تلك الفترة.

يقول طه انهم قدموا للتدريس في الشارقة، وبدؤوا العمل في مدرسة كانت قائمة أصلا وتدرس العلوم الدينية وهي مدرسة الإصلاح التي أسسها محمد بن علي المحمود وكان يُدرّس بها مجموعة من المدرسين المواطنين، واصبح طه مديراً للمدرسة ومدرساً في الوقت نفسه.

تحدث لي طه عن صعوبة الحياة في تلك الفترة وكيف عانوا من التكيف مع

الحياة الصعبة التي لا يوجد بها أي مظهر من مظاهر الرفاهية بالإضافة إلى عدم توفر أي نوع من الخدمات، وقد تحمل هؤلاء المدرسون الحياة الصعبة وقبلوا مشاركة أبناء الإمارات ظروفهم القاسية، وتعبر هذه التضحيات عن طبيعة العلاقات التي كانت تسود الشعوب العربية في تلك الفترة.

ومن دون الخوض في التفاصيل الأخرى، يهمنا معرفة الجهود الكويتية في إيصال التعليم للإمارات، فقد أرسلت الحكومة الكويتية قبل وصول البعثة المقاعد والكتب والقرطاسية والأدوات الرياضية، وكانت المدرسة تضم ما بين ٢٥٠ ـ ٣٠٠ طالب وطالبة في العام الدراسي الأول، وفي العام التالي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ أرسلت الكويت معلمة فلسطينية لتدريس الطالبات هي شريفة البعباع، وشرح لي طه كيف تكاتف المواطنون في تلك الفترة لإنجاح هذه التجربة الجديدة كما أبدى بعض المدرسين المواطنين الذين كانوا يدرسون في المدرسة الدينية استعدادهم للعمل ضمن طاقم التدريس الجديد، وانضم بعضهم إلى المدرسة الجديدة [٣].

وعبرت هذه التجربة، عن روح التعاون بين الجميع، سواء الحكومة الكويتية، أو المدرسين العرب، الذين قبلوا بكل طيبة خاطر العمل في منطقة نائية لا توجد بها أدنى مستويات العيش المريح، أو المواطنين الذين رحبوا بحماس بقدوم التعليم إلى منطقتهم والذي كان سبباً رئيسياً في التغيير الذي شهده مجتمعهم.

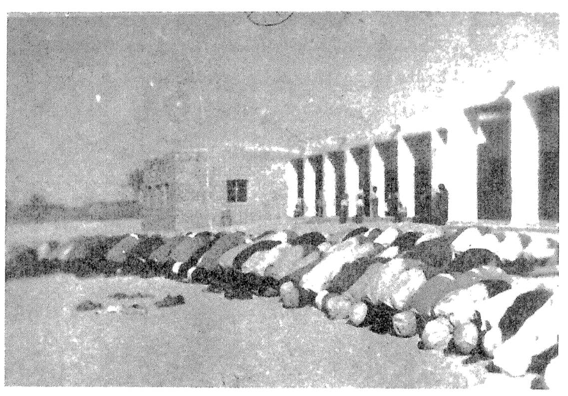
الهامش:

(1) Hay, Jan 29, 1951. Records of the Emirates, Vol. 9, PP. 77 - 79.

(2) April 15,1953, Political Diaries of the Persian Gulf, Vol. 19,P.424

(٣) مقابلة مع مصطفى يوسف طه في مايو ١٩٩٣.

(٢)



طلاب القاسمية يؤدون الصلاة أمام مبنى المدرسة المتواضع الذي أقامته الحكومة البريطانية عام ١٩٥٤م

المحاولات البريطانية الفاشلة في تقديم المساعدات

لم يقدم الإنجليز طوال فترة وجودهم في الإمارات التي امتدت لأكثر من ١٥٠ عاما أية مساعدات تذكر وخاصة خلال فترة ما قبل الخمسينات من القرن العشرين، ولكن مع التغيرات السياسية التي بدأت تعم مختلف أرجاء الوطن العربي منذ بداية الخمسينات وخاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر، وما أحدثته هذه الثورة من صحوة عند العرب، رأت الإدارة البريطانية ضرورة مسايرة

المستجدات ومنح بعض المساعدات لتلك الإمارات الفقيرة التي لا يوجد بها أي نوع من الخدمات. وعلى الرغم من ضآلة تلك المساعدات، إلا أن السلطات البريطانية كانت حريصة على إبرازها من خلال الدعاية التي تبثها الإذاعات التابعة لها. واستطاعت المساعدات الكويتية السخية التي بدأت بالتعليم إفشال المحاولات البريطانية التي كانت تريد إثبات أن مساعداتها بدأت تغير مجرى الحياة في الإمارات. وكان هذا الحماس الكويتي دافعا لبقية الدول العربية لتحذو حذوها. فقامت مصر بإرسال بعض المدرسين والأطباء، ولم يكن أمام الإنجليز لمواجهة هذا المد القوي، سوى مجاراته، فأبدت الإدارة البريطانية رغبتها في المساهمة بتطوير التعليم النظامي بمساعدة أول مدرسة نظامية في الإمارات، فقامت بوضع حجر الأساس لإقامة أربع غرف تدريس وغرفة لإدارة تلك المدرسة التي أصبح اسمها في ذلك الوقت مدرسة القاسمية، ويشير تقرير المقيم البريطاني إلى أنه «يؤمل أن ينتظم الطلاب في تلك المدرسة في موعد افتتاح المدارس في أكتوبر ١٩٥٥»[1] ويمكن لقارئ الوثائق البريطانية أن يلاحظ مدى اهتمام الإنجليز بدخول التعليم للإمارات من خلال تقاريرهم التي بدأت تشير إلى مختلف الأحداث منذ افتتاح أول مدرسة نظامية عام ١٩٥٣، ومن ضمن ما اهتمت به التقارير، الاتفاق الذي تم بين حاكم الشارقة والمسؤولين المصريين خلال زيارته للقاهرة في

UK policy towards the Trucial States 165

(1041/2/55)

Despatch No.: 123

CONFIDENTIAL

BRITISH RESIDENCY,
BAHRAIN
November 8, 1955.

Sir,

I have the honour to transmit herewith a copy of a Despatch from Her Majesty's Political Agent, Trucial States in which Mr. Tripp examines Her Majesty's Government's policy towards the internal development of the Trucial States.

2. It is, of course, no new idea that we should give practical evidence of our interest in the material welfare of the Trucial States. I feel however that we shall have hence forward to adopt a somewhat bolder approach to this problem. The Trucial Coast is the only British protected territory in the Gulf where oil has not yet been found in commercial quantities. In present circumstances, its poverty, backwardness and lack of political cohesion undoubtedly constitute a weakness in the position which we hold here. In the first place, as Mr. Tripp points out, there is already the real danger of Egyptian encroachment in the guise of cultural and technical assistance perhaps backed by Saudi money. This is a development which is not confined to the Trucial Coast, and I shall report separately on the increase of Egyptian influence in the Persian Gulf generally. In the second place, the recent resumption of authority by the Ruler of Abu Dhabi in the frontier areas in dispute with Saudi Arabia (which occurred after Mr. Tripp's Despatch had been drafted) has perhaps made it more

The Right Honourable Harold Macmillan, M.A., M.P.,
Her Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs,
Foreign Office,
London, S.W. 1.

difficult/

القلق البريطاني من العون المصري في الخمسينات

أكتوبر ١٩٥٥ ، وموافقة المصريين على إرسال مجموعة من المعلمين والأطباء، وقد نصحت الحكومة البريطانية مسؤوليها في المنطقة بضرورة توخي الحذر من الانعكاسات السياسية لهذه الخطوة، ولكن الإنجليز الذين بدأوا يراقبون هذه التطورات عن كثب عبروا عن عجزهم عن إيجاد بدائل لهذه المستجدات، فيذكر نفس التقرير أن «الموقف البريطاني ضعيف لأن بريطانيا لا تملك تقديم بديل آخر لهذا الاتفاق»[٢].

نستطلع رأيا آخر للمقيم البريطاني في الخليج مستر بورروز عام ١٩٥٥ حيث يقول «أن تخلف هذه المنطقة وفقرها وافتقارها لرؤية سياسية يمثل نقطة ضعف لموقفنا في المنطقة» ويتابع «ففي المقام الأول هناك الخطر المصري الذي يتخفى في



الشيخ عبدالله السالم الصباح يتجول في خور دبي أثناء زيارته لدبي عام ١٩٦٠ مع بعض مرافقيه من الكويت وبعض أعيان دبي، منهم مرشد العصيمي ممثل الكويت في الإمارات، وأحمد الموسى مدير مكتب الشيخ راشد

صورة عون ثقافي وفني. وربما كان الخطر المصري مدعوما من قبل السعودية التي تزود مصر بالمال. وهذا التطور ليس قاصرا على الإمارات فقط، فقد ثبت تنامي النفوذ المصري في منطقة الخليج ككل» [٣].

وهنا يبدأ الربط بين الثورة المصرية، وانفتاح مصر على العالم العربي، وبروزها كقائد من خلال زعيمها جمال عبدالناصر الذي بدأ يبث خطبا حماسية لكل العرب، تدعوهم للثورة ضد المستعمرين. ووصول هذا التأثير لمختلف مناطق السيطرة البريطانية ومنها الإمارات، وبدأت خطب عبدالناصر تثير حفيظة الإنجليز كما أخذت تقاريرهم تعبر عن هذا القلق. لنتابع مع بوروز الذي يطرح تساؤلات في تقريره عن كيفية معالجة تلك المشكلات الجديدة ومدى تأثيرها في المستقبل، يقول «من هذه الخلفية ينبغي علينا أن نعالج مشاكل تطور الإمارات بانتهاج سياسة بعيدة المدى واكثر فاعلية مما نقدمه الآن من إعانات سنوية لهذا الغرض» [٤].

ويضرب بوروز على الوتر الحساس عند الإدارة البريطانية وهو موضوع المساعدات المالية التي تصرف بتقتير شديد تصاحبها دعاية أكبر من حجمها، وبالطبع يقصد بالسياسة بعيدة المدى تلك التي ستنشأ كمنافس يلجم الاندفاع العربي ويحاصره نتيجة اعتمادها على مساعدات ثابتة وكبيرة بدلا من المساعدات السنوية الضعيفة. لنكمل مع بوروز «إن زيادة في المعونات الفنية التي تقدمها الحكومة البريطانية، أو تلك التي ستقدم من مصادر محلية في المستقبل ستكون محدودة الفائدة ما لم يرافقها تطور إداري ملموس، ويحدد هذا التطور وقوفنا على الدخل الحقيقي للإمارات، وتسخير هذا الدخل للمواطنين» [٥].

ولكن ما هو التطور الإداري الملموس الذي ينشده المسؤولون البريطانيون في منطقة تقتصر إدارتها عليهم، لو دققنا في كلام بوروز سنلاحظ أن الإنجليز وضعوا نصب أعينهم بعد فشلهم في إقناع حكومتهم بزيادة مساعداتها، على استغلال الدخل المحلي لأقصى ما يمكن، وذلك بمعرفة «الدخل الحقيقي»، أي مجمل الدخل

ومصادره، وكان هذا هو الخيار الوحيد لتطوير المنطقة في ظل عدم وجود خيارات أخرى.

يتابع بوروز «بدون معرفة الإحصاءات الحقيقية للدخل والمصروفات لا نستطيع أن نبدأ برامج التطوير المقررة في المنطقة»[٦].

أي أن الإنجليز قرروا أن يطوروا الإمارات من دخلها، ولكن أين هو هذا الدخل، ولو كان هناك دخل، لماذا لم يستغل قبل الآن. ولكن هذه لم تكن سوى محاولات يائسة لإيجاد مخرج لمأزق الدخول العربي إلى الإمارات عبر المساعدات.

الهوامش:

(١) دار المقيم البريطاني، البحرين، ١٥ أغسطس ١٩٥٥، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٢، ص ٤٨٣.

(2) Gault, Political Diaries of the persian Gulf, Vol. 20, P. 58.

(3) Burrows, Nov, 1955, Records of the Emirates, Vol. 9, PP. 105 - 106.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

(6) Ibid.



شريفة البعباع أول معلمة ضمن البعثة الكويتية مع أول دفعة من الطالبات

آراء المسئولين البريطانيين حول بدء التعليم في الإمارات

على الرغم من الأماني البريطانية بوجود دخل يغطي مصاريف المشاريع المزمع اقامتها في الامارات، الا انهم كانوا يعرفون حقيقة الأوضاع، وان الامارات

فقيرة، ولا يوجد بها موارد كافية لتلك المشاريع، وفي الوقت الذي كان الانجليز يحجمون فيه عن التمويل، كانوا في الوقت نفسه يحاولون ايجاد دول اخرى مستعدة للدفع، على ان لا تكون احدى الدول العربية الثورية، وكانت الكويت التي بدأت بتطوير مختلف المرافق وخاصة التعليم، هي الخيار الوحيد، ولم تكن الكويت مصدر خوف للادارة البريطانية في اي وقت من الأوقات، الا ان الخوف اصبح ممن بدأت تبعثهم من المدرسين العرب الذين كانوا اما فلسطينيين او مصريين، ووجدت الادارة البريطانية ان افضل السبل لاستمرار العملية التعليمية وبنفس الوقت ضبطها هو ان تصرف الكويت، وان يشرف الاثنان على التعليم، أي الانجليز والكويتيون، وفي تقرير اعده ميور ممثل المجلس الثقافي البريطاني عام ١٩٥٥، يقول: «اننا سعداء الحظ لأننا وجدنا بلدا مثل الكويت مستعد لتحمل مسؤولية نفقات التعليم الاضافية، وقد تكون قطر مستعدة للقيام بنفس الدور مستقبلا، وقد ناقشت هذه القضية مع مدير التعليم الكويتي الذي ذكر ان الكويت مستعدة لتحمل النفقات، وبنفس الوقت فان مثل هذا الدعم سيعطي كلا الجانبين الحق في الرقابة والتفتيش»[١]. ويضيف «ان التفتيش والمراقبة تعتبر امورا بالغة الاهمية ليس للتأكد من ان المدارس تدار بطريقة علمية فحسب، وانما للتأكد من ان المدارس تقدم مساعدة لازمة لاحداث تطور حقيقي في المنطقة»[٢].

ولا يمكن تصديق ان الانجليز كانوا حريصين على احداث تطور

Education 635

Extract from Mr. Muir's report on Education in the Trucial States

December 7, 1955

Reasons for Recommendation

The political arguments in support of setting up schools are not my business. However, an effective way of increasing the wealth of this poor area lying on the fringe of the wealthy oil world is undoubtedly to increase the earning power of its inhabitants. With primary education and some trade-skill they would earn much more in the oil fields and towns of Kuwait, Bahrain, Qatar, Dhahran etc., and most of their earnings would be sent back to benefit their area. Further, if they were able to keep motor vehicles on the roads for longer periods, to maintain their own pumping and diesel machinery, do their own fitting and wiring, joinery, etc., their real wealth will be greater.

We are extremely fortunate in having a state like Kuwait prepared so generously to shoulder the annual expenses involved - later on Qatar may be prepared to help. I have already discussed this question with the Director of Education here, who, though he was careful to mention he could not answer for the Education Committee, said he thought his department would be prepared to take on the extra burden involved. Naturally such support would give both parties the right to inspection.

Inspection will be very necessary, not only to see that the schools are run efficiently from a technical point of view, but also to see that they help towards a peaceful evolution of the area.

Education may be very dangerous for so backward an area, and, if not carefully watched, lead to much [illegible] happiness; to teach a man to read is to open his mind, not only to knowledge, but also to propaganda. This, however, is not a strong argument against education nowadays, when the wireless is so powerful.

In any case there is no longer any choice in the matter; the demand for education is already insistent. Paradoxically it appears to be strongest among the very people who have most to fear from it, the Shaikhs. Already several of them have reserved excellent sites for projected schools; I was most careful not to raise their hopes. I do not think this is just a fashion and desired only for the prestige it confers. There is probably a deep, almost unconscious, realisation that if they do not succeed in getting the facilities themselves and keeping some sort of control over the personnel and teaching programmes, the people will get education from anyone else prepared to give it for personal and unscrupulous reasons. I met surprisingly many of their subjects who clearly realised the material benefits conferred by education, and who are keen enough on learning English to organise night classes with Indians as teachers.

For these reasons, and in spite of the almost complete lack of suitable teachers - a lack that makes any kind of expansion more expensive than it would otherwise have been - I believe that we should help the Trucial States to set up at least the schools I have recommended. These are very modest indeed in relation to the needs of the country and leave the girls unprovided for.

تقرير ميور عن التعليم

حقيقي كما يقول ميور في الوقت الذي كانوا يحاولون بشتى الطرق ابقاء الأوضاع على ما هي عليه، ثم اذا كانت المدارس لا تحدث التطور، ما هي اذا الجهات التي من الممكن ان تقوم بذلك، ولا شك ان كلمات ميور تعني ان المطلوب من المدرسين تأدية واجبهم دون الخوض في الأمور السياسية، وحتى التعليم بحد ذاته كان شيئا مرفوضا، وكان بدؤه بشكله النظامي الجديد مفاجأة غير سارة.

لنكمل التقرير ونرى ما يقوله ميور: «قد يشكل التعليم خطورة كبيرة في منطقة متخلفة كهذه. واذا لم تتم مراقبته عن قرب، فقد يؤدي الى كثير من البلبلة والمشكلات لأن معنى ان تعلم شخصا القراءة، ان تزيد عقله تفتحا ليس للمعرفة فحسب، وانما للتعامل مع الدعاية المضادة بنفس المستوى».

ويضيف ميور الذي يقول كلاما واضحا لا لبس فيه «في كل الحالات لم يعد امامنا خيار في هذا الأمر، فالرغبة في التعليم في تزايد مستمر، ومن المفارقات ان هذه الرغبة كانت اقوى بين اولئك الذين يهابون التعليم، فقد حصل كثير من هؤلاء على مواقع ممتازة لاقامة مدارس عليها، وقد كنت شديد الحرص على ان لا اخيب آمالهم، ولا اعتقد ان الرغبة في اقامة هذه المدارس كانت مجرد نزوة او مجاراة للموضة، فقد كان هناك اصرار عميق على الحصول على التسهيلات من اية جهة مستعدة لتقديمها اذا لم يستطيعوا توفيرها بأنفسهم» [٣].

نمو مدرسة القاسمية وانتشار التعليم

أخذت مدرسة القاسمية بالشارقة تنمو شيئا فشيئا، وفي عام ١٩٥٥ اي بعد سنتين من بدايتها، كانت المدرسة قد رسخت قواعدها وطلب من اهالي الطلاب الذين كانوا قد ارسلوا ابناءهم للدراسة في الكويت، ارجاعهم للشارقة والحاقهم بالمدرسة. واصبحت المدرسة مكانا لحياة جديدة غير مألوفة من قبل، تجمع حولها الجميع، وتبشر بإحداث تغيير وتطور كبيرين لمجتمع ظل سنوات طويلة مغلقا ومتخلفا، ولنتبين مدى تأثير تلك المدرسة على مجتمع امارة الشارقة، لنتابع ما يقوله محمد دياب الموسى ناظر المدرسة في ذلك الوقت «اصبحت مدرسة القاسمية

تقوم بوظائف متعددة. واصبح تفاعلها مع مجتمع الامارة لا ينحصر في تعليم الطلاب فقط، وإنما اصبح هناك ربط بين كل من المدرسة والطلاب وذويهم، وبدأت ملامح التغيير في المجتمع تتضح يوما بعد آخر»، ويتابع «اصبح ابناء الامارة يستمعون الى اذاعة صوت العرب واذاعة لندن ويتفاعلون مع الاحداث، وبدأ الطلاب يتحرشون بالانجليز وبالقاعدة البريطانية الموجودة بالشارقة، وكان تفاعل المدرسين مع الطلاب كبيرا، فالمدرس موجود مع الطالب طوال اليوم، وكان



رحلة لمدرسة القاسمية إلى الذيد عام ١٩٥٤م، بصحبة بعض المدرسين وهم من اليسار لليمين: مصطفى طه، محمد العيسوي (بالنظارة)، محمد دياب الموسى (وسط)، عبدالله القيواني

الطلاب جميعهم يشاركون في الانشطة حيث كان هذا هو المتنفس الوحيد لهم»[٤].

ويبدو ان اندفاع المواطنين للتعليم لم يقتصر على ابنائهم، وانما شمل الكبار ايضا، حيث أصبح البعض منهم يتوق لتعلم اللغة الانجليزية ربما للعمل في القاعدة البريطانية التي كان العمل بها في ذلك الوقت شيئا مميزا.

يقول ميور في تقريره: «ان المواطنين كانوا على استعداد للحصول على

التعليم بأي ثمن، وقد قابلت عددا من هؤلاء الذين أبدوا تفهمهم التام للفائدة المادية التي يحصلون عليها من تعلم اللغة الانجليزية حتى وان اضطرهم الأمر الى استخدام الهنود في فصول ليلية لتعلم اللغة الانجليزية» (٥).

بعد افتتاح مدرسة الشارقة، بدأ التعليم ينتشر في بقية الامارات، وتشير الوثائق البريطانية الى افتتاح مدارس جديدة في دبي وغيرها من الامارات، وافتتحت أول مدرسة في ابوظبي عام ١٩٥٦، كما ازداد توافد المدرسين العرب للامارات، ويمثل عام ١٩٥٦ نقطة تحول مهمة في التغيير الذي احدثه التعليم في الامارات، وبدا تأثير المعلمين العرب واضحا للعيان، ويشير تقرير المقيم البريطاني عام ١٩٥٦ إلى ان «أكثر الامارات تقدما وهما الشارقة ودبي اصبحتا معرضتين لتأثير المعلمين العرب الذين يعملون في المدارس، وتأثير احداث الشرق الاوسط بصورة معادية ومضرة بمصالح بريطانيا» (٦)، ويقصد باحداث الشرق الاوسط تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر، وسنتناول لاحقا تأثير هذه الأحدث على الامارات.

ويبدو ان الانجليز كانوا يجدون صعوبة في ايقاف او على الاقل السيطرة على التغيرات السريعة التي بدأت تحدث في الامارات، كما ان الرغبة في التعليم بدأت تتغلغل في المجتمع وتجد صداها لدى قطاع كبير من السكان، لنتابع ما يقوله التقرير «التعليم مرغوب وباندفاع شديد، فضلا عن انه الوسيلة الوحيدة لتوفير قياديين مقتدرين، ولكن حتى الآن لم توفق السلطات البريطانية في ايجاد الاسلوب الأمثل لتنفيذ خطة تعليمية دون ان يكون ذلك مدخلا لأفكار ومعتقدات تضر بوضع بريطانيا في المنطقة» (٧).

في تلك الفترة كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر قد الهبت مشاعر الجماهير المتحمسة في انحاء الوطن العربي حيث كانت معظم الدول العربية حتى ذلك الوقت تحت نير الاستعمار، وتبدو المصادفة مثيرة بدخول التعليم النظامي وقدوم المدرسين العرب للامارات مع بداية المد القومي الذي اجتاح الوطن العربي والمناداة بمناهضة وطرد المستعمرين، ويبدو ان الاحداث المتسارعة في الشرق الاوسط وخاصة تأميم قناة السويس كانت الاكثر حدة واثارة بالنسبة للدول

المستعمرة وأهمها بريطانيا، حيث حرك ذلك الحدث، الجماهير العربية في كل مكان، ويعبر عن هذه التأثيرات تقرير آخر لعام ١٩٥٦ حيث يقول ان «الاحداث المثيرة في الشرق الاوسط، وفي بعض دول الخليج حركت المنطقة وشجعت العناصر المعادية لمهمة بريطانيا في المنطقة»[٩].

الهوامش:

(1) Extract From Mr. Muir's Report On Education In The Trucial States, 7-12-1955 Records Of The Emirates, Vo.11.P.635
(2) Ibid
(3) Ibid
(4) Ibid

(٥) مقابلة مع محمد دياب الموسى مايو ١٩٩٣

(6) Muir's Report
(7) Trucial States Annual Report For 1956, The Persian Gulf Administration Reports, Vol.XI,P.512.
(8) Ibid
(9) The Persian Gulf Administration Reports, vol XI, P. 55.

(٤)



المهرجان الرياضي في دبي عام ١٩٦٠، الذي حضره الشيوخ وكبار المسؤولين وهم من اليسار، الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة، الشيخ أحمد بن راشد المعلا حاكم أم القيوين، الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي

انتقادات المواطنين للسلطة البريطانية

كانت أهم فوائد دخول المدرسين العرب للإمارات تحريك مياه المجتمع الراكدة منذ أمد بعيد، فقد بدأ أبناء المجتمع يبدون للمرة الأولى آراءهم وينتقدون وضع البلد قياسا بالبلدان المجاورة التي بدأوا يسافرون إليها للعمل، ولاحظ الإنجليز هذا

التطور في طبيعة المجتمع. يقول تقرير المقيم البريطاني عام ١٩٥٦ «بدأت تظهر انتقادات من المواطنين لعدم وجود مساعدات مادية ملموسة من الحكومة البريطانية لتطوير بلدانهم والدول الأخرى. وكانت الانتقادات منصبة على أن رعاية مصالح بريطانيا في المنطقة أدت إلى الإبقاء على حالة الفقر والتخلف في الإمارات بسبب ارتباط المنطقة ببريطانيا»[١].

كانت الإذاعات العربية عاملا مهما أيضا من عوامل التغيير التي ظهرت في تلك الفترة. وعلى الرغم من فقر السكان وامتلاك أعداد قليلة منهم للمذياعات، إلا أن هذا الجهاز الجديد والمثير بنفس الوقت أطلعهم على أحداث العالم، وكسر عزلتهم، واستطاع أن يربطهم بعالمهم العربي، ويبدو ان انتشار المذياع وتفاعل السكان معه كان واضحا بحيث يشير الإنجليز إليه في تقاريرهم.

يقول المقيم البريطاني «إن الاذاعات العربية التي كانت تبث من القاهرة والرياض ودمشق والقدس لاقت استحسانا من قطاع كبير من سكان دبي والشارقة. بل انهم كثيرا ما كانوا يتعاطفون مع ما تبثه هذه الإذاعات، ويلتقي الشباب والطبقات شبه المتعلمة والامية في المقاهي للاستماع لما تبثه محطات الإذاعة العربية التي كانت تحاول دائما بث روح التمرد والثورة ضد الغرب»[٢].

وبدا الإنجليز في وضع صعب من حيث عدم قدرتهم على التفاعل مع سرعة التغيرات التي يشهدها المجتمع وعدم استطاعتهم وقفها، وعدم القدرة في الوقت ذاته على المساهمة في تحقيق إنجازات تعطيهم الفرصة للتصدي لهذا المد القوي، ويعبر تقرير المقيم ابلغ تعبير عن حالة الارتباك بقوله «أثبتت أحداث هذا العام أن بريطانيا ستجد نفسها مضطرة لتبرير تمتعها بهذا الوضع المتميز على الأقل في نظر سكان إمارات الساحل، ولن يكون في مقدورها أن تتجاوز هذا الموقف المحرج إلا إذا نجحت في تحقيق إنجازات تكون مقنعة لسكان المنطقة»[٣].

أبو عمارة والإنجليز

وقف المدرسون العرب موقفاً شجاعاً أمام السلطة البريطانية، وكان أكثرهم تميزاً المدرس الفلسطيني هاشم أبو عمارة الذي قدم ضمن بعثة الكويت عام ١٩٥٦ لدبي وعينه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم ولي عهد دبي في ذلك الوقت، مديرا متنقلا لمدارس دبي، وعلى الرغم من أن دبي بدأت متأخرة قليلا عن الشارقة في التعليم النظامي، إلا إنها خطت فيما بعد خطوات واسعة في هذا المجال، ويبدو أن بصمات «أبو عمارة» بدأت مباشرة منذ استلامه عمله، فقد بدأ بوضع أسس جديدة لسير العملية التعليمية، ويمتدح المقيم البريطاني أداء «أبو عمارة» بقوله: «إن أبو عمارة قام بإدخال تحسينات على المدارس الموجودة، ولأول مرة في تاريخ الإمارات، بدأ الطلاب يرتدون الملابس المدرسية على الطريقة الغربية، وفي حين أبدى بعض ذوي الطلاب اعتراضات على ذلك، ابلغهم المدير أن الزي الجديد لا يتعارض مع الدين أو العادات المحلية وبدأ غضب الأهالي يهدأ تدريجيا»[٤].

إلا أن هذا المديح البريطاني لـ«أبو عمارة» سرعان ما تغير في العام التالي عندما بدأ يمارس نشاطا مضادا للإنجليز، ويحرض الطلاب عليهم.

بدأت نشاطات المدرسين العرب تتفاعل ضد الإنجليز بعد تأميم قناة السويس من قبل جمال عبدالناصر في يوليو ١٩٥٦، وقد أثار هذا الحدث ردود فعل كبيرة في جميع أنحاء الوطن العربي، وبدأت الإمارات من خلال تفاعلها مع هذا الحدث تزيح عن نفسها حالة الانغلاق والعزلة وتتفاعل مع مشكلات شقيقاتها من الدول العربية بإمكانات شعبها القليلة.

ردود الفعل المحلية تجاه تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي

يقول المقيم البريطاني في تقريره «أن هذا الحدث أثار اهتماما كبيرا في دبي بصفة خاصة، وأدى إلى ظهور مشاعر مؤيدة لمصر أظهرت أن تأثير هذا الحدث كان اكبر مما تصورته السلطات البريطانية»[٥]. ولم تكن تلك مجرد تكهنات أو ظنون، فقد انتشرت إشاعات في دبي والشارقة، ووزعت منشورات معادية

لبريطانيا. وهذه التطورات تعطي صورة واضحة بلاشك عن مدى التغير الذي طرأ على المجتمع في تلك الفترة، وتكتسب هذه الأحداث أهميتها من كون أن رفض وجود الإنجليز تحول من رفض صامت إلى رفض متحرك وفاعل، لنتابع ما يقوله التقرير «لقد اتخذت بعض الاحتياطات الأمنية تحسبا لخروج مظاهرات في الإمارات استجابة لدعوة عبدالناصر لإعلان الإضراب في الوطن العربي في ١٥ أو ١٦ أغسطس ١٩٥٦، وانتشرت إشاعات كثيرة في دبي، ووزعت منشورات معادية لبريطانيا في شوارعها، وانطلقت أيضا إشاعات في الشارقة تقول أن التجار سيغلقون متاجرهم في ١٦ أغسطس»[٦].

ولكن على الرغم من تطورات الأحداث هذه، إلا أن الإنجليز لم يكونوا متخوفين كثيرا من ردود فعل السكان والتجار بقدر تخوفهم من مظاهرات منظمة للطلاب، فهذه بلا شك تختلف كثيرا، وبالفعل حدث ما كان يقلقهم، فقد أدى الإنذار الفرنسي ـ الإنجليزي لمصر في ٣٠ أكتوبر إلى تطور الأحداث، ويشير التقرير إلى أن «الأحداث التي تبعت الإنذار الفرنسي ـ الإنجليزي وعلى رأسها التدخل العسكري في نوفمبر أدت إلى خلق جو متوتر في دبي والشارقة، وجاء رد الفعل بعد بضعة أيام بتشجيع من الأحداث التي وقعت في البحرين وقطر»[٧].

-2-

of pro-Egyptian feeling and admiration in Dubai, especially, was shown to be deeper than previously thought. Security precautions were taken against possible strikes and demonstrations in the Trucial States, in response to Nasser's call for a general strike throughout the Arab world on August 15 or 16. A large number of rumours circulated in Dubai and three anti-British pamphlets appeared on the streets. There was talk of local ferrymen striking in Dubai, but in fact nothing occurred and the town remained calm. Similar rumours circulated in Sharjah. On receiving reports that Sharjah shopkeepers were preparing to close their shops on August 16, Ibrahim al Midfa, toured the suq and persuaded merchants to carry on normally with their business and trade. No other incidents took place in the Trucial States and the situation rapidly returned to normal, except for the sharp increase in the prices of many commodities during September and October, owing to the re-routing of some ships around the Cape.

The Anglo-French ultimatum of October 30 to Egypt and Kersel, and the subsequent military intervention in Egypt in November, created an extremely tense atmosphere in the towns of Dubai and Sharjah. Local reaction came some days after and events in Bahrain and Qatar had given a lead. Both Shaikhs Rashid of Dubai and Saqr of Sharjah co-operated with this Agency to ensure that public security was maintained: the former summoned leading Dubai notables on November 3 and re-iterated his intention not to tolerate any anti-British talk or demonstrations; the latter promised to restrain his Egyptian and Jordanian schoolmasters.

During the night of November 5, the Agency received two reports of a proposed strike and demonstration in Dubai scheduled for the following day, and immediate steps were taken to strengthen public security. A troop of Trucial Oman Scouts moved into position at the Agency compound in the early hours of November 6 and mobile patrols of the Dubai police began to tour the town picking up likely malcontents and visiting places of trouble. No strike or demonstration took place, although an attempt was made, late in the night of November 5, to set fire to the roof of the garage in the compound of the house of the Assistant Political Agent. Guards and a helpful crowd quickly extinguished the fire and very little damage occurred. The situation in Dubai thereafter became progressively more calm. However, in Sharjah on the night of November 7, an unsuccessful attempt was made to burn down the wireless transmitters, near Sharjah airfield. Anti-British slogans were openly shouted by the boys of Sharjah school, who were not restrained until the Political Agent warned the headmaster that he would be held responsible for the conduct of his boys. There was no doubt that some of the Palestinian schoolmasters vented their anti-British feelings and were able to instigate their boys in hurling abuse at the British officers of the Trucial Oman Scouts. The atmosphere in Sharjah quietened thereafter, but another unsuccessful arson attempt was made when someone tried to set fire to the car of the Commanding Officer of the Scouts, on the night of November 26. The Ruler of Sharjah offered a reward of Rs.500/- for any information leading to the arrest of persons responsible. Subsequently on November 30

(تقرير عن ردود الفعل في الإمارات ضد العدوان الثلاثي)



حفل أقيم على شرف الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر - في ثانوية دبي ١٩٦٠م
ويرى الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي، والشيخ مكتوم بن راشد ولي العهد في ذلك الوقت ومرشد العصيمي

وتوالت الأحداث، وبدأت الإمارات تشهد مقاومة حقيقية لم تحدث من قبل، يقول التقرير «جرت في الشارقة ليلة ٧ نوفمبر **١٩٥٦** محاولة لإحراق محولات محطة اللاسلكي بالقرب من مطار الشارقة. وكان بعض الناس يهتفون مرددين شعارات معادية لبريطانيا، وخاصة تلاميذ مدرسة القاسمية بالشارقة، مما حدا بالمقيم البريطاني إلى أن يوجه إنذارا لناظر المدرسة بأنه سيتحمل مسؤولية أية أحداث مماثلة وذلك بعد أن لاحظ المسؤول البريطاني أن إدارة المدرسة لم تتدخل إطلاقا لمنع المظاهرة[٨]. وفي مقابلة مع محمد دياب الموسى الذي كان ناظر المدرسة في تلك الفترة، ذكر لي إن طلاب مدرسة القاسمية كانوا يقومون برمي الحجارة على الجنود البريطانيين عند مرورهم بسياراتهم من أمام المدرسة في الفترة المسائية، وفي إحدى المرات استدعاه المقيم البريطاني وحقق معه بما حصل من الطلاب، فنفى الموسى أن يكون طلاب المدرسة هم الذين قاموا بهذه التصرفات، وأوضح للمقيم أن فترة اللعب في المساء يحضرها شباب من كل مكان، وقام الإنجليز بعد أحداث السويس بإحضار فيلم عرض في دار المقيمية في دبي سمي

«الحقائق في بورسعيد» يصور الإنجليز وهم يوزعون الأموال والحلوى على المصريين، ووجهوا دعوة للمدرسة، إلا أن المدرسة رفضت الحضور ثم حدث احتكاك آخر عندما أرادت المدرسة رفع أعلام مصر والكويت وفلسطين والشارقة في احتفالها السنوي، فطلب المسؤولون البريطانيون رفع العلم البريطاني مع الأعلام، فرفضت المدرسة، وعلى اثر ذلك ابعد الموسى من الشارقة عندما ذهب لزيارة أهله صيفا، حيث طلب الإنجليز من الكويت استبداله (٩).

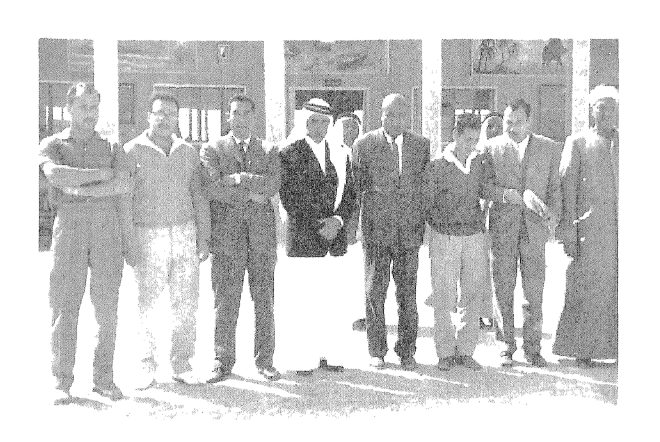
الهامش:

(1) Trucial States Annual Report for 1956. The Persian Gulf Administration Reports. vol. X1, p.553 - 555
(2) Ibid
(3) Ibid

(٤) مختارات من اهم الوثائق البريطانية، مجلد ٢، ص ٥٠٣

(5) Trucial states annual report for 1956, op. Cit
(6) Ibid
(7) Ibid
(8) Ibid

(٩) مقابلة مع محمد دياب الموسى ١٦/٦/١٩٩٣م.



الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم يزور المدرسة الثانوية بدبي عام ١٩٦٠

الطلاب يواجهون الإنجليز

أصبحت المخاوف البريطانية من تصرفات المدرسين العرب بعد الأحداث التي قام بها طلاب مدرسة القاسمية عام ١٩٥٦ حقيقة واقعة، ولم يعد هناك شك في ان هؤلاء المدرسين قد أتوا لتأدية أكثر من مهمة، وان الوضع السابق للمجتمع القائم على الانغلاق والجمود قد انتهى، ويشير تقرير المقيم البريطاني الى ان «المعلمين الفلسطينيين كانوا، دون أدنى شك قد استغلوا الفرصة للتعبير عن كراهيتهم لبريطانيا بتحريضهم التلاميذ، وقد نجحوا في تحريض بعض الصبية

لاحداث بعض الخسائر في منازل الضباط البريطانيين العاملين في كشافة عمان، كان ذلك ليلة ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، وتبع هذا الحدث حدث آخر في ٣٠ نوفمبر حين قام أشخاص مجهولون بقطع أنابيب المياه التي تمد معسكر سلاح الجو البريطاني في الشارقة بالمياه [١].

وتعبر الأعمال غير الاعتيادية التي قام بها الطلاب ضد الانجليز عن مدى تأثير وجود المدرسين العرب، وما قاموا به من جهود لتقوية الحس الوطني للطلاب واشعارهم بمسؤوليتهم تجاه وطنهم، كما تعبر عن مدى المحبة التي كانت تسود أبناء الأمة العربية في تلك الفترة، ولم تقتصر هذه الأحداث على الشارقة، فقد خرج التلاميذ في رأس الخيمة في مظاهرات، يرددون شعارات مثل تسقط بريطانيا ويحيا عبدالناصر، وكتبت نفس الشعارات على جدران المنازل، وكان واضحا، كما يقول التقرير «أن المعلمين الاردنيين في مدارس رأس الخيمة كانوا يقفون وراء هذه الأحداث» [٢].

ويبدو ان هذه الأحداث الجديدة قد فاجأت الادارة البريطانية، حيث يذكر المقيم البريطاني «ان عام ١٩٥٦ يعتبر من أصعب الأعوام بالنسبة لنا في هذه المنطقة، وخاصة في دبي» [٣]، إذ تحولت الشكوك التي كتبت من خلال تقارير الادارة عن مدى فاعلية

244 Political Di[illegible] Persian Gulf

- 12 -

Political Officer that we should have done to Cairo what the Russians did to Budapest. The townspeople and beduin, though somewhat less enthusiastic than the Shaikhs, seem to have been impressed by our prompt action and are relieved to see an end to the fighting. There have been no hostile reactions whatever.

38. Although there were no untoward incidents in Ras al Khaimah, some of the local students expressed their anti-British feelings by writing "Down with the colonisers, up with Gamal Abdul Nasser" on walls and on the Ruler's landrover. On one occasion, some students followed Mr. Huntington shouting at gang, but he ignored them. It seems highly probably that they were instigated by the teachers in R s al Khaimah school.

Dubai

39. Political activity has recently taken two forms. One has been the establishment of a so called cultural club in Dubai, towards the end of last month. Its founders appear to have been a group of young men employed in the Customs, Bank and the Dubai Court, together with a few young merchants. The first meeting was held on October 21 and Shingetti, then one of the Qadhis in the Dubai court, was invited to give the opening speech. He said that the time had come for Dubai people to improve their life, in particular the lack of education. They should come together, he said, in order to solve their social problems. At the end of his address, he expressed his antagonism towards Shaikh Abdurrahman Dajjani (see below) by some indirect remarks which were not lost on his audience. Majid bin Hamad bin Ghurair followed Shingetti with a short address, requesting merchants and members of the new club to contribute generously. He urged that the Arabs should unite and think of the welfare of their country. Although none of the important Dubai merchants, with the exception of Nasir bin Abdullatif, were present, the club appears to be connected with the National Front. Its members are reputed to be about fifty young men, names of whom are not yet all known. It has no president, but a house in Deira has recently been hired and about Rs.1,000 have been collected for running costs. Every night some 10 to [illegible] members gather together, and read books and magazines. Shaikh Rashid's warning to merchants on November 1 seems to have inhibited the progress of the club slightly, but the club's functions are being carefully watched, since there is a strong suspicion that it is politically inclined and may have been the centre from which rumours of intended demonstrations emanated early in the month.

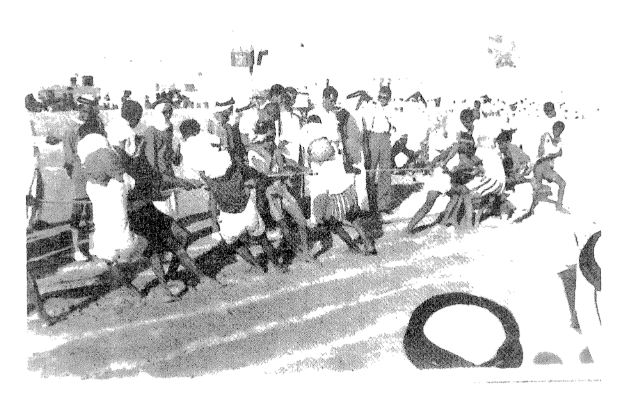
40. The trial of strength in the Dubai court between Shaikh Abdurrahman Dajjani and Shingetti, finally resulted in a triumph for Dajjani and the dismissal of Shingetti. Dajjani is now happier about the Court, since Shaikh Ahmed is as inarticulate as he is ignorant and no longer disputes Dajjani's authority; in time, Ahmed will probably resign of his volition although he, too, may have to be dismissed, in view of his unsavoury reputation and nasty habits. The main difficulty now facing Shaikh Abdurrahman Dajjani, in his attempt to improve the Court, is the repeated attempts of the Ruler, Shaikh Said, to interfere with the course of justice on behalf of his friends and cronies.

/41. The

وثيقة تشير إلى تأسيس النادي الثقافي عام ١٩٥٦م

تصرفات المدرسين العرب في مجتمع الامارات، تحولت الى وقائع ملموسة وأصبحت الاحتمالات الأخرى تنذر بتحولها الى واقع آخر، وفي حين كان موقف المدرسين العرب شيئا من الممكن ايقافه، أصبح الاحتمال الجديد الذي بدأ يلوح بالأفق أكثر خطورة، هذا الاحتمال هو تكون جيل جديد يكره بريطانيا ويطالب بطردها. لنر ماذا يقول المقيم البريطاني «ان الخطر الحقيقي يأتي من الشباب التقدميين الذين جاء ظهورهم نتيجة لانتشار التعليم والمعرفة، وبسبب استعدادهم لتقبل الشعارات المعادية لبريطانيا وشعارات القومية العربية، الشيء الذي يمكن ان ينتج عنه مطالبتهم بطرد المستعمرين» (٤).

كان عام ١٩٥٦ عاما مهما ومميزا عندما التف جميع العرب ووقفوا صفاً واحداً في تأييدهم لمصر التي تعرضت للعدوان الثلاثي، كما كان عام التغيير في الامارات، فلأول مرة، يشهد مجتمع الامارات هذه التفاعلات التي تعبر عن قدوم رياح الانفتاح، ولم تكن التحرشات والمظاهرات التي قام بها الطلاب هي كل شيء، فقد سجل الانجليز في تقاريرهم ما يوحي بولادة تجمعات مناهضة لهم، لنقرأ ما يقوله بورروز المقيم السياسي البريطاني الذي كان يقيم في البحرين في تقرير له عام ١٩٥٧ يقول «في نهاية عام ١٩٥٦ اتخذ النشاط السياسي في دبي منحى جديدا تمثل في صورتين، الأولى افتتاح نادٍ ثقافي في دبي كان مؤسسوه بعض الشبان العاملين في الجمارك والبنك ومحكمة دبي بالإضافة الى عدد من التجار الشباب، وعقد الاجتماع الأول لهم في ٢١ اكتوبر ١٩٥٦ وألقى فيه الشيخ الشنقيطي أحد قضاة محكمة دبي الكلمة الافتتاحية، حيث نادى بضرورة التقاء أبناء دبي والتفافهم حول برامج تطوير مدينتهم كما تحدث بعض الشباب الذين هاجموا الوجود البريطاني، وطالبوا بضرورة وحدة العناصر العربية في دبي حفاظا على هوية المنطقة، وكان الشباب يرددون الشعارات التي كان يطلقها جمال عبدالناصر خلال تجمعاتهم في النادي كل ليلة، اما الصورة الثانية فكانت انشاء مقهى وسط سكة الخيل في ديرة، وكان هذا المقهى يقدم الخدمات لرواده ظاهريا، ولكنه كان في حقيقة الأمر ملتقى لشباب ديرة، حيث كانوا يتجمعون كل ليلة للاستماع لاذاعة صوت العرب، كما كانوا يحملون صورة جمال



طلاب مدرسة القاسمية في الشارقة عام ١٩٥٤

عبدالناصر بصفة دائمة، وكان هذا المقهى أحد المصادر التي تطلق الاشاعات عن قيام المظاهرات والاضطرابات، وصدرت التعليمات بإغلاق المقهى (٥). ولم يكن عام ١٩٥٧ أقل من سابقه في مستوى الأحداث السياسية، فقد استمرت تطورات الأحداث، وكان المدرسون العرب اللاعبين الرئيسيين فيها، ويأتي على رأس هؤلاء المدرس الفلسطيني هاشم أبو عمارة.

كان الانجليز يرصدون التطورات التي طرأت على التعليم أولا بأول، وحظيت البعثات التعليمية بالنصيب الأوفر من تلك التقارير، ولو ألقينا نظرة على بعضها سنلاحظ ان اهتمام الادارة البريطانية لم يقتصر على الاحداث المهمة او على الأقل التي تعتبر أحداثا تستحق التدوين، وانما كان هناك اهتمام ورصد لكل شيء حتى قدوم أحد المدرسين او رحيل آخر، ومنذ انشاء أول مدرسة نظامية عام ١٩٥٣، كتبت مئات التقارير التي سجلت كل شيء (٦) وتضمنت التقارير أهم أحداث عام ١٩٥٧ بدءا من شهر ابريل، حيث كان مدير التعليم الكويتي عبدالعزيز حسين

في زيارة للامارات وعندما غادرها في ١٠ ابريل عائدا الى بلده الكويت، أشاع هاشم ابو عمارة مدير مدارس دبي ان البريطانيين يخططون لارسال مدير بريطاني للتعليم في دبي، ويكمل التقرير ان ابو عمارة أشاع أيضا ان المعتمد البريطاني امر بإيقاف بناء مدارس جديدة، وانه شخصيا سيبعد من دبي [٧]. ولا يمكن ان يكون ابو عماره قد ذكر كل هذه المعلومات من فراغ، فلا بد ان تكون عنده معلومات مؤكدة تجعله يذكرها علنا، وعلى أية حال فإن تطور الأحداث فيما بعد أكدت صحة معلومات ابو عمارة.

كانت العواطف الجياشة للعرب الذين اتحدوا وظهروا في أجمل مواقفهم عند الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ تحمل ذكرى لا تنسى للذين عاصروا تلك الأيام، ويعتز كل من عاش تلك الأيام بمواقف العرب، ولا يمكن عقد أية مقارنة بين مواقف أبناء الأمة العربية في الخمسينات وبين مواقفهم ومشاعرهم في وقتنا الحالي، حيث تمر علينا أحداث كثيرة ومريرة كل يوم دون ان نرى أي مظهر من مظاهر الرفض الجماعي الكبير الذي كانت تعبر عنه الجماهير في تلك الفترة بعفوية وصدق حين تظهر الأمواج البشرية في كل مكان تهتف وتعلن استعدادها للمواجهة، وكانت تلك المواقف العظيمة تعطي نتائج ملموسة ليس في عالمنا العربي فقط وانما في كل مكان في العالم، وكأكبر دليل على تأثير تلك الأحداث في العالم خروج الشعب البريطاني نفسه في مظاهرات كبيرة في لندن ضد حكومته حيث أدت تلك المظاهرات الى سقوط حكومة أيدن [٨].

الهامش :

(1) Trucial States Annual Report for 1956, The Persian Gulf Administration Reports, vol. XI, p.553 - 555

(2) Ibid

(3) The persian Gulf Administration Reports, Vol. XI, PP. 558 - 559

(4) IbidT

(5) Burrows, Political Diaries of The Persian Gulf, Vol. 20, PP 244 - 245.

(٦) انظر تقارير متفرقة، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، تاريخ الإمارات العربية المتحدة، المجلد الثاني الصفحات من ٤٨٣ – ٥٠٥.

(7) Political Diaries of the persian Gulf, Vol. 20, P. 401.

(٨) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، م.ن، ص ٥٢٤.



المهرجان الرياضي في دبي عام ١٩٦٠ الذي حضره الشيوخ وكبار المسؤولين وهم من اليسار:
الشيخ راشد بن سعيد حاكم دبي، الشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة، الشيخ مكتوم بن راشد، دونالد هاولي المعتمد البريطاني في دبي

تصاعد المواجهة بين المدرسين العرب والسلطة البريطانية

حاول الدبلوماسيون البريطانيون وقتذاك إيجاد تفسيرات لقيام الطلاب والأهالي بالمظاهرات ضدهم في الإمارات، وخاصة في دبي والشارقة، ووضعوا اللائمة في التسبب بتلك المظاهرات، على المدرسين العرب وخاصة الفلسطينيين[١]. وكانت تطورات الأمور تؤكد لهم يوماً بعد آخر هذه الظنون،

ففي احتفال للمدرسة الأحمدية في دبي في إبريل ١٩٥٧. ألقى أبو عمارة كلمة أشار فيها تصريحا وتلميحا إلى عدائه للغرب وللسياسة الغربية، ويشير التقرير البريطاني إلى أن «أبو عمارة» الذي ساهم في تطوير المدرسة كان رجلاً طموحا وذا توجهات سياسية خطيرة. وحتى يوسع نشاطه بدأ أبو عمارة يخطط لبناء مدرسة جديدة ليعين فيها أصدقاءه من الفلسطينيين كمعلمين في المدرسة. وقد تركت كلمته في الحفل المدرسي أثرا واضحا لدى العناصر المثيرة للشغب ـ على حد قول التقرير ـ في وقت كانت فيه الأحوال السياسية تتسم بالهدوء[٢].

إلا أن هاشم أبو عمارة صعد من نشاطه فيما بعد، ويعبر موقف أبو عمارة عن التصميم على التصدي للإنجليز، ففي الشهر التالي لإلقائه كلمته في المدرسة قام بموقف آخر أكثر حدة أثار الإدارة البريطانية التي صممت على إبعاده، لنرى ماذا يقول التقرير البريطاني «في شهر مايو ١٩٥٧، كانت فرقة الأنابيب الكاميرونية تعزف في دبي، وحضر الحفل حشد كبير من المواطنين والمقيمين، وبعد انتهاء الفرقة من أداء وصلتها، نظم أبو عمارة مظاهرة لطلاب المدرسة الذين كانوا يهتفون «عاش جمال عبدالناصر»، وقاموا بإلقاء الرمال والحجارة على عربات المعتمدية التي كان يوجد فيها المعتمد البريطاني والعاملون معه وهم في طريقهم إلى منازلهم، ويشير التقرير إلى «أن أبو عمارة كان مشاغباً لوقت طويل ويعمل بالدعاية مع المصريين، وعلى إثر ذلك تم ترحيله من دبي بضغوط من الإنجليز»[٣].

كان إبعاد أبو عمارة مبعث قلق للإدارة البريطانية التي كانت تبحث عن تبرير لهذا الإبعاد، خاصة أمام الرأي العام العربي الذي كان مشحوناً في ذلك الوقت، يقول المقيم البريطاني في تقريره «ينبغي أن نقدر أن الإذاعات المعادية سوف تستغل هذه الواقعة، ونستطيع إما ألا نقول شيئاً ونترك الأمر ينفجر ثم ينتهي أو نذيع نحن القصة أولاً، وإجمالاً فإنني أفضل الخيار الأخير، وإن كان هذا هو الأمر، فينبغي أن يذيع القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية خبراً عن هذه القضية يفيد بأن أمراً صغيراً قد وقع في الساحل المتصالح نتيجة استخدام مدرس أردني لتلاميذه في عمل إضراب سياسي، وقد تم طرده نتيجة لتلك التصرفات»[٤].

لم تقتصر أحداث عام ١٩٥٧ على دبي، وإنما كانت هناك أحداث مماثلة في الشارقة. وإن كانت بدرجة أقل حدة. ويذكر تقرير المقيم البريطاني لشهر إبريل ١٩٥٧ أنه «خلال احتفال مدرسة القاسمية في الشارقة بيومها الرياضي ونتيجة لإصرار الوكيل السياسي، تم رفع علمي الكويت والشارقة فقط على سارية علم المدرسة. وقد كان هذا الحدث تطوراً مهماً عمّا كان عليه الوضع في العام السابق عندما رفعت أعلام مصر والجامعة العربية إلى جانب هذين العلمين. ولكن الكلمة الافتتاحية لم تتعرض من قريب أو بعيد إلى أن الحكومة البريطانية هي التي قامت ببناء المدرسة»(٥)، وتعبر تصرفات المدرسين والطلاب عن شجاعة كبيرة، وفي حين أن هذه الأحداث ليست مؤثرة بشكل مباشر، إلا أنها مواقف شجاعة قياساً بالإمكانات البسيطة وصغر حجم المجتمع وقلة عدد السكان والنفوذ البريطاني الكبير.

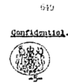
وكما ذكرنا سابقاً، كانت فكرة نشوء جيل جديد متسلح بالعلم، يناهض الإنجليز، ويعاملهم كمستعمرين، تطغى على كل الأمور الأخرى، فكل المستجدات سواء دخول التعليم أو المدرسين أو غيرها، يمكن السيطرة عليها بسن مجموعة من القوانين، ولكن كيف يمكن مواجهة أفكار جديدة يشب عليها الجيل الجديد الذي من الواضح أنه متحمس لتقبلها، وليس أدلَ على سرعة تفاعل جيل الشباب المتعلم من قيامه بكل هذه التصرفات بعد أقل من أربع سنوات على دخول التعليم لمنطقة لم تعرف التعليم النظامي من قبل، يقول بوروز المقيم البريطاني في الخليج «إن التعليم كانت له نتائجه الخاصة التي تمثلت في المشكلات التي أثارها الطلاب بتحريض من المعلمين الذين معظمهم من المصريين والفلسطينيين، ونجح هؤلاء في إقحام السياسة في التعليم»(٦)

بعد كل هذه الأحداث، رأت الإدارة البريطانية أن أفضل طريقة للسيطرة على التعليم هي الإشراف عليه بشكل مباشر من خلال مجلس إمارات الساحل. وفي الاجتماع العاشر للمجلس في مايو ١٩٥٧ تم تكوين لجنتين للتعليم والصحة العامة وركزت لجنة التعليم على ضرورة فرض نوع من الرقابة على المعلمين العاملين في مدارس الإمارات عن طريق منح اللجنة صلاحيات أكبر لتقوم بهذا الدور(٧).

ويذكر تريب المعتمد السياسي البريطاني في دبي في تقرير له أن «الإشراف على التعليم في الإمارات سيكون من خلال هذه اللجنة، وبتوجيه منا، وهكذا نتمكن من منع المدرسين الأردنيين والسوريين من إدخال المؤثرات الكريهة التي تهدد مصالحنا»(٨)، وعندما نلقي نظرة على مواد لجنة التعليم التي شكلت نلاحظ الآتي: نصت المادة الثالثة على أن الهيئة أو اللجنة تتمتع بسلطة «تحديد الإمارات التي ستبنى فيها المدارس، أو المدارس التي سيرسل إليها المدرسون» أي أن الدول التي ستمول بناء المدارس وهي على الأغلب الكويت وقطر لن يكون لها حق اختيار الإمارات التي ستبنى فيها المدارس، وليس هذا فقط، بل إن المدارس التي سيرسل إليها المدرسون المبتعثون سيتم تحديدها من قبل تلك اللجنة التي يشرف عليها المعتمد البريطاني، حتى يتم التحكم بتوزيع المدرسين، ولكن الإنجليز الذين يرغبون في السيطرة على التعليم، يريدون سيطرة كاملة دون دفع جنيه واحد، فالفقرة الرابعة تقول «إن رواتب المدرسين الوافدين وعلاواتهم من اختصاص

649

Confidential.



alliance with the Ruling family of Dubai, although we believe it may be part of a Qatari "colonial" policy. Certainly, Shaikh Ahmed and his entourage treated Dubai inhabitants as an inferior race during their stay here. The Qatar-Dubai family connexion would make it possible in future for Saudi and other pro-Saudi subversive elements to gain a foothold in Dubai.

Sharjah

19. In Sharjah, as in Dubai, the Suez campaign left a bitter feeling at the beginning of the year and here, also, the Palestinian schoolmasters did their utmost to prolong the period of unrest, encouraged in this case by the half-baked and unresolved nationalist sentiments of the Ruler.

20. Throughout the year Shaikh Saqr bin Sultan's attitude towards Her Majesty's Government has seemed curiously ambivalent. In April, he instructed his uncle and the Wali of Kalba to divulge to the Agency the gun-running activities of their old slaving comrade, Khalifa bin Majid. Ostensibly Shaikh Saqr did this to demonstrate his solidarity with Her Majesty's Government in supporting the Sultan of Muscat against the rebels. But Shaikh Saqr may well have wished to forestall any allegations that his own family and officials were also engaged in nourishing the rebels. Throughout the ~~Max~~ Oman campaign, Shaikh Saqr's behaviour was uneasy but correct, and there has been some recent indication that he is re-insuring himself with the Saudis and the Egyptians. His brothers, Khalid and Salim, have been openly active in Saudi Arabia and Egypt in furthering anti-British propaganda. It should be realised, however, that Shaikh Saqr is subject to considerable pressure from his Arab friends in the Middle East, as well as from the more nationalist inclined members of his own family. So long, therefore, as Shaikh Saqr's concessions to Arab opinion amount to no more than comparatively harmless face-savers, there is not much to fear.

21. There is no doubt that Shaikh Saqr appreciates the value to Her Majesty's Government of the military base and airfield in his State, and is shrewd enough to consider extracting help from Her Majesty's Government, to compensate him for the criticism which he suffers for allowing the base to continue.

22. We have in fact shown ourselves to be very sympathetic to Sharjah's educational aspirations which is the aspect of development closest to the Ruler's heart, and have allowed the Ruler to admit a further four Egyptian teachers this year, in addition to the two Egyptian and four Jordanian teachers already there. Her Majesty's Government have also paid for the re-roofing of Sharjah School from their development funds and ~~are~~ are establishing a Trade School in the town. Shaikh Saqr was one of the few Rulers who objected to dealing with the Kuwait Education Department through the Trucial Council Education Committee, but it is felt that this was because he feared that his virtual monopoly of Kuwaiti sponsored teachers would thereby be ended. Shaikh Saqr secured a gift of £50,000 from the Ruler of Qatar towards improving Sharjah creek.

23. The most important event during the year, so far as Sharjah was concerned, was the decision of Petroleum Development

/..(Trucial States)

Confidential

الحكومات التي تقدمهم دون سواها».

أما أهم مادة من مواد قانون تلك اللجنة، فهي المادة الخامسة التي تقول إنه «يُحظر على المدرسين العاملين في الإمارات، المشاركة في أي نشاط سياسي مهما كان، وتتمتع اللجنة بصلاحية إقالة المدرسين الذين يتبين أنهم غير مناسبين»[٩].

كانت هناك أيضاً فكرة أخرى، هي تدريب وتأهيل بعض المواطنين للإحلال محل المعلمين العرب، ولكن كانت هناك بعض العراقيل أمام هذه الفكرة، أهمها كيفية إيجاد مواطنين متعلمين من الممكن أن يحلّوا محل المدرسين العرب، وحتى لو وجدوا، فكيف سيتم توفير عدد كافٍ من الممكن أن يغطي كل المراحل، خاصة أمام التوسع المستمر في التعليم الذي تشهده الإمارات في تلك الفترة. لنتابع ما يقوله المقيم البريطاني في تقريره عام ١٩٥٧ «إن المعتمد السياسي يعكف على مناقشة قضيتين مهمتين هما: وضع خطة لإرسال معلمين محليين إلى البحرين لمدة عام لتلقي التدريب هناك، وذلك للارتقاء بمستواهم كبديل للمعلمين الأجانب وخاصة القادمين من بعض الدول العربية، حيث تؤثر توجهاتهم السياسية في التلاميذ والمواطنين بشكل عام، ولكن المشكلة الوحيدة كانت تتمثل في كيفية إيجاد معلمين محليين ذوي قدرات تمكنهم من الاستفادة من فترة التدريب»[١٠].

وبالفعل أرسلت الدفعة الأولى من هؤلاء المدرسين وعددهم سبعة وكلهم من دبي، وجاءت التقارير عن هؤلاء المبعوثين مشجعة ومرضية[١١]، ولكن هل سيتم إيقاف التعليم إلى أن يتم تخريج هؤلاء؟ وماذا سيفعل الإنجليز خلال فترة التدريب التي قد تطول؟ يرى المقيم البريطاني أن أفضل حل لذلك هو أنه «انتظاراً لمن ستخرجهم المؤسسات التعليمية من معلمين من منطقة الخليج، فقد يكون من الأجدى الاتجاه إلى السودان لمد المنطقة بالمعلمين بدلاً من التوجه إلى مصر أو سوريا»[١٢].

الهوامش :

(١) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، المجلد الثاني، ص ٥٢٤ .

(2) April 18. 1957 - Political Diaries of The persian Gulf, Vol. 20p. 357.

(٣) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، م.ن، ص ٥٢٨ .

(٤) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، م.ن، ص ٥٢٨ .

(5) April 18. 1957 - op. cit, p. 358

(6) Burrows, Report for the year 1957, the Persian Gulf Administration Reports Vol. XI. PP.594-595.

(7) The persian Gulf Administration Reports, Vol. XI, P654

(٨) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، المجلد الثاني، ص ٥١٣، ٥١٤ .

(٩) انظر مواد قانون تلك اللجنة، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٢، ص ٥١٧ .

(10) Political Diaries of the persian Gulf, Vol. 20, P. 449.

(11) The persian Gulf Administration Reports, Report for the year 1957, Vol. XI, Pp. 647-679.

(12) Record of The Emirates, Vol. 9, pp. 52-56.

(٧)



المدرسة النهيانية – العين، في بداية الستينات

المحاولات البريطانية للالتفاف على المساعدات الكويتية

استمر التقتير البريطاني في تقديم المساعدات لمنطقة هي في أمس الحاجة اليها ، وكانت المساعدات البريطانية لا تعدو ان تكون مبنى مدرسيا هنا او مستوصفا هناك ، في الوقت الذي استمرت فيه الدعاية المصاحبة لهذا البرنامج تبث من الاذاعة البريطانية ، ولكن الانجليز كما اسلفنا وجدوا في المساعدات الخارجية وخاصة الكويتية فرصة لا تعوض للتخلص من هذا العبء الكبير ، وعندما بدأت الادارة البريطانية في التصدي لممارسات المدرسين الذين قدم

معظمهم عن طريق الكويت. كانت الكويت في منأى عن النقد البريطاني على اعتبار ان تلك التصرفات كانت تصدر من اشخاص ينتمون لجنسيات اخرى غير كويتية. الا انه مع تدفق المساعدات الكويتية، بدأت الحكومة الكويتية تأخذ حصتها من الظنون البريطانية. لنقرأ ما يقوله تريب المعتمد البريطاني في دبي بعد اجتماعه مع مرشد العصيمي ممثل الكويت في الامارات في يونيو ١٩٥٨ يقول «من خلال محادثاتي مع مرشد العصيمي ثبت لنا ان الكويت مستعدة لتقديم المزيد من الدعم لامارات الساحل وخاصة في مجال التعليم، وهذا الدعم المتزايد من شأنه ان يقوي نفوذ الكويت في الامارات ولا ادري بالضبط اذا كان هذا مقصدهم او انهم يريدون فعلا مساعدة شعب هذه الامارات الفقيرة»[(١)].

ونلاحظ انه في الوقت الذي تتشوق فيه الادارة البريطانية لأن تحل الكويت محلها في التكفل بكل المساعدات، ترى ان هذا سيؤدي الى ازدياد نفوذها، ولا تعرف ان كان هذا هو مقصد الكويتيين، وشيء طبيعي ان يزداد نفوذ من يقدم مساعدات دون مقابل، ولكن ماذا يضير الادارة البريطانية لو ازداد نفوذ الكويتيين في الامارات، فالكويت بلد صغير وكانت في ذلك الوقت ما زالت تحت النفوذ البريطاني كما ان نظامها السياسي مماثل لما هو في الامارات وبقية منطقة الخليج، ولن تنادي بالثورة ضد الانجليز، ولو اكملنا قراءة التقرير سنرى

Education 623

Confidential

1745/3/58

Political Agency
Trucial States
Dubai
June 24, 1958

You will have seen, from my telegram No. 199, that Kuwait's educational proposals for the Trucial States in 1958/59, which have just been divulged by their representative, Murshid al Usaimi, threaten to cut across our own proposals.

----2. I enclose a copy of a minute by Ali Bustani on his conversation with Murshid, on the latter's return from Kuwait. I myself have also had a lengthy talk with Murshid and it is clear that Kuwait is prepared to give much more assistance to the Trucial States, especially in the field of education, than even a year ago. This increased help is bound to strengthen Kuwait's influence in the Trucial States and I wonder whether this is the intention at the back of their decision to do more here, or whether the additional help is merely a result of Kuwait's increasing prosperity and friendly feelings for their poor friends lower down the Gulf.

3. Kuwait's decision will entail some alterations in our current development programme, the most pressing of which concerns the Ajman school. I have suggested an alternative project - a girls school at Sharjah - in my telegram under reference. You will see that there was correspondence in 1955 and 1956, when we were drawing up the Trucial States Development proposals, about a girls' school in Sharjah, but it was then thought that the Treasury's confidence in our proposals would be shaken if we put forward such a proposal, presumably because girls education was thought even then to be premature for the Trucial States. However, neither I nor John Muir was at all happy at the decision, to drop the project (Mr. Richard's letter 1745/1/56 of January 24, 1956, to me refers). It is, however, now clear that girls' education is becoming an accepted right even in the Trucial States, and I feel that Shaikh Saqr will be very displeased if Dubai acquires two new buildings for girls' schools, while Sharjah, the pioneer of girls' education, continues to make do with an unsuitable, crumbling old house. As you know, we have been more exercised over Sharjah's loyalty to the British connexion, than that of any other Trucial States' Ruler, especially in view of the stresses and strains to which our use of his States as a military and air base, expose him. We have, therefore, constantly been thinking of projects which would increase Sharjah's gratitude to and affection for Her Majesty's Government, and we have in fact managed to retain Shaikh Saqr's loyalty, no doubt partly as a result of our help to him. I consider that the building of a girls' school in Sharjah would further strengthen Shaikh Saqr's regard for Her Majesty's Government.

4. Although it will be tempting to the Treasury to reap the saving on two schools, which Kuwait (and not Her Majesty's Government) will now build, I should sound a warning in case such financial considerations obscure the fact that it is vital to the continued retention of good will in the Trucial States, that there should be evidence of Her Majesty's Government's

/ interest

G.A. Gault, Esq., O.B.E.,
Acting Political Resident,
Bahrain.

Confidential

كيف ان الانجليز كانوا ايضا يريدون سرقة جهد الآخرين ، أي أن ينظر إليهم على انهم هم من يقوم بكل هذه المشاريع في الوقت الذي يجب ان ينزوي فيه اصحاب المساعدات الحقيقيون بعيدا عن الانظار ، يقول تريب «على الرغم من ان قرار الكويت تقديم المزيد من المساعدات امر مغرٍ للخزينة البريطانية اذ يوفر عليها تكلفة انشاء مدرستين ستقوم ببنائهما ، الا اننا يجب ان نحرص على استمرار صورة الحكومة البريطانية قوية في نظر سكان الامارات»[٢] .

ولكن ما هي هذه المساعدات التي اسالت لعاب الانجليز وجعلتهم يرحبون ، وفي نفس الوقت يقلقون من تدفقها ؟ لنقرأ رسالة لتريب بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٥٨ يصف فيها جانبا من المساعدات الكويتية المغرية ، يقول «إن الكويت تنوي بناء مدرسة ابتدائية واعدادية في دبي لحوالي ١٠٠٠ تلميذ ، كما تنوي بناء مدرسة بأربعة فصول في عجمان واخرى في ام القيوين ، كما انهم سيضيفون اربعة فصول الى مدرسة رأس الخيمة ومدرسة الشارقة ، وستحول الاموال التي جمعها تجار دبي لبناء المدارس لاستخدامها في بناء مدرستين للبنات تقوم الكويت بمدهما بالمدرسين كما سترسل عددا من المدرسين الى دبي والشارقة ورأس الخيمة وسترسل مدرسا الى كل من عجمان وام القيوين[٣] .

ويكمل تريب «إن قرار الكويت بناء مدارس في الساحل العربي يتعارض مع الترتيبات التي وضعت عام ١٩٥٥ حين تم الاتفاق مع ادارة التعليم الكويتية على ان تقوم الحكومة البريطانية ببناء المدارس في الامارات وتقوم الكويت بمدها بالمعلمين»[٤] .

وهنا رأى الانجليز انه ما دام الكويتيون كرماء الى هذا الحد فلماذا لا ينضمون او بمعنى اصح يضمون الى لجنة التعليم المنبثقة عن مجلس امارات الساحل حتى يكون الصرف هذه المرة مضمونا ومستمرا ، وبدأت المحاولات البريطانية لضم الكويتيين الى اللجنة ، يقول تريب «من الضروري ان يبذل المزيد من الجهد لتأمين تمثيل الكويت في لجنة التعليم اذا كنا حريصين على تفادي الازدواجية في مجال التعليم على ان يكون مرشد العصيمي هو ممثل الكويت في لجنة التعليم المقترحة

لدبي»[٥]. وهذا الاقتراح اي ضم الكويتيين الى اللجنة سيحقق عدة فوائد، فهو اولا سيضمن استمرار تلك المساعدات وسيحصرها في لجنة يديرها الانجليز، وسيقلص نفوذ الكويتيين الذين يريدون علاقات مباشرة مع الحكام، يقول أحد التقارير «ليس هناك خطر في الوقت الراهن من السياسة الكويتية تجاه الامارات، ولكن قد يحظى الكويتيون بنفوذ واسع في هذه المنطقة في المستقبل»[٦] ولكن الانجليز حرصوا على ألا يظهروا نواياهم الحقيقية للكويتيين بخصوص ضمهم الى تلك اللجنة، يقول تقرير آخر «ينبغي ان نرحب برغبة الحكومة الكويتية في تقديم المساعدة لاخوانهم الاقل ثراء في الامارات، وينبغي ان نتفادى اظهار الانطباع بأن مطالبتنا للحكومة الكويتية بتعيين ممثل لها في لجنة التعليم في مجلس امارات الساحل يوحي بأن احكام السيطرة على خطط التنمية في مجال التعليم يعتبر حقا خالصا لنا»[٧].



الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي وبعض المعلمين في ثانوية دبي عام ١٩٥٩

وقد رأت الادارة البريطانية ايضا انه لا داعي أن يقوم الكويتيون بإتعاب انفسهم والاطلاع على خطط التنمية المستقبلية في مجال التعليم. فما داموا سيدفعون. اذا لتقدم الادارة البريطانية خططها بخصوص هذا الموضوع وترسل الى الكويت عبر ممثلها. والمطلوب منه ايضا ان يوصل ما تريده الكويت.

لنتابع ما يقوله التقرير «يمكن للمعتمد السياسي البريطاني في الكويت ان يقدم تفاصيل خططنا التنموية في مجال التعليم عن هذه السنة، واقترح ان توصل هذه التفاصيل في السنوات المقبلة الى الحكومة الكويتية، كما توصل خطط الحكومة الكويتية الى الامارات عبر مرشد العصيمي الذي يمكنه حضور اجتماعات لجنة التعليم كمراقب اذا كان حاكم الكويت لا يوافق على منحه العضوية الكاملة في اللجنة [٨].

محاولات الإنجليز توطين التعليم

نعود مرة اخرى الى سياسة الادارة البريطانية تجاه تصرفات المدرسين العرب، ففي تقرير لـ«تريب» المعتمد البريطاني في دبي عام ١٩٥٨، يشير الى ان «الموقف الصارم للانجليز في ابعاد أحد مديري المدارس وهو اردني يتلقي راتبه من الكويت (يقصد هاشم ابو عمارة) وتلميحاتنا الى الكويت بأن اثنين من مديري المدارس في الشارقة اصبحا غير مرغوب بهما سياسيا (اعتقد انه يقصد محمد دياب الموسى وفايز ابو النعاج اللذين أبعدا فعلا) كل ذلك احدث اثرا في إحضار معلمين اكثر كفاءة واكثر تقديرا للمسؤولية الى كل من دبي والشارقة في العام الدراسي ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨، حيث رفض مديرو المدارس خلال هذا العام مناقشة القضايا السياسة داخل مدارسهم [٩] ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح، فسنرى فيما بعد كيف انه في عام ١٩٦٠ حدثت بعض المواقف السياسية من بعض المدرسين ضد الانجليز».

ويضيف تريب انتصارا آخر يخص تدريب المعلمين المحليين فيقول «في الوقت نفسه مضينا قدما في تنفيذ خطتنا الرامية الى تدريب المعلمين المحليين ليتمكنوا من ملء الفراغ في بعض المدارس، وللاسف فإن عدد الذين التحقوا بالتدريب كانوا سبعة فقط كلهم من دبي، وقد تم اختيارهم للدورة التدريبية الأولى، وكان التدريب ناجحا للغاية، فقد عاد هؤلاء المدرسون الى دبي يملؤهم الحماس ومزودين

[illegible]

CONFIDENTIAL

Mr. [illegible]

No. 11 Saving
June 2[illegible], 1958 — [illegible] June 29, 1958

CONFIDENTIAL

[illegible]
Repeated for information Saving to Foreign Office
Kuwait

Your letter [illegible]/58 of June 24. Trucial States Education.

I agree that co-ordination of Her Majesty's Government's and Kuwait Government's plans for educational development in the Trucial States would be of advantage. We must however welcome Kuwait's greater willingness to assist the Arab [illegible] of the Trucial Coast and we should avoid giving the impression, in any fresh approach which we may make to the Kuwait Government to secure its representation on the Trucial Council Education Committee, that we regard the control of educational development in the Trucial States as our sole prerogative.

2. If you and P.A. at Kuwait agree I would suggest that latter should mention to Kuwait Education Department that Her Majesty's Government welcome the assistance which Kuwait Government is giving to the Trucial States, since it enables Her Majesty's Government to use funds which it had earmarked for building schools at Ajman and Umm al Qawain, which Kuwait Government have now undertaken to build, for other educational projects in the Trucial States. P.A. at Kuwait could give the Education Department details of our educational development plans for the current year and suggest that in future years such details could be communicated to the Kuwait Government, and the latter's plans to the Trucial Council, through [illegible] Al [illegible], who could attend the Trucial Council Education Committee meetings as an observer, if the Ruler of Kuwait will not agree to his full membership of the Committee, in order to ensure the full co-ordination of Her Majesty's Government's plans for developing education in the Trucial States and consequently the welfare and standard of living of the local people.

DISTRIBUTED TO:
Eastern Department
Information Policy Department
Cultural Relations Department

CONFIDENTIAL

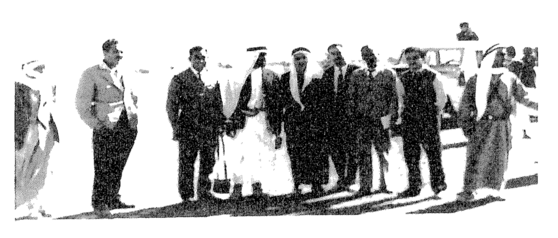
بالكثير من المعرفة، ويتابع «ان شغلنا الشاغل الآن هو اختيار المعلمين للدورة التدريبية المقبلة في البحرين، ويبدو ان الاغلبية هذه المرة هي ايضا من دبي إن لم يكن جميعهم من هناك، وذلك بسبب عدم وجود مرشحين مناسبين وفي معظم الحالات لعدم وجود مرشحين اصلا من الامارات الاخرى»[١٠].

وعلى الرغم من ان القصد من هذه الخطوة ليس الارتقاء بالتعليم وانما التخلص من المدرسين العرب، الا ان هذه الخطة لو استمرت منذ ذلك الوقت لأوجدت في الامارات قاعدة تعليمية تقوم على سواعد ابنائها، لكن هذه الخطة لم يقدر لها ان تستمر.

الهوامش:

(1) Tripp, Dubai, 24.6.1958, Records of The Emirates, Vol. 11,pp.623-624
(2) Ibid
(3) From Dubai, 23 June 1958, Records of the Emirates Vol.11,p.621
(4) Ibid
(5) Ibid
(6) Ali Bustani, 24 June 1958, Records of the Emirates, Vol. 11, p. 626-627
(7) June 26, 1958, Records of the Emirates, Vol. 11,p.630
(8) Ibid
(9) Tripp, June 29,1958, Records of the Emirates, Vol..11, pp. 631 - 634
(10) Ibid

(٨)



كان صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مهتماً بالتعليم منذ أن كان نائباً لحاكم أبوظبي ويرى في هذه الصورة مع مجموعة من المدرسين والشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة في زيارة للذيد عام ١٩٥٩م.

في عام ١٩٥٨ كتب تريب المعتمد السياسي البريطاني في دبي يقول «سيكون امرا خطيرا اذا ظهرنا كما لو اننا نعترض على خطط التنمية في مجال التعليم في الامارات، وقد تفادينا اعطاء هذا الانطباع في الماضي، حيث كنا نسعى لاحكام سيطرتنا اكثر مما كنا نعترض على التعليم هنا»[(١)].

هذه الكلمات تعبر بوضوح عن خفايا النوايا البريطانية، ولا داعي للتعليق على هذا الكلام الذي يعبر عن نفسه من حيث اعتراض الانجليز على كل أشكال التنمية، ولو كان التعليم او اي شكل من اشكال التنمية الاخرى في المنطقة له أهمية عند الانجليز لكانوا هم الذين بدأوا هذه المهمة قبل فترة الخمسينات بوقت طويل، أليس من حق ابناء هذه المنطقة الحصول على أدنى الحقوق، والتعليم

والصحة شيئان مهمان في حياة كل الشعوب، فلماذا يحرم منهما أناس ليس لهم ذنب سوى انهم لا يملكون حريتهم، وبريطانيا التي كانت تريد ان تخدع العالم بمساعداتها، لم يكن في استطاعتها اثبات مصداقيتها في هذا الموضوع، لان دول اخرى سبقتها في اقامة مشاريع التنمية واهمها الكويت التي قدمت الكثير بصمت ولم تلجأ لأي اسلوب دعائي.

وبسبب نواياها السيئة، كانت كل مشكلة تعترض الادارة البريطانية سرعان ما تلد اخرى. فبالنسبة لموضوع تدريب المدرسين المحليين، كانت تلك فكرة جيدة، الا ان رغبة الانجليز بتحقيق هذه الفكرة لمجرد سد الباب امام وجه البعثات التعليمية العربية، اوجدت مشكلة اخرى وهي من سيدفع رواتب هؤلاء المدرسين لو تم اعدادهم؟

لنر ماذا يقول تريب «إن احدى اهم المشاكل التي تواجه احلال معلمين من امارات الساحل محل المعلمين العرب الوافدين الذين تدفع الكويت رواتبهم، هي مسألة دفع رواتب هؤلاء المواطنين، وحتى الآن نجحنا في اقناع دبي بدفع رواتب المعلمين من ابنائها، ولكنني لست متأكدا ما اذا كانت الامارات الاخرى التي تعتمد على الكويت في دفع رواتب المعلمين الوافدين ستوافق على دفع رواتب المعلمين المواطنين [٢].

ولكن ما دامت الادارة البريطانية هي صاحبة هذه الفكرة، فلماذا لا تتبناها بالكامل وتدفع هي رواتب المدرسين المتدربين، وهل من المعقول ان تتولى بقية الامارات ذات الدخل الضعيف هذه المهمة، ولو كانت تلك الإمارات تملك دخلاً كافياً يمكنها من تغطية مصاريف العملية التعليمية، لكانت هي التي بدأت ادخال التعليم النظامي ولم تنتظر هذه المهمة من الدول الاخرى، ولكن هذه التساؤلات وغيرها ليست ذات قيمة بالنسبة للإنجليز الذين وضعوا في حسبانهم ان تلزم هذه الامارات بالدفع، لنقرأ ما يقوله كولت المقيم البريطاني في الخليج «نأمل في ارسال المزيد من معلمي امارات الساحل للتدريب في البحرين في المرحلة القادمة حتى يتمكنوا من شغل وظائف التدريب، ولكن هذا الامر قد يستغرق عدة

Records of the Emirates

CONFIDENTIAL

Despatch No.16
(41/60)

POLITICAL AGENCY
TRUCIAL STATES
DUBAI
September 11, 1960

Sir,

I have the honour to give you my impressions of the general state of education in the Trucial States.

2. Until 1945 the only schools in the area were the local Kuttub schools where instruction was limited to religion, Arabic grammar and arithmetic. In that year the first more modern type of school was established in Sharjah under the supervision of local teachers. In 1954 the first expatriate schoolteachers arrived, sent by the Ruler of Kuwait. In the same year the first girls' school was opened, and a new school, paid for by Her Majesty's Government, was built. In 1955 the first Egyptian teachers arrived. In subsequent years the number of expatriate teachers from the United Arab Republic, Kuwait and latterly Qatar increased rapidly until, as indicated in the statistical table annexed to this despatch, nearly half the expatriate teachers in the Trucial States and more thann half the United Arab Republic teachers are now employed in Sharjah, which is still in one or two respects more advanced in the field of education than the other Trucial States. A limited two year second-ry course has been available there for some time, and the public appearance on parade in uniform on the occasion of the schools' sports day earlier this year of some of the girl students was unprecedented here and caused a local sensation. In 1959 Her Majesty's Government built a school for the Ruler of Sharjah in Khor Fakkan on the Batinah Coast and the Ruler staffed this with teachers from

/... the

His Excellency Sir G.H. Middleton, K.C.M.G.,
Her Majesty's Political Resident,
B A H R A I N.

CONFIDENTIAL

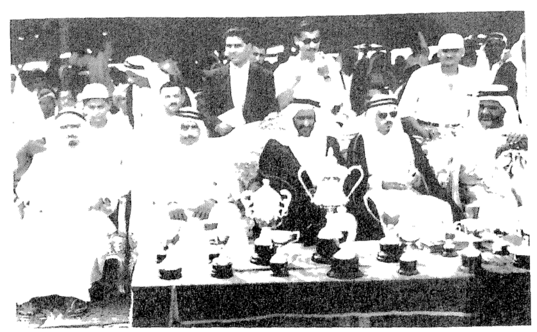
سنوات حتى يتوفر عدد كاف لهذا الغرض، وسنقوم بممارسة ضغط شديد على حكام الامارات لايجاد مصادر مالية لتدريب هؤلاء المعلمين، وهكذا يبدو ان علينا ان نعتمد لبعض الوقت على المعلمين الذين تستقدمهم حكومة الكويت [٣].

ولكن ماذا بالنسبة للمدرسين المحليين الذين أنهوا تدريبهم او على وشك الانتهاء منه، من سيدفع رواتبهم لو لم تبد دبي مثلا موافقتها على القيام بهذه المهمة؟ بالطبع ستكون الكويت.

يقول تريب «إن من مصلحة الجميع ان تدفع الكويت رواتب المعلمين المحليين التي تساوي نصف رواتب المعلمين الوافدين، ولابد من مناقشة هذا الامر مع سلطات التعليم الكويتية [٤].

ولكن لماذا لا يتم البحث عن مدرسين من دول اخرى؟ هذه الفكرة ايضا خطرت للادارة البريطانية، وكان اهم هذه الدول العراق الذي كان تحت الحكم الملكي.

يقول كولت «يمكن ان نقلل من الاعتماد على الكويت اذا وافقت الحكومة العراقية على ارسال معلمين لامارات الساحل على نفقتها» [٤].



الشيخ راشد بن سعيد المكتوم والشيخ صقر بن سلطان القاسمي والشيخ أحمد بن راشد المعلا
ومدير المعارف القطري (على يمين الشيخ راشد) أثناء إحدى الاحتفالات المدرسية في بداية الستينات

ولكن ما الفائدة من كل هذه الاجراءات، فسواء حل مدرسون محليون أو مدرسون من دول اخرى محل المدرسين الذين تبعثهم الكويت، ستبقى المشكلة قائمة، فكثير من هؤلاء الطلاب يذهبون للكويت لاكمال دراستهم الثانوية لعدم وجود مدارس ثانوية في تلك الفترة، وستستمر نفس المشكلة، وهذا ما عبر عنه تريب بقوله «مهما كانت الخطوات التي نتخذها، فسيظل الخطر يتمثل في ان الشباب خريجي المدارس الاعدادية الذين سيذهبون للكويت لتلقي تعليمهم الثانوي سيتأثرون بالافكار والمبادىء المؤيدة لمصر»[٦].

في عام ١٩٥٨ عين دونالد هاولي معتمدا سياسيا في دبي، وشرع منذ استلامه عمله في كتابة التقارير للادارة البريطانية، واصدر هاولي الذي استمر في عمله حتى عام ١٩٦١ كتابا عن الامارات بعنوان The Trucial States ويعد هذا الكتاب مصدرا مهما لتاريخ الامارات، خاصة الفصول التي تتناول الفترة التي شغلها هاولي كمعتمد سياسي.

وفي تقرير له عن التعليم عام ١٩٦٠ تطرق هاولي للحديث عن «مشكلة المدرسين العرب»، يقول «كان المعلمون القادمون من مصر يبشرون بالوحدة

العربية في المدارس، وقد ظهر تأثيرهم على التلاميذ في عدة مناسبات ابرزها المظاهرة التي سيرها طلاب الشارقة في ١٢ اغسطس ١٩٦٠ ضد ايران على الرغم من غياب جميع المدرسين في اجازاتهم السنوية، وكان التأثير اكثر وضوحا في كل من رأس الخيمة والشارقة بسبب الميول الوحدوية العربية لهاتين الإمارتين» [٧].

هذا الكلام يناقض ما كتبه المقيم البريطاني السابق عام ١٩٥٨ من ان هذه المشكلة قد انتهت بعد سلسلة الاجراءات التي اتخذت، وفي تقرير آخر عام ١٩٦١ يقول هاولي «يبدو ان الموضوع الرئيسي في التعليم اصبح القومية العربية على غرار الطراز الناصري، وقد أقيمت ايام رياضية قومية في دبي والشارقة ورأس الخيمة، وفي دبي كان الخط القومي يبرز من خلال مكبرات الصوت، وقد علمت من مصادر موثوقة ان ٩٠٪ ممن حضروا هذه الاحتفالات لم يحبذوا هذا الخط» [٨].

ويتابع هاولي الذي لم يذكر كيف حسبت نسبة الـ ٩٠٪ وصف المشاعر القومية في تلك الفترة مما يدل على ان عمليات استبدال المدرسين وغيرها لم تأت بأية نتائج، بقوله «لقد اشترك ١٦ طالبا فقط في النشاطات التي تسمى بالرياضة في الشارقة، اما بقية البرنامج فإنه يخصص للمسيرات ذات الصبغة التدريبية والعروض، وهي تذكر بقوة، بالاشتراكية القومية في المانيا، واشتركت فيها البنات كذلك، مما أفزع الكثير من المشاهدين مع

560 Records of the Emirates

Place of Sit	Primary (Boys)	Primary (Girls)	Intermediate (Boys)	Secondary (Boys)
Dubai	3	2	2	-
Sharja	2	1	1	1
Ajman	1	-	-	-
Ras El Kheima	2	-	1	-
Um El Quain	1	-	-	-
El Fujeira	1	-	-	-

In Dubai, the total Boy pupils are 1069 and girl pupils are 308. The number of teachers in Dubai schools is 40. Every school has a mixed staff of Palestinians, Egyptians and Syrians who are paid by their employers whether Kuwait, Qatar or Egypt.

These Mushroom Schools are not the outcome of a defined plan or policy particularly formulated to meet the needs of the area. They follow the cultural treaty syllabuses of Egypt, Syria and Jordan and their administration is entirely in the hands of the staff who refer to their employers in Kuwait and Qatar education offices.

On the education side H.B.M.'s Government established a Trade School at Sharja and an agricultural school at Ras El Kheima. In addition to these two schools, the Army runs a small school for their Boys Company which is part of the Oman Scouts.

The Trade School at Sharja is housed in a fine building especially built for it. It is a day school which actually caters for only Sharja boys as it is practically impossible for boys from Dubai to attend owing to the difficulty of transport. The school is managed very efficiently by Mr. Taylor who has got an unqualified local instructor to assist him. It seems that the school started with boys from the Town who had had no schooling of any sort and with no regard to the limits of ages or standards of literacy.

The Agricultural School is sited some miles outside Ras El Kheima Town in a fairly wooded area covered with silt and having palatable water supply. This slope of land between Oman hills and the sea-shore is the only place where floral life existed. The boys were working with zeal and interest on their gardens and their dairy farms which in themselves are useful models for the landowners of the area. I was very much impressed by the spirit of the boys and the tidyness of the boarding houses. As to the traditional subject, the boys are taught Arabic, Arithmetic and Religion by a very keen but untrained local teacher from Ras El Kheima. The school is a credit to Mr. Huntingdon and his wife who started it and worked on it under difficult conditions patiently and remarkably until its gardens could send their product of vegetables to the Town markets and the Army at Sharja for sale. Mr. Huntingdon tells me that he is not an agriculturist by profession but his school, with its cheerful Bedouien boys its farms and livestock, is an example of what an amateur can do if he has got the determination, vision and devotion.

The Boys Company School of the Army consits of about 40 boys between 10 and 14 years of age. In addition to the military training they are instructed in signalling and automobile mechanics in the workshops of the Army. The school is lacking a teacher of Arabic, Arithmetic and Religion. These subjects are taught at present by a senior boy.

I am very much glad to find that, in contrast with the big town schools, almost all the boys in the Agricultural school and the Boys Company school are genuine Bedouins. Any new educational plan should provide for the Bedouins who must have their share in the blessings of education, particularly in this country which suffers from lack of rural potentialities, scarcity of water and austerity of life.

/In

موافقة البعض عليها . اما في رأس الخيمة، وحيث تم التخطيط لعرض مماثل، فقد فرّق المطر الغزير الجمع الغفير بالرغم من صيحات احد المدرسين المجنونة بان ترك الميدان هو خيانة للعروبة، ومع ذلك، فإن العلاقات الشخصية مع المدرسين كانت طيبة. وعند زيارتي للمدارس، اكتشفت عداوة مغروسة اقل بين الاولاد»[٩].

ويعتبر هاولي ان الحكومة البريطانية لم تقدم شيئا بالنسبة للتعليم على الرغم من الصورة المزيفة التي تحاول ان تظهر بها فيقول «لم تبذل الحكومة البريطانية اي جهد لتوفير المال اللازم للتعليم باستثناء المدرسة التجارية والمدرسة الزراعية، ولذلك لم يكن ممكنا بالنسبة لنا ان يكون لنا رأي في شؤون التعليم لاننا لم نقدم شيئا يذكر»[١٠].

وكانت الحكومة البريطانية قد شيدت مدرستين فنيتين في أواخر الخمسينات؛ مدرسة تجارية في الشارقة واخرى زراعية في رأس الخيمة، ويكمل هاولي «لن نستطيع التحرك في مواجهة الاوضاع الجديدة ما لم تتوفر آلاف الجنيهات للانفاق على التعليم»[١١].

ويبدو ان محاولات الانجليز فرض سيطرتهم على التعليم من خلال اللجنة التعليمية التي يشرف عليها مجلس الامارات قد فشلت، ويعبر هاولي عن ذلك بقوله «حاول المقيم السياسي السابق ان يقنع الحاكم بضرورة الاشراف على التعليم من قبل مجلس إمارات الساحل وذلك منذ عام ١٩٥٦ وكان الغرض هو تصحيح الوضع، ولولا بعض العوامل الخارجية لنجح هذا التوجه، وقد فشلت المحاولة السابقة بسبب المناخ السياسي العام في الشرق الاوسط في ذلك الوقت[١٢].

وكان السبب الرئيسي في فشل هذه اللجنة هي الكويت التي رفضت الانضمام اليها، حيث يقول هاولي «إن عدم رغبة ادارة التعليم الكويتية إسناد أمر التعليم لمجلس امارات الساحل وتفضيلها التعامل المباشر مع الحكام هو اهم اسباب الفشل»[١٣].

وكان للتوجهات القومية لمسؤولي التعليم الكويتيين اثر كبير في رفض

سيطرة الانجليز على التعليم وخاصة مدير التعليم عبدالعزيز حسين الذي يصفه احد التقارير بأنه «ذو نعرة عربية وربما استغل كرم حكومته للترويج لأفكاره»[١٤].

ولكن ماذا سيحدث لو تحرك الانجليز وأفشلوا التجربة التعليمية التي بدأت ترسخ جذورها في الامارات، لاشك ان هذا التصرف سيكون له عواقب. ويلخص هاولي رأيه حول هذا الموضوع بقوله «إن البديل الوحيد هو ان نتحرك بإيجابية، ولكن هذا التحرك لن يكون مجديا ما لم نوفر آلاف الجنيهات للانفاق على التعليم، اذا دخلنا في مواجهة مع الكويت وقطر والجمهورية العربية المتحدة فإنني أتوقع الآتي: حملة دعائية قوية من القاهرة تجد تعاطفا من الاوساط العربية تتهم الحكومة البريطانية بعدم الاهتمام بادخال نظم التعليم الحديثة، وقدر كبير من الغضب والمقاومة المحلية لان الدعاية المضادة ستجد أرضاً خصبة، وإدانتنا من قبل السكان المحليين والعرب في كل مكان لاننا نتدخل كثيرا في الشؤون الداخلية لامارات الساحل، والمزيد من سوء التفاهم محليا»[١٥].

ولكن ما هو الحل، يقول هاولي «يمكننا مواجهة هذا الخطر بتوفير تعليم افضل واكثر فائدة مع انشاء مدارس التعليم العالي في اقرب فرصة ممكنة حتى يعرف السكان المحليون بأنفسهم اي نوع من التعليم نقدمه لابنائهم»[١٦].

ولكن شيئا من هذا لم يحدث، في الوقت الذي استمر فيه نمو التعليم بالامارات في الستينات بجهود الاشقاء العرب، ونستطيع ان ندرك حجم نمو التعليم في عام ١٩٦٠ اي بعد سبع سنوات فقط من بدئه لاول مرة من خلال التقرير الذي كتبه عبدالقادر عكير مبعوث وزارة التربية والتعليم السودانية حيث يقول «أصبح الآن في الامارات ١٠ مدارس ابتدائية للبنين و٣ للبنات و ٤ مدارس اعدادية للبنين ومدرسة ثانوية واحدة وذلك في الامارات الشمالية ما عدا ابوظبي التي لم يكن قد استقر بها التعليم في تلك الفترة، وبلغ عدد الطلاب في دبي ١٠٦٩ وعدد الطالبات ٣٠٨ وعدد المعلمين في مدارس دبي فقط ٤٠ معلما»[١٧].

الهوامش :

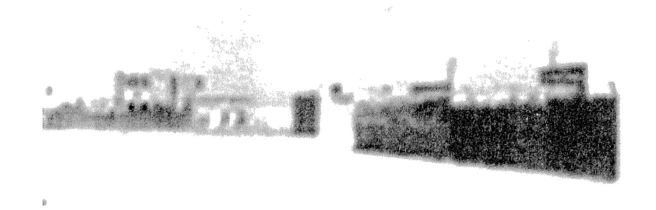
(1) Tripp, June 29,1958, records of the Emirates, Vol. 11 p.p 631 - 634
(2) Ibid
(3) Gault, Bahrian, 3 July 1958, Records of the Emirates, Vol. 11 p.p 636 - 637
(4) Tripp, Ibid
(5) Gault, Ibid
(6) Tripp, Ibid
(7) Hawley, Political Agency, Dubai, sep. 11 1960, Records Of The Emirates, Vol. 12, p.p. 598 - 603

(٨) هاولي ، دار الاعتماد، دبي يونيو ١٩٦١، مختارات من اهم الوثائق البريطانية، مجلد (٢)، ص ٥٥٠

(٩) هاولي ، م.س.

(10) Hawley, Sep. 10, 1960, op cit
(11) Ibid
(12) Ibid
(13) Ibid
(14) Riches, July 29, 1958, Records Of The Emirates, Vol. 11, p.p. 638 - 639
(15) Hawley, Sep.11, 1960, op. cit
(16) Ibid
(17) Abdul Kader Okeir, April 30, 1960, Records Of The Emirates, Vol. 12, p.p. 589 - 593

السيطرة الأجنبية على الاقتصاد
وأثرها على التركيبة السكانية



الشارع الرئيسي في أبوظبي عام ١٩٥٢

(١)



دبي عام ١٩٦٠

في الثمانينات من القرن العشرين، كان باستطاعتك التجول في أي شارع بالامارات بكل حرية وهدوء، لا ازدحام ولا سيارات تسابق الريح، ولا من يستفزك وانت في الطريق بتصرفاته الغريبة، تستطيع ان تقضي حاجياتك بيسر وسهولة وتنتقل من مكان الى آخر من دون عناء، لا تقف في طوابير لتدفع فاتورة الهاتف، ولا تنتظر فترات طويلة عند كل اشارة مرور، ولا تحتاج الى وساطات لانهاء معاملاتك في الدوائر والوزارات، ماذا عن الآن؟ تشعر حالياً بأن كل شيء

اصبح صعبا. اذا أردت ان تقطع المسافة القصيرة بين دبي والشارقة مثلا فيجب ان تقف عند اكثر من اشارة مرور في طوابير لا تنتهي من السيارات والشاحنات التي تتنافس وتتحدى بعضها بعضا، تقف مرغما تبتلع دخان عوادم السيارات، وتتفرج على هذا الجمع الكبير من السيارات المختلفة، ولا تكاد تنتهي من زحام حتى تدخل في آخر. الشوارع متوقفة معظم الاحيان، ولا يكاد يمر يوم من دون ان تشاهد اكثر من حادث سير. ماذا لو اردت ان تقضي أي عمل، هذا الامر يتطلب منك وقتا طويلا من التنقل والاجراءات الروتينية والمواعيد الكثيرة. حتى الهدوء الذي كان يطبع حياة الناس في الماضي اختفى، هذه نماذج من شيء كثير يحدث الآن بسبب التكدس البشري الهائل من الجنسيات والاجناس المختلفة الموجودة بيننا، بعد ان فتحت الابواب على مصراعيها، لقد ذاب المواطنون بين هذه الاعداد الكبيرة من الجنسيات والثقافات والديانات، والالوان السمراء والحمراء والصفراء. كثير من المواطنين الآن وبصفة خاصة الاجيال الجديدة ولدوا ووجدوا انفسهم في هذا البحر الكبير من البشر، لا يعرف كثير منهم تركيبة مجتمعهم الأصلية، وحتى الاحصائيات التي تجري كل عدة سنوات لا احد يعرف تفاصيلها. ورغم الدراسات والأبحاث التي كتبت حول خلل التركيبة السكانية، واللجان التي شكلت على مدى سنوات طويلة، الا ان الاوضاع تزداد سوءاً ولا احد يعرف سبب السير في الاتجاه المعاكس.

وفي حين نجد صعوبة في الحصول على احصائيات مفصلة عن تركيبة السكان في وقتنا الحالي، نستطيع ان نطلع على هذه التركيبة في الماضي بكل سهولة، من خلال قراءتنا للوثائق البريطانية. لنقرأ بعض هذه الوثائق ولنرجع الى الماضي، ونزور الامارات قبل ١٢٠ عاما من الآن، ونرى مما كان يتكون المجتمع في تلك الفترة.

في عام ١٨٨١، قدر الوكيل المعتمد سكان الامارات بـ ٣٦,٤٠٠ نسمة تقريبا موزعين على النحو التالي: ابوظبي ٤٠٠٠ نسمة، دبي ١٢٠٠٠ نسمة، الشارقة ٣٥٠٠ نسمة، الخان ٨٠٠ نسمة، عجمان ٢٠٠٠ نسمة، ام القيوين ٤٠٠٠ نسمة، رأس الخيمة ٧٠٠٠ نسمة، جزيرة الحمراء ٢٥٠٠ نسمة، الحمرية

۰ ۰ ٦ نسمة [١].

وفي حين اننا لا نستطيع الجزم بدقة هذه الاحصائيات، وان كانت قد تمت نتيجة تقديرات او نتيجة احصاء دقيق للسكان، الا ان هذه المعلومات تبقى هي المصدر الوحيد للاطلاع على الوضع السكاني في تلك الفترة. نلاحظ في هذا التعداد تفوق دبي في الكثافة السكانية على بقية الامارات وربما يرجع ذلك الى بداية بروز دبي في تلك الفترة كميناء مهم في المنطقة، وكانت المكانة التجارية لدبي قد بدأت تتسع منذ اواخر السبعينات من القرن التاسع عشر لتحل تدريجيا محل

Economy of the coastal shaikhdoms 53

67

CHAPTER XII.

INTERNAL AFFAIRS, 1873—1905.

(1) MATERIAL PROGRESS OF THE COUNTRY.

130. We give below a synopsis of events and facts (taken from the Gulf Residency Administration Reports) that have bearing on the internal material progress of the people on the Arab Coast :—

Year.	Events and facts.
1878-79	The township of Dabai had of late years increased in population and importance and it was now the most considerable part on the coast. Abu Thabi had, on the other hand, decreased. The combined number of boats of all sorts and sizes on this coast was estimated at about 2,000, giving employment to some 40,000 persons. A table printed as appendix to Part II of the Gulf Administration Report for 1878-79 (pages 40-41) shows approximately the relative prosperity of the different ports.
1880-81	The following table in the Administration Report for 1880-81 gives an estimate of the population of the chief ports on the Pirate Coast, number of boats, etc. :—

Table furnished by the Acting Agent in 1881.

Names of Towns.	Number of inhabitants.	Diving boats.	Divers.	Vessels which go and trade to India and Zanzibar.	Sailors.	Fishing boats.	Fishermen.	Remarks.
Ras-el-Khaimah . .	7,000	70	2,000	7	1,800	50	500	One-third of the population are Negro Sewahilee and sixty Abyssinians.
Jezeerat-el-Hamrah .	2,500	50	1,000	...	...	30	500	One-fifth of the inhabitants are Sewahilee Negroes.
Umm-el-Kewain . .	4,000	45	1,600	3	300	40	1,200	One-tenth Sewahilee Negroes and forty persons Abyssinians.
El-Hamreeyeh . .	600	27	600	...	—	30	...	One Negro to every fifteen individuals.
El-Ajman . . .	2,000	65	1,600	2	...	22	200	One-fourth Sewahilee Negroes and fifteen Abyssinians.
Shargah . . .	3,600	190	3,000	6	500	42	400	One-third Sewahilee Negroes and thirty persons Abyssinians.
El-Khan . . .	800	25	300	1	...	22	...	One Sewahilee for every eight individuals.
Dabaye	12,000	450	6,000	7	3,000	200	1,000	One-third Sewahilee Negroes and ninety Abyssinians.
Abu-Zhabbee . . .	6,000	350	2,000	3	...	160	600	One-fourth Sewahilee Negroes. Besides Beni-Yas there are subject to the chief of Abu-Zhabbee portions of the tribes El-Menasir, El-Kubeysat, El-Muhadabeh, El-Soodan, El-Beythat, Al-bu-Maheyr and Al-bu-Fallah. The first three are sometimes troublesome.

4432 F. D.

الشارقة التي كانت تتمتع بتلك المكانة. يقول المقيم السياسي البريطاني روس في تقرير له عام ١٨٧٨ أن دبي «ميناء مهم على الساحل العربي» [٢]. نستطيع ايضا ان نتعرف على الكثافة السكانية في دبي من خلال قياسنا لعدد سفن الغوص التابعة لها، حيث بلغ عددها عام ١٨٨٦ بما يقدر بـ ٤٥٠ سفينة يعمل عليها ٨٠٠٠ بحار [٣] لنتوقف قليلا عند دبي. ماذا يعني ان يعمل ٨٠٠٠ شخص من أصل ١٢ الفاً هم عدد السكان؟. معنى ذلك ان كل الذكور منذ البلوغ يعملون بمهنة الغوص، والمهن المكملة لها. وهذا يعطينا تصورا واضحا لطبيعة المجتمع المنتج الذي كان يقدس العمل في تلك الفترة ويعمل جميع ابنائه في واحدة من أخطر المهن. سيلفت نظرنا ايضا في الاحصاء السابق عدد السكان الكبير في رأس

الخيمة. وهذا بدوره سيطرح تساؤلا عن الاسباب التي تجعل من بعض الامارات مراكز استقطاب للسكان. ولكن التقارير البريطانية التي أحصت عدد السكان، هل انتبهت الى تركيبته؟ يقول التقرير السابق ان التركيبة السكانية كانت في معظمها من ابناء القبائل، ومجموعات من الرقيق السواحليين والاحباش المنتشرين في جميع الامارات، وكانت هناك اعداد من التجار الهنود[٤].

بعد ربع قرن تقريبا من هذا التعداد، اورد لوريمر تفصيلات عن التركيبة السكانية في الامارات في كتابه المسمى «دليل الخليج» الذي بدأ بكتابته بناء على أمر من اللورد كيرزون عام ١٩٠٣، تميزت معلومات لوريمر بالدقة والتفصيل عن تركيبة السكان في كل إمارة، قدر لوريمر عدد سكان مدينة ابوظبي في تلك الفترة بـ ٦ آلاف نسمة، ويقول لوريمر ان نصف هؤلاء تقريبا من بني ياس، ويضم تجمع بني ياس مجموعة من القبائل، عددها لوريمر بأفرادها وهي، آل بوفلاح (مفردها فلاحي) ٤٠ فردا، القبيسات (مفردها قبيسي) ٣٨٠ فردا، المحاربة (مفردها محيربي) ٣٠٠ فرد، آل بوفلاسه (مفردها فلاسي) ٢٠٠ فرد، القمزان (مفردها قمزي) ٢٥٠ فردا، آل بوحمير (مفردها حميري) ٣٠٠ فرد، الرميثات (مفردها رميثي) ٥٠٠ فرد، المزاريع (مفردها مزروعي) ٣٠٠ فرد، الهوامل

410 DHABI (ABU) PRINCIPALITY

'Omān. The only foreign interests in the principality are British, and these are described in the article on Abu Dhabi Town.

DHABI (ABU) ابوظبي TOWN

The capital of the Abu Dhabi Principality in Trucial 'Omān and the only settlement of importance which that principality contains.

Abu Dhabi Town is situated on the coast of Trucial 'Omān about 86 miles south-west of Shārjah Town: it extends for about 1¼ miles along the low sandy coast and consists chiefly of mat huts with a few stone buildings. At sea, 15 miles to the northward, is Hadd, the nearest of the Persian Gulf pearl banks. The largest edifice is the fort of the Shaikh at a little distance inland behind the town; not far from it, on the outskirts of the town proper, is the separate bazaar of the Indian traders. The anchorage* for large vessels is totally unsheltered and lies more than two miles off the shore. At the back of the town are some stunted date trees and water is obtained from wells: 35 years ago most of the drinking water of the place used to be fetched from Dibai, but recently potable water has become obtainable in the vicinity of the town, especially at a place 3 or 4 miles from it; pits are dug in which the water collects at 4 to 5 feet below the ground level. Immediately to the south of the town is the large shallow lagoon of Khor-al-Batin, and to the east a creek connected with it, both of which are described in the article on the Abu Dhabi Principality.

The population of the town may be about 6,000 souls, about ½ Bani Yās and the rest other tribes. The Bani Yās sections are Āl Bū Falāh, 40 persons; Qubaisat, 380; Mahārbah, 300; Āl Bū Falasah, 200; Qumzān, 250; Āl Bū Hamir, 300; Rumaithāt, 500; Mazārī', 300; and Hawāmil, 500. The other tribes are Āl Bū Mahair, 500, Sūdān, 375, Marar, 200; Thamanāt ثمينات, 120; Āl Bin Nāsir آل بن ناصر, 120; Āl Bū 'Amīm آل بو عميم, 120, Khamārah, خمارة (said to be originally from Khamīr in Persia), 575; Halālamah, هلالمة, 75; Dahailāt دهيلات, 200; and Bahārinah, 120. To these must be added a Persian community of about 500 persons and 65 Hindus.

The inhabitants of Abu Dhabi live almost entirely by pearl diving and fishing or in a few cases by petty trade: they have no ordinary

* A plan of this anchorage is given in Chart No. 2373—2837-A.

(مفردها هاملي) ٥٠٠ فرد، القبائل الاخرى هي آل بومهير (مفردها مهيري) ٥٠٠ فرد، السودان (مفردها سويدي) ٣٧٥ فردا، المرار (مفردها مري) ٢٠٠ فرد، الشميرات ١٢٠ فردا، آل بن ناصر (مفردها ناصري) ١٢٠ فرداً، آل بوعميم ١٢٠ فرداً، الخمارة ٣٧٥ فردا، الحلالمة ٧٥ فردا، الدحيلات ٢٠٠ فرد، البحارنة ١٢٠ فردا، ويضاف الى هؤلاء جالية فارسية من ٥٠٠ فرد، و٦٥ فردا من الهندوس [٥].

يكمل لوريمر وصفه لابوظبي فيقول «كانت المدينة تحوي ٧٠ محلا في سوقها، ٤٠ منها للايرانيين و١٩ للهندوس و١٠ للعرب»، ويكمل «إن المصالح البريطانية يمثلها هنا طائفة الهندوس، وجميع افرادها من منطقة تاتا في السند، ومعظمهم يصحبون عائلاتهم ويذهبون الى الهند في اجازة مرة كل عام، ويتضاعف عددهم في موسم اللؤلؤ، ولا يقوم اي مسلم هندي بعمل تجاري في هذا المكان» [٦].

من خلال تقرير لوريمر، نلاحظ قلة عدد السكان العرب الممارسين للتجارة، وواضح ان المسيطر على تجارة المدينة الصغيرة هم الهندوس والايرانيون.

لنتابع مع لوريمر ما يقوله عن تركيبة السكان في دبي، قدر لوريمر عدد سكان مدينة دبي بـ ١٠ آلاف نسمة وربما اكثر حسب قوله. ويتكون السكان من القبائل التالية: آل بوفلاسه والسبايس ولهم ٤٤٠ منزلا، آل بومهير ٤٠٠ منزل، قبائل مختلفة معظمها من العرب وخصوصا من المزاريع وبعض السكان من البحرين والكويت ولهم ٤٠٠ منزل، الافراد ذوو الاصول الفارسية ٢٥٠ منزلا، قبيلة السودان ٢٥٠ منزلا، البلوش لهم ٢٠٠ منزل، الاحسائيون لهم ٥٠ منزلا، المرار لهم ٣٠ منزلا، الشويهيون لهم ١٠ منازل، بالاضافة الى ٦٧ هندوسيا، و٢٣ من الخوجة، وهناك مجموعة من الهندوس تقدر بـ ٢٠ فردا غير مستقرين ويزورون دبي في موسم صيد اللؤلؤ [٧]. نلاحظ انه في الفترة المبكرة من القرن العشرين، كان يوجد في دبي مجموعات مستقرة من رعايا دول الخليج وهم بالتحديد من الكويت والبحرين والاحساء، ولا شك أن هذا العدد الكبير الذي قدره لوريمر بـ

٤٥٠ منزلا يعكس الوضع التجاري المزدهر للمدينة. ولو تتبعنا ما كتبه لوريمر عن بقية الامارات نلاحظ عدم وجود أي من الرعايا الخليجيين في أي امارة اخرى عدا دبي. نستنتج من هذا أيضا ان دبي في تلك الفترة كانت مدينة تشتمل على مقومات معيشية جيدة رغبت رعايا الدول الأخرى للسكن بها. التنوع السكاني في دبي ايضا يعطينا نموذجا لمجتمع المدينة التجارية. نلاحظ ايضا في التركيبة السكانية لدبي وجود عدد كبير من الهندوس، والخوجة «المسلمين الهنود».

لو اردنا ان نعرف حجم الازدهار التجاري لمدينة صغيرة وناشئة مثل دبي في تلك الفترة، لنتابع ما يقوله لوريمر «تجارة دبي رائجة وهي تتسع بسرعة كبيرة وذلك بفضل السياسة المستنيرة التي اتبعها شيخها السابق مكتوم بن حشر، وبسبب القيود الجمركية الشديدة التي تطبقها ادارة الجمارك الفارسية، مما هيأ لدبي فرصة لتحل محل لنجة كمستودع للتجارة الاجنبية على ساحل عمان المتصالح، وتتردد على دبي البواخر التابعة لشركات الملاحة في الهند وبومباي وفارس، وتزورها السفن البريطانية مرة كل اسبوعين، اما سفن الشركات الاخرى فتفد اليها حسب الفرص المتاحة[٨]».

DIBAI TOWN 455

own of **Shārjah** and 79 miles northeast of the town of **Abu Dhabi**. At sea 20 miles to the west-southwest of Dibai town is 'Alaws, the easternmost and nearest of the Persian Gulf pearl banks.

Dibai stands on both sides of a creek, with a shallow and difficult entrance, which extends for some miles beyond the town in a south-easterly direction; there is a small quay for vessels able to go inside. The town consists of 3 main quarters: of these the principal is Dairah ديرة, which stands on a tongue of land about 20 feet high on the north-east side of the creek between it and the sea, and has a date grove a mile in extent behind it. Dairah contains about 1,600 houses,—inhabited by Arabs, Persians, **Balūchis** and others,—and the main bazaar of 350 shops. The other two quarters, Shandaghah شندغة and Dibai proper, lie on the south-west side of the creek, Shandaghah being the nearer to the sea. Shandaghah is the residence of the Shaikh of the Abu **Dhabi** Principality and contains some 250 houses all occupied by Arabs; Indians are not allowed to establish themselves here. Dibai proper contains about 200 houses and 50 shops, also the principal mosque and some ruins said to be those of a Portuguese fort; the Indians are all collected in this quarter. Ferry boats ply between Dairah and Dibai proper, and on Fridays the crossing is free to inhabitants of Dairah who go to worship in the Jāmi' mosque. There is good water at Dibai in wells from 5 to 30 feet deep. The town was once walled, but the wall is now in ruins; on the landward side, however, are a number of towers of defence.

The population of Dibai town, in all about 10,000 souls or rather more, consists of the following elements: Bani **Yās** of the Al Bū Falasah and Sabāis sections, 410 houses; Āl Bū **Mahair**, 100 houses; mixed tribes, chiefly Arabs and including **Mazāri'** and natives of **Bahrain** and **Kuwait**, 400 houses; Persians, from various districts of Persia, 250 houses; **Sūdān**, 250 houses; **Balūchis**, 200 houses; natives of the **Hasa** Oasis, 50 houses; **Marar**, 30 houses; and Shwaihiyin 10 houses. Nearly all of these are Sunnis of the Māliki sect. There are also 67 settled Hindus and 23 **Khōjahs**, British subjects, inclusive of women and children, and in the pearl season about 20 other Hindus visit the place.

Date trees number about 4,000, but the yield is scanty: the only other cultivation is a little lucerne. Dibai town is reckoned to possess 1,650 camels, 45 horses, 380 donkeys, 430 cattle and 960 goats. About 335 pearl boats, 50 fishing boats and 20 seagoing vessels, the last being chiefly Sambūks and Badans, belong to the place, and 10 to 12 boats are built annually.

The trade of Dibai is considerable and is rapidly expanding, chiefly in consequence of the enlightened policy of the late Shaikh, Maktūm-bin-

يتابع لوريمر تقديره لعدد سكان بقية الامارات في بداية القرن العشرين،



خور الشارقة في الستينات ويرى الطمي الذي حال دون دخول السفن الكبيرة.

يقول عن عجمان «يبلغ عدد سكانها ٧٥٠ نسمة، وتتألف من ٢٥ منزلاً لآل نعيم من القراطسة والحميرات وآل بوذنين، و٨٠ منزلاً لآل بومهير، و١٢ منزلا للسودان، و١٤ منزلا لآل بوكلبي، و٥ منازل للمسايبة، و١٢ منزلا لآل شاكوش، ويعمل جميع السكان بصيد اللؤلؤ والاسماك»[٩]. لو قارنا بين احصائيات لوريمر والاحصائيات التي تتم الآن من حيث الدقة والتفاصيل التي أسهبت في كل شيء، يا ترى ايها افضل، وايها اكثر فائدة؟

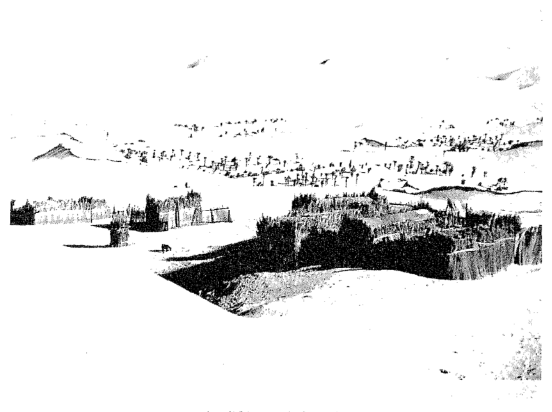
لنر مما كان يتكون سكان ام القيوين، يقول لوريمر: «كان بها ١٠٠٠ منزل ويتكون سكانها من آل بومهير، والعدد الغالب بها من قبيلة آل علي ويبلغ عددهم ٥٠٠٠ نسمة، يستقر بالامارة ٣ اشخاص من الهندوس، ويوجد بسوق المدينة ٢٠ محلا تجاريا، يصنع سكانها كل عام نحو ٢٠ قارباً، وهو اكثر عدد يصنع في مدن ساحل عمان المتصالح»[١٠]. اما الفجيرة فيقول عنها «بها ٣ آلاف

نخلة وتكثر بها المياه العذبة بالآبار على عمق ٤ قامات، ويقوم سكانها بزراعة التبغ والحبوب»[١١]. ماذا عن الشارقة؟ قدر لوريمر عدد سكانها في بداية القرن العشرين بـ ١٥ الف نسمة، ويتكون السكان من القبائل التالية: الشويهيون ٤٠٠ منزل، الهولة والسودان ٣٠٠ منزل لكل منها، قبائل آل علي وآل بومهير والعبادلة والمطاريش ٢٠٠ منزل لكل منها، النعيم ١٠٠ منزل، بالاضافة الى ٧٠٠ منزل لقبائل متفرقة. منطقة اللية التابعة للشارقة كان يوجد بها ٢٠٠ منزل لقبيلة المرار، و١٠٠ منزل لقبيلة السودان، بالاضافة الى مجموعة كبيرة من الارقاء السواحليين، و٥١ هندوسيا، و١٥٨ مسلما هنديا من الخوجة، اما سوق الشارقة فكان يحتوي على ٢٠٠ محل، وهناك ١٦ تاجرا هندوسيا ولكن عددهم يزداد في موسم الغوص، و٣٥ تاجرا من الخوجه، اما منطقة اللية فكان بها ٤ الى ٥ محلات[١٢].

اذا كانت دبي طبقا لتقرير لوريمر مدينة تجارية وميناء لعدد كبير من سفن الغوص، وأم القيوين مدينة تصنع السفن، والفجيرة ورأس الخيمة وبعض الواحات الأخرى تزرع مختلف انواع المحاصيل، فمعنى ذلك أن مجتمع الامارات في تلك الفترة كان مجتمعا منتجا رغم فقره والقيود المفروضة عليه.

لو قارنا بين الماضي والحاضر، هل هناك اوجه تشابه بين مجتمع الأمس ومجتمع اليوم؟ حتى نعرف الاجابة، لنأخذ فكرة عن الوضع الاقتصادي في الامارات اثناء فترة ازدهار اللؤلؤ، ونقارن بين المجتمع المنتج في تلك الفترة، والمجتمع المستهلك في وقتنا الحالي. يصف كثير من المؤرخين فترة الربع الاخير من القرن التاسع عشر انها كانت «العصر الذهبي للؤلؤ» لأنها شهدت ازدهار تجارة اللؤلؤ، وامتدت هذه الفترة حتى نهاية العشرينات من القرن العشرين. اللؤلؤ الذي كان عصب الاقتصاد في تلك الفترة شهد رواجا تجاريا كبيرا، والتقارير البريطانية تعطي احصائيات وافية عن نمو تجارة اللؤلؤ في تلك الفترة، وخاصة بعد أن أصبحت هذه المهنة هي المهنة الوحيدة لأبناء المنطقة، بعد ان ادخلت بريطانيا سفنها البخارية منذ الستينات من القرن التاسع عشر على خط الملاحة بين الهند والخليج لتقضي على عمل السفن الشراعية التي كانت تحتكر مهنة الملاحة

التجارية. اللؤلؤ كان احد اهم الكماليات في تلك الفترة، وخاصة في الهند واوروبا، وكان هناك طريق تجاري للؤلؤ شبيه بطريق الحرير وطريق التوابل. كانت مراكز الانتاج تتركز في منطقة الخليج، وهذه تصدر انتاجها الى الهند، حيث يتم صقله وتجهيزه بأشكال مختلفة، ومن ثم اعادة تصديره الى اوروبا. كانت تلك الرحلة التي يقطعها اللؤلؤ منذ خروجه من منابعه في منطقة الخليج تمر بأدوار مختلفة، وتتناقل ذلك اللؤلؤ أياد كثيرة، بدءاً من الطواويش وهم صغار تجار اللؤلؤ، ثم التجار الكبار، وبعد ذلك المصنعون والمصدرون في الهند، ومن ثم المشترون في مختلف انحاء العالم. كان ابن الامارات وابن الخليج بشكل عام يقوم بالمهمة الرئيسية وهي عملية استخراج اللؤلؤ من مصدره، ويتحمل نتيجة ذلك الكثير من المخاطر، وبعد ذلك يخرج من كل هذه العملية خالي الوفاض. كانت هناك عملية استنزاف للخيرات والجهود في مقابل عوائد بسيطة. ونظراً لأهمية هذا الانسان المنتج الذي يعد بمثابة الآلة التي تسخر لاستخراج تلك الثروات،



واحة ليوا في أبوظبي في بداية الستينات

وضعت له مجموعة من القيود التي تجعله بمثابة عبد عند ارباب العمل. وشملت تلك القيود تكبيله بمجموعة من الديون والقروض، وسن قوانين تمنعه من الهروب، وتطالب بتسليمه لدائنيه في حالة هروبه.

لو قارنا الوضع الاقتصادي في الماضي وعمليات الاستغلال والاستنزاف التي واجهها اقتصاد وابناء المنطقة، والوضع المشابه في وقتنا الحالي، يا ترى، الى أي مدى هناك تشابه بين ما كان يحدث في الأمس وما يحدث اليوم؟ اليوم هناك اقتصاد قوي بسبب وجود عوائد ضخمة من انتاج اهم سلعة في الوقت الحاضر وهي النفط. ولكن الى أي مدى يستفيد المواطن من هذا الوضع؟ وهل يمسك بزمام اقتصاد بلده؟ ام ان التاريخ يعيد نفسه؟ هناك الآن عملية استنزاف مشابهة لما كان يحدث في الماضي. اقتصاد يديره الاجانب وبصفة خاصة الآسيويون، هؤلاء الآن يشكلون ما يشبه اللوبي للسيطرة على كل جوانب الاقتصاد. ملاك مصانع وشركات، ووكلاء لمعظم الماركات العالمية المسجلة اسميا باسم مواطنين. ومسؤولون في مؤسسات مالية ومصرفية، ورجال اعمال لجميع انواع التجارة. وجودهم ايضا كمسؤولين في معظم البنوك ساهم في السيطرة على السوق من خلال تقديم التسهيلات لبعضهم بعضا، واستغلال الثغرات الموجودة في القانون. كما أن قبول معظم المواطنين بوضعية الكفيل لهؤلاء، ادى الى ازدياد حجم المشكلة. النتيجة النهائية هي تكوين الاجانب لرؤوس اموال ضخمة واستثمار اموال ليست اموالهم الأصلية، وتحقيق ثروات من اموال البنوك، وتحويل ملايين الدراهم يوميا الى دولهم. هذا في اوقات الرخاء، اما في اوقات الكساد الاقتصادي، فليس اسهل من حمل ماخف وزنه وغلا ثمنه، والهروب، مخلفين وراءهم الملايين لتتم محاسبة كفلائهم المواطنين الذين كانوا كفلاء في وقت الرخاء، واصبحوا شركاء ومدينين في وقت الشدة كما يحدث هذه الأيام.

ان عمليات الهروب اليومية في وقتنا الحالي ليست جديدة، وقد بدأت هذه الظاهرة منذ فترة طويلة، ولم تؤد بكل مآسيها الى وقفة تصد جادة من قبل المسؤولين في الدولة.

ان هذا الوضع الخاطيء الذي بدأ منذ فترة طويلة ادى الى ابتعاد معظم

المواطنين عن العمل التجاري بسبب عدم قدرتهم على المنافسة. لا يمكن ان نطلب من المواطنين ادارة اقتصاد بلدهم بالكلام فقط. في الوقت الذي لا تتاح فرص متكافئة على الأقل لكلا الطرفين. في الوقت نفسه لا يمكن ان نضع كل اللوم على الأجانب. فتحول المجتمع المنتج الى مجتمع مستهلك أفرز أيضا نمطاً جديداً من المعيشة يقوم على الاتكالية والترف، وهذا النمط استوجب جلب آلاف الأيدي العاملة لخدمة المجتمع المترف، وأصبحت الاتكالية تشمل مختلف جوانب الحياة، واصبحت المنازل مليئة بالخدم على مختلف انواعهم. فمن خادمات الى مربيات الى سائقين للسيارات ومزارعين والخ.. ونتج وضع جديد اسهم في وجوده ابناء المجتمع نتيجة الاستغراق في الترف. واسهم هذا الوضع في ازدياد حجم المعضلة السكانية.

الهوامش

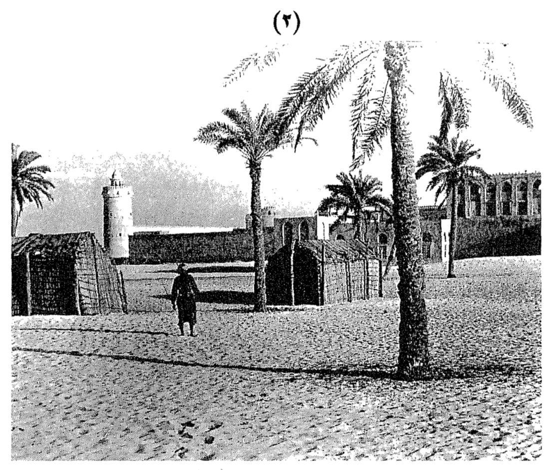
1 - Intermal Affairs, Records of the Emirates, vol. 4,P537
2 - The Persian Gulf Administration Reports, Report for the year 1878,1879, Vol I,P.3
3 - The Persian Gulf Administration Reports, Report for the year 1886 - 1887, Vol. 3,PP. 5 - 6
4 - Ibid.
5 - Lorimer, Gazeetter of the persian Gulf, IIB, Geographical, part 2, p.410
6 - Ibid, p. 411
7 - Ibid, p. 455
8 - Ibid, p. 456
9 - Lorimer, geographical, part 2,p.53

١٠ ـ لوريمر، جغرافي، ج٥، ص ١٨٤٣

١١ ـ لوريمر، جغرافي، ج٢، ص ٧١٢

12 - Lorimer, Geographical, II B,pp. 1761 - 1762

(٢)



قصر الحصن (قصر الحكم) في أبوظبي في أوائل الخمسينات

قدر لوريمر عدد سكان الإمارات في بداية القرن العشرين بـ ٧٢ ألف نسمة، شمل هذا العدد سكان المدن، إضافة إلى القرى والمناطق التابعة لكل إمارة [١] يشير تقرير آخر إلى أن العدد كان ٨٠ ألف نسمة [٢] وليس هناك فارق كبير بين التعدادين، إلا أن ما يهمنا هو ما ذكره التقرير الثاني من تفاصيل عن قبائل الإمارات، وأماكن تركزها وعدد أفرادها. لنقرأ التقرير ونطلع على وضع السكان في الإمارات في بداية القرن العشرين.

يقول التقرير بان أهم قبائل الإمارات هي قبيلة بني ياس التي قدر عدد أفرادها بـ ١٢ ألف نسـمـة، ١٠ آلاف منهم من الحـضـر، و ٢٠٠٠ من البـدو الرحـل، ثم الشرقيون المتركزون في رأس الخيمة، وفي منطقة الشميلية بالمنطقة الشرقية من الإمارات، وقدر عددهم بـ ٧ آلاف نسمة وهم من الحضر، قبيلة آل علي ويتواجد أفرادها في أماكن متفرقة ويتركزون في أم القيوين وعددهم ٦٧٥٠ نسمة وهم من الحضر، قبيلة آل بومهير ويتواجد أفرادها في كل الإمارات تقريبا وعددهم ٥٥٠٠ نسمة، قبيلة السودان، يتواجد أفرادها في كل الإمارات وجزيرة أبو موسى وعدد أفرادها ٥ آلاف نسمة، النعيم في لسان عمان وعددهم ٣٥٠٠ من الحضر، و ١٢٠٠ من البدو الرحل، قبيلة الزعاب ويتواجد أفرادها بشكل رئيسي في جزيرة الحمراء برأس الخيمة وخور كلبا التابعة للشارقة وعدد أفرادها ٣٥٠٠ نسمة، أهل رأس الخيمة في البلدة والمنطقة التي تحمل ذلك الاسم وعـــددهم ٢٠٠٠ نسمة من الحضر، قبيلة الشحوح وعدد أفرادها ٢٥٠٠ نسمة، الطنيج وعددهم ٢٥٠٠ نسمه من الحضر و ١٥٠٠ من البدو الرحل، قبيلة بني كتب أو (بني قتب) ويتركزون في الشارقة وعددهم ٢٠٠٠ نسمة من البدو الرحل، الشويهيون في كل من دبي والشارقة وعددهم ٢٠٠٠ نسمة، هناك أيضا الهولة في

TRUCIAL OMAN

The coast on the Gulf of Oman is bolder, the hills sometimes coming down to the water's edge, and the hilly tract inland, perhaps 20 miles in breadth, is the highest part of the whole territory. The interior of Trucial Oman, approached from the Persian Gulf, consists of a low and sandy maritime plain (*taff*) almost entirely unsuited for tillage, though not without natural vegetation and even wood, and provided with enough wells and water-holes to support a scanty Bedouin population. Beyond the *taff* are inland plains containing tracts with occasional cultivation, of which *Jiri*, *Dheid*, and *Liwa* are the best known

CLIMATE

Between November and April the heat is bearable and the nights are cool. From May to September the climate is excessively hot. The rainfall, which is confined to the winter months, is believed to be about 5 in., and would therefore approximate to that of Bahrein (see p. 312).

POPULATION

The ethnology of the tribes inhabiting Trucial Oman is often intricate and perplexing. The tribes which are numerically the most important are the following:

Beni Yās, in the Abu Dhabi Principality (10,000 settled, 2,000 nomadic); Sharqiyīn, in the *Shameiliyah* tract and *Ras el-Kheimah* district in the Oman promontory (7,000 settled); Āl 'Ali, chiefly at *Umm el-Qaiwein* (6,750 settled); Āl Bu Maheir, in all coast towns (5,500); Sūdān, in coast towns and *Bu Mūsa* Island (5,000); Na'īm, in Central Oman promontory (3,500 settled and 1,200 nomad); Za'āb, in *Jezirat el-Hamra* and *Khōr Kalba* in the Shārjah Principality (3,500); Ahl Ras el-Kheimah, in the town and district of that name (2,000); Shihūh (2,500) and Taneij (2,500 settled and 1,500 nomad) in the same places; Beni Qitab (2,000 nomad), in Shārjah territory; Shweihiyīn (2,000), in *Dibai* and *Shārjah*. Several of these tribes are also represented in the Sūltanate of Oman, in Qatar, and in Bahrein. In addition may be mentioned 1,500 *Hūwalah* in *Shārjah* town; 1,400 Baluchis at *Dibai*; about 2,500 Persians in *Abu Dhabi* and *Dibai* towns, *Khōr Fakkān* and *Ghāllah*; some hundreds of Hindus in the coast towns, and numerous negro slaves.

The total population has been estimated at over 80,000 only 8,000 being nomadic. The people are divided between the Hināwi

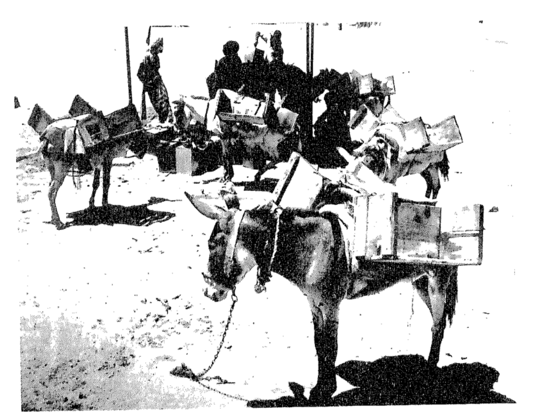
الشارقة وهؤلاء من عرب الساحل الفارسي وعددهم ١٥٠٠ نسمة. البلوش في دبي وعددهم ١٤٠٠ نسمة، كما يوجد ٢٥٠٠ شخص من أصول فارسية في كل من أبو ظبي ودبي وخور فكان، بالإضافة إلى بضع مئات من الهندوس والعديد من الأرقاء[٣].

يمدنا التقرير السابق بمعلومات قيمة عن بعض قبائل الإمارات، وعن عدد أفراد كل قبيلة من الحضر والبدو الرحل. نلاحظ أولا عدد السكان الكبير لمجتمع الإمارات في تلك الفترة البالغ ٨٠ ألف نسمة تقريباً، وبالطبع لم يكن كل هؤلاء من أبناء القبائل، فكما ذكر التقرير، كانت هناك جاليات متعددة منها الهندوس الذين يعمل معظمهم في تجارة اللؤلؤ، وهناك عدد كبير من ذوي الأصول الفارسية، كما توجد أعداد كبيرة من الأرقاء، هذا العدد الكبير من السكان لاشك يعكس طبيعة الوضع الاقتصادي المزدهر في تلك الفترة. وجود عدد كبير من السكان يعني وجود حياة وتجارة وعمل، ومعروف أن فترة الربع الأول من القرن العشرين كانت فترة ازدهار اللؤلؤ الذي وصلت معدلات تصديره من منطقة الخليج إلى أعلى المعدلات[٤]، نلاحظ من خلال التقرير دقة المعلومات التي كانت الإدارة البريطانية تحرص على تسجيلها وإرسالها إلى حكومتها، كان تجميع تلك المعلومات التي تتحدث عن مختلف جوانب الحياة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية في الإمارات أو غيرها من مدن الخليج يعتبر من صلب عمل الإدارة البريطانية، أصبحت تلك التقارير التي كان يجمعها المقيمون البريطانيون أولا بأول وبشكل دقيق ومنظم مادة علمية للباحثين بعد أن سمحت الحكومة البريطانية بنشرها.

نلاحظ من الإحصاء السابق أن عدد البدو الرحل أقل بكثير من عدد الحضر، وهذا يعطينا استنتاجا أن مجتمع الإمارات كان مجتمعا حضريا منذ فترة طويلة، وربما تعود حضرية المجتمع إلى كون معظم الإمارات موانئ ساحلية استقطبت معظم السكان الذين اتجهوا للعمل في البحر، مصدر الرزق الوحيد، وبذلك توسعت المدن. نستنتج أيضا أن الجنسيات المتعددة التي وفدت واستقرت في تلك الفترة وعملت بالتجارة وغيرها لم تؤثر في تركيبة السكان.

في إحصائية عام ١٨٨١ رأينا كيف ان إجمالي عدد السكان كان اكثر قليلا من ٣٦ ألف نسمة، وبعد مرور ما يقارب ٢٠ عاما وصل العدد إلى ٨٠ ألف نسمة، أي أنه وصل إلى اكثر من الضعف بقليل. لا يمكن أن يزداد عدد السكان زيادة طبيعية إلى الضعف خلال عشرين عاما في منطقة تعتبر طاردة للسكان بسبب قسوة مناخها وقلة مواردها الطبيعية. إذا الزيادة كانت، بلا شك، بسبب الازدهار التجاري الناتج عن ازدياد معدلات إنتاج وتصدير اللؤلؤ وبروز ميناء دبي كميناء مهم حل محل ميناء لنجة فيما بعد.

ما يهمنا هنا ليس فقط عدد السكان وتركيبة المجتمع في تلك الفترة، وإنما كون المجتمع مجتمعا منتجا يعمل جميع أفراده بأهم مهنة في تلك الفترة، إن عمل جميع أفراد المجتمع بمهنة اللؤلؤ لم يدع فرصة للأجانب لاستغلال وجود حاجة للعمالة، ومن ثم استغلال تلك الفرصة، ربما يقال ان تلك المهنة وعائداتها لم تكن بالمستوى المغري الذي يماثل حجم الأعمال الحالية التي أفرزها عصر النفط من



صورة توضح شظف العيش قبل النفط عندما كانت المياه تجلب من الآبار للمنازل بواسطة الدواب

حيث المردود المادي. يجهل كثير من الناس أن مهنة الغوص وتجارة اللؤلؤ كانت مهنة مربحة، والمشكلة الوحيدة أنها كانت تدار من قبل مجموعة من الممولين والتجار الذين استغلوا كل أبناء المجتمع للعمل كماكينة تجلب لهم الأرباح في مقابل عوائد بسيطة لهؤلاء العاملين، لم تكن توجد حكومات تحمي حقوق هؤلاء العمال الفقراء، أو توزع عليهم عائد أرباح عملهم بشكل منصف وعادل، لذا كان هناك استغلال طبقي. الطبقة الرأسمالية تستغل الطبقة المعدمة استغلالاً شبيهاً بالاستغلال الذي كان يحدث في المجتمعات الاقطاعية التي تعتمد على الزراعة.

لو تصفحنا الوثائق البريطانية ومجلدات لوريمر فسنلاحظ وجود محاولات كثيرة من قبل شركات هندية وأوروبية، ومن قبل أشخاص أيضاً لاقتحام هذا المجال والعمل بصيد اللؤلؤ بمعدات حديثة، أي استغلال فرصة وجود حرفة مربحة يجني الاستثمار بها عوائد مجزية. إلا أن الإدارة البريطانية وقفت في وجه تلك المحاولات، واعتبرت هذه المهنة مقتصرة على أبناء منطقة الخليج، ليس حباً فيهم بالطبع ولكن لأسباب سياسية واقتصادية عديدة منها مثلاً رغبة الإنجليز في استمرار انغلاق المنطقة، واقتصارها عليهم، وعدم ترك الفرصة لشركات الدول الأخرى للعمل في منطقة تعتبر واقعة ضمن نطاق السيطرة البريطانية. والشركات الأجنبية بالطبع ستجلب حكوماتها، لذا منعت كل المحاولات لاستغلال هذه المهنة سواء محاولات الشركات أو الأفراد الأجانب (٥).

في معرض حديثنا عن المحاولات الأجنبية للسيطرة على اقتصاد الإمارات في الماضي، لنستعرض وضعنا الحالي. لقد أدت سياسة الانفتاح العشوائي إلى تدفق عدد هائل من جميع الجنسيات منذ بداية السبعينات تقريباً من دون وجود تنظيم لعملية استيراد واستيعاب العمالة. ويبدو واضحاً أنه لم تتم الاستفادة من تجارب الماضي عندما كان الاقتصاد يعتمد على حرفه واحدة هي اللؤلؤ، وكان من عيوب الحرفة الواحدة أنه عندما انهارت تجارة اللؤلؤ في أواخر العشرينات، وجد جميع السكان أنفسهم من دون عمل سواء التجار أو البحارة. إن اقتصاد الإمارات في وقتنا الحالي يعتبر أيضا اقتصاد المصدر الواحد وهو النفط، وكان من المفترض أن يكون هذا حافزاً للاستفادة من تجارب الماضي، لماذا لا يستفاد من تجارب الدول التي

تشارك الإمارات هذا النمط من الاقتصاد في وقتنا الحاضر ؟ كان من المفترض أن تتم الاستفادة من كون الإمارات أصبحت بلدا مستورداً للعمالة وليس مصدراً لها كما كان يحدث في الخمسينات والستينات، عندما اضطرت مجموعات كبيرة من السكان للهجرة إلى دول الخليج الأخرى للعمل، وكان من المفترض أن تتبع الدولة سياسة الانتقاء والاستفادة من الكفاءات طبقاً لمفهوم العرض والطلب، فمادامت هناك أعداد كبيرة ترغب في العمل هنا، فلماذا لا يتم اختيار العناصر الأكثر كفاءة؟ إن ما حدث هو فتح الأبواب على مصراعيها، وإعطاء الفرصة للجميع، والنتيجة وجود أعداد كبيرة من العمالة غير الماهرة سواء في الوظائف أو في المهن المختلفة، لو أخذنا جانب المهن مثلاً، هناك أعداد كبيرة من العمال تأتي إلى هنا ولا تعرف أي مهنة، وتتعلم هنا المهنة التي تريد أن تعمل بها، لماذا لم تقم علاقات مع الدول المصدرة للعمالة تقوم على أساس المصالح المتبادلة، وتسن تشريعات العمل والاقامة على هذا الأساس، لقد طغت مسألة المجاملات في العلاقات السياسية على المصلحة العامة، إن قضية التوازن البشري تعتبر قضية مهمة في وقتنا الحاضر، في زمن يهتم بالهوية الوطنية، والتنافس الاقتصادي. لقد أضيعت فرص كثيرة لبناء اقتصاد يقوم هيكله الأساسي على استثمارات وجهود المواطنين الذين، رغم قلة عددهم، إلا أن كثيراً منهم أصبحوا الآن مؤهلين لإدارة اقتصاد بلدهم. وإذا كانت فرص كثيرة قد أهدرت في الماضي، فماذا يمنع أن نبدأ من الآن؟

ان قضايا الهروب التي يقوم بها تجار آسيويون بصفة خاصة، ونقرأ عنها بشكل يومي تقريباً في صحفنا، وتهرب بهما ملايين الدراهم، تعطي

POPULATION 335

and Ghāfiri political factions (see Chap. VIII, p. 240), the former being Sunnis of the Maliki sect, the latter virtually Wahabis, though not of the militant order. Modern rifles are widely distributed both in town and country, but the traffic in arms has now been virtually suspended (cf. p. 247).

INDUSTRIES AND TRADE

The most important industry is pearl-diving, which in summer employs most of the able-bodied men with more than 1,200 boats; though during the winter some of the divers take part in the ordinary fisheries (the second great industry of the coast), the majority take their ease, retained by the pearl-boat owners and contractors, by whom they are supported through the slack season. Agriculture employs the settled population of the interior; vegetables are raised by irrigation from wells in most places, and dates are also grown, though they seldom fully ripen S. of Ras el-Kheimah. Cereals only succeed in a few favoured spots such as *Sir* in the Shameiliyah district. The live stock of the villages consists of camels, donkeys, cattle, sheep, and goats; horses are rare. The Bedouins subsist chiefly by their herds. In winter, when there is pasture, they roam far and wide; in the hot weather they gather about the more abundant wells, such as those of the *Jiri* plain in the N. and *Beinūnah* in the W.

Pearls are the most valuable export, and are sent almost entirely to India from the port of Dibai. The oyster-shells from which the pearls are taken come next in importance; it is questioned whether the practice of selling these, instead of at once returning them to the sea, may not in the long run tend to exhaust the pearl-banks. Dried fish are exported from Abu Dhabi.

The imports in order of their value are: grain and pulse, from India and Persia; cotton piece-goods from India; dates and date-juice from 'Irāq; coffee, chiefly from India; sugar, from or through India, and miscellaneous provisions from Persia. The only steamship port is Dibai, but the other coastal towns are used by native sea-going boats running to and from India, Persia, and 'Irāq. Inland trade with the Bedouins is of no great volume, but Trucial Oman shares that of the Bireimi oasis with the Sultanate. The coast between Ras Musandam and Abu Dhabi was formerly used as a base by smugglers of arms, bringing rifles and ammunition from Sohār through Bireimi, and loading for Persia and El-Qatar either at the coastal towns, or at lonely spots between them. Within recent years it was necessary to warn the Sheikhs of 'Ajmān, Shārjah,

صورة سيئة عن الوضع التجاري في الإمارات، وتوحي لكثيرين ممن يقرؤون تلك الصحف وخاصة خارج الامارات، أنه لا توجد هنا قوانين، إن من يقرأ قصص الهروب اليومية سيعتقد حتماً أن بالإمارات منجماً كبيراً مليئاً بالأموال، ويستطيع أي شخص بقليل من الحيلة أن يغرف منه ويرحل، من الواضح للجميع أن هناك فشلاً كاملاً حتى الآن في إيجاد حلول جذرية للمعضلة السكانية. ولا تعدو الإجراءات التي تتخذ بين حين وآخر كونها محاولات للخروج من المأزق الكبير. وكل من يتابع تلك القرارات والإجراءات يلاحظ أنها تتخذ من دون دراسة.

إن الكثافة السكانية الموجودة حالياً لم تؤد إلى السيطرة على الاقتصاد فقط، وإنما إلى الاستحواذ على معظم الوظائف في الوقت الذي نرى فيه تزايد أعداد المواطنين المصطفين في طوابير البطالة، الثغرات الكثيرة الموجودة في قانون العمل الحالي أدت إلى وجود الكثير من التجاوزات، هناك مثلاً أعداد كبيرة من الوافدين لا تعمل أصلاً في الإمارات وعندها إقامات على شركات وغيرها، وتأتي كل ستة أشهر لتجديد الإقامة، لو عددنا التجاوزات فسنجدها كثيرة. لنناقش مثلا أحد الجوانب المهمة لضرر هذه الكثافة السكانية وهو جانب الخدمات. ولنسأل أنفسنا، هل تقدم هذه العمالة دخلاً للبلد موازياً على الأقل لما تحصل عليه من خدمات؟ لقد توسعت بعض المدن بشكل عشوائي وتم تكديس كم كبير من العمارات والأبنية المختلفة، وأصبحت هناك حاجة لاستغلال كل شبر للاستفادة من عوائد البناء، وتعطي الغابات الاسمنتية المقامة بكثافة، شعوراً لكل من يراها، بغياب التخطيط الحديث، وصاحب هذه الكثافة في البناء ضرورة توفير خدمات البنية التحتية التي بدورها أرهقت الميزانيات الاتحادية والمحلية.

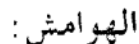
أدت الكثافة السكانية أيضاً إلى استهلاك خدمات البنية التحتية بشكل أسرع من عمرها الافتراضي، ولو فتحنا باب الأمثلة على استنزاف الخدمات فلن نتوقف. الشركات الكبيرة والمملوك معظمها لآسيويين أو جنسيات غير عربية، تستهلك الخدمات المتوفرة مجاناً، لماذا لا يفرض على هذه الشركات رسوم خاصة نظير استخدامها لمختلف المرافق العامة، لننظر مثلاً إلى شركات الشحن التي تحمَل

شاحناتها بحمولة أكبر من طاقتها، وتستخدم الطرق استخداماً سيئاً، والنتيجة أن معظم الطرق يعاد رصفه قبل انتهاء عمره الافتراضي، وتتحمل الدولة جميع النفقات، لماذا مثلاً لا تفرض رسوم حسب مستوى الدخل؟ في الوقت الحالي تتساوى العائلات الوافدة الغنية والفقيرة بدفع الرسوم، فتحس الأولى أنها تعيش حياة مجانية في كل شيء، بينما تشعر الأخرى بضغط شديد من كل جانب.

السيطرة الأجنبية على مختلف نواحي الاقتصاد جعلت من اقتصاد البلد رهينة بيد الوافدين. لو أردنا أن نعدد عيوب استمرار هذه السيطرة، فسنجدها كثيرة وكبيرة. نأخذ مثلاً بسيطاً، لنرجع إلى فترة الغزو العراقي للكويت، ماذا حدث في تلك الأيام؟ اندفع كثير من أصحاب الشركات ورجال الأعمال الوافدين إلى البنوك، وراحوا يحولون أموالهم وأموال شركاتهم إلى الخارج بأقصى سرعة وفي سباق مع الزمن، لو كانت المشاريع الاقتصادية مملوكة من قبل المواطنين، هل سيحدث الشيء نفسه؟ وهل سيضطر المواطنون إلى تحويل أموالهم للخارج مثلما فعل التجار الوافدون الذين أفرغوا البلد من السيولة المالية لمجرد أحساسهم بالخطر؟ نريد أن نضرب مثلاً مشابهاً حدث أثناء الحرب العالمية الأولى، تشير الوثائق البريطانية إلى أنه بعد نشوب الحرب العالمية الأولى تأثرت تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج، فقلة الطلب العالمي على الكماليات وتوقف سفن النقل البحري عن العمل، والتي كانت أهم وسائل النقل في تلك الفترة بين الهند والخليج، لم يؤثرا فقط على تجارة اللؤلؤ وإنما أيضاً على حركة التجارة التقليدية ونقل المؤن والسلع. وأصبحت شركة الهند البريطانية للملاحة وهي إحدى أهم شركات الملاحة البخارية عاجزة عن خدمة موانئ الساحل العربي بسبب انشغالها بنقل المعدات الحربية، وهذا الوضع لم يوقف حركة التجارة فقط، وإنما كاد يعرض المنطقة للمجاعة، وقامت حكومة الهند البريطانية والتي تأثرت من استمرار الحرب بمجموعة من الإجراءات عام ١٩١٨ منعت بموجبها دخول أية أموال للإمارات لتمويل عمليات استخراج اللؤلؤ، كما منعت تصدير اللؤلؤ من الهند إلى الخارج، وكانت تلك الإجراءات بداية المتاعب لتجارة اللؤلؤ [٦].

لنتأمل هذا الوضع الصعب الذي حدث أثناء الحرب العالمية الأولى. نشبت

الحرب في فترة ازدهار اللؤلؤ ، الفترة التي يصفها بعض المؤرخين بفترة (العصر الذهبي للؤلؤ) ، ماذا حدث؟ انقلبت الأوضاع فجأة إلى النقيض، توقف الطلب العالمي على الكماليات التي يعتبر اللؤلؤ إحداها، توقفت سفن النقل عن العمل وانشغلت بنقل المعدات الحربية، وأصبحت المنطقة مهددة بالمجاعة. عندما انقلبت الأوضاع لم تتأثر هذه المهنة بالأحوال الجديدة، لماذا؟ لأن كل العاملين فيها من أبناء المنطقة، التجار الصغار والبحارة وصانعو السفن وغيرهم، لم يقم هؤلاء بعمليات هروب واسعة كما يحدث الآن من بعض التجار الوافدين المتأثرين بالكساد الاقتصادي. ولم يضطر التجار إلى تحويل أموالهم أو النزوح إلى دول أفضل حالاً، كما لم يضطر البحارة إلى الهروب من هذه الأوضاع، وإنما تكيف الجميع مع الأوضاع الطارئة واستمروا في العمل. لو كان صغار التجار أو البحارة من الوافدين ماذا كان يمكن أن يحدث؟ بالتأكيد سيهرب هؤلاء وسيتوقف العمل بهذه المهنة تماماً، ولنتخيل مدى التأثر الذي سيصيب الجميع من جراء توقف مهنة يعتمد عليها الجميع، ستتوقف الحياة وستحل كارثة تطال الجميع، اذا أردنا أن نتصور حدوث أزمة كهذه في تلك الفترة، لنقرأ هذا التصور الذي أورده لوريمر في كتابه «دليل الخليج» متخيلا توقف صناعة الغوص على اللؤلؤ يقول «عندها ستحل الكوارث في كل مكان بالمنطقة، فستصاب تجارة الكويت بالشلل، وستفقد البحرين خمس عائدات تجارتها، أما موانئ ساحل عمان فستختفي من الوجود»[٧].



(1) LORIMER, Gazeetter of the Persian Gulf, IIB, Geographical, P. 1437.
(2) L/P & S/20/E - 84.
(3) Ibid.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن معدلات تصدير اللؤلؤ من منطقة الخليج في بداية القرن العشرين، انظر الجداول التي اعدها لوريمر في الجزء الخاص باللؤلؤ في كتابه (دليل الخليج) القسم التاريخي.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر، محمد الفارس، الاوضاع الاقتصادية في امارات الساحل.

(6) Administration Report For the Trucial Coast For the year 1918, The Persian Gulf Administration Reports, vol. 7, P.53.
(7) Lorimer, Gazeetter of The Persian Gulf, 1 Histrorical Part 2, P.2220.

(٣)



العين عام ١٩٦٢

خلال فترة طويلة من الزمن، تكونت معادلة صعبة، تقوم على أساس وجود علاقة لا يمكن فصلها بين السيطرة الاجنبية، وبصفة خاصة الآسيوية، على مختلف مناحي الحياة الاقتصادية في الامارات، وبين وجود العمالة التي هي في معظمها آسيوية. وكانت معدلات النمو السريعة والمكثفة لتلك العمالة تجسيدا للامر الواقع الذي أخذ يتبلور مع مرور الوقت، على اساس الحاجة الدائمة لهؤلاء نتيجة لتملك الآسيويين معظم المؤسسات الاقتصادية وتفضيلهم لابناء جلدتهم للعمل بها، واصبح من الصعب فك الارتباط في هذه العلاقة: التركيبة السكانية سلسلة من الحلقات المتشابكة مع بعضها بشكل معقد، والحل لا يمكن ان يكون جزئيا، عزوف المواطنين عن العمل التجاري في البدايات المبكرة لظهور النفط، واستمرار هذا الوضع على مدى السنوات الاربعين الماضية، اوجدا وضعا من الصعب تغييره. هذا العزوف في الماضي كانت له اسبابه الخاصة، مثل قلة عدد المواطنين، وعدم وجود الخبرة الكافية، وعدم وجود رؤوس الاموال، والفرص الجيدة المتاحة في ذلك الوقت للعمل في الحكومة، وكانت تلك فرصة كبيرة للوافدين لملء هذا الفراغ بسبب توفر الخبرة، ورؤوس الاموال، ومن لا يملك منهم رأس المال يستطيع تدبيره بسهولة بسبب سيطرتهم على القطاع المصرفي ووجود بنوك اجنبية لا تخضع للرقابة الكاملة، كثير من القوانين التي صدرت في الماضي لم تطبق، منها مثلا قانون الشركات، فقد استمر الوضع كما كان سابقا، ولم تطبق مسألة شراكة المواطنين بصفة حقيقية في المؤسسات التي يكفلونها.

المواطنون الذين يرغبون الآن بالدخول الى السوق والعمل بالتجارة، يجدون صعوبة كبيرة في مناطحة الكبار، وفي حين تنجح بعض تلك المحاولات، وبصفة خاصة لاصحاب المهن مثل المهندسين والاطباء والمحامين، تفشل محاولات كثيرة ترتاد القطاعات الاخرى.

وكان الامل الوحيد لحل هذه المشكلة قد تمثل في تأسيس الشركات المساهمة التي انشىء الكثير منها في السنوات القليلة الماضية بشكل مكثف. كانت تلك الشركات فرصة ثمينة لادارة اقتصاد البلد بسبب رؤوس اموالها الضخمة، وتملكها الجماعي من المواطنين فقط، كان من الممكن لتلك الشركات ان توجد

فرص عمل جديدة لآلاف المواطنين العاطلين الآن عن العمل، وتؤسس شركات فرعية لمختلف انواع التجارة، وتؤسس قاعدة صناعية، ويتخلى الناس تدريجيا عن الاعتماد على القطاع الحكومي المشبع بالموظفين، والمرهق بسبب ضغط التعيينات وطوابير المنتظرين. ولكن ماذا حدث؟ ماتت معظم تلك الشركات في المهد، بعد ان تحولت الى ميدان للمضاربات بأسهمها، بدلا من ان تخلق فرص عمل جديدة.

اذا كانت السيطرة على الوضع الاقتصادي حديثا قد بدأت منذ بداية تدفق النفط، فيهمنا ان نعرف إن كانت هذه السيطرة لها جذور قديمة. من المعروف ان الاستغلال الاجنبي للقدرات الاقتصادية للمنطقة قد بدأ منذ مئات السنين، ولسنا هنا بصدد الحديث تاريخيا عن القوى الدولية التي تصارعت من اجل السيطرة على الموقع الاستراتيجي للخليج في التجارة العالمية في القرون الماضية. ولكن لنكمل موضوعنا، وهو السيطرة الآسيوية بصفة خاصة على الاقتصاد، ونرى كيف كان الوضع في اواخر القرن التاسع عشر.

معروف ان نظام الغوص على اللؤلؤ كان مرتبطا بعمليات التمويل التي يقوم بها التجار الهنود في كل منطقة الخليج، هذه العلاقة لا شك نشأت نتيجة عوامل كثيرة، منها ان الهند كانت هي السوق الرئيسية للؤلؤ. ولكن يهمنا ان نعرف المزايا التي كان يتمتع بها هؤلاء بصفتهم رعايا بريطانيين، واستغلالهم لتلك المزايا للسيطرة على الاقتصاد، واستنزاف الثروات.

في عام ١٨٦٢ قامت الحكومة البريطانية، بتسيير سفنها التي تعمل بالبخار والتي تتفوق بالطبع على السفن الشراعية، للعمل على خط الهند ـ الخليج. وبذلك حطمت بريطانيا واحدة من اهم المهن التي امتهنها ابناء المنطقة لمئات السنين. إدخال السفن البخارية قضى على عمل سفن النقل الشراعية التقليدية التي كانت تعتبر الناقل الرئيسي لمختلف السلع بين كل من الهند والصين وشرق آسيا، وبين منطقة الخليج التي كانت بمثابة منطقة تجميع للسلع قبل نقلها الى اوروبا. هذا الوضع الاقتصادي الجديد ادى الى سلسلة من النكبات، فقد اضطر عدد كبير من ربابنة السفن المحليين لوقف عملياتهم التجارية بعدما عجزوا عن

منافسة وسائل النقل الحديثة التي تتمتع ايضا بتخفيضات كبيرة في اجور النقل قام بها اصحاب البواخر البريطانية. تراجعت ايضا مهنة اخرى نتيجة الوضع الجديد، هذه المهنة هي صناعة السفن الكبيرة المعدة لاجتياز المحيطات، وسقط نظام (المناطق الحرة) لبعض الموانئ المهمة في المنطقة واهمها ميناء مسقط. لقد استفاد الآسيويون من هذا الوضع عندما عينتهم شركات الملاحة البريطانية الاوروبية كوكلاء في المنطقة، وبذلك تم سحب البساط من تحت ابناء المنطقة الذين كانوا يحتكرون العمل بهذه المهنة.



مهنة صناعة السفن، إحدى أهم المهن قبل النفط

وتقول احدى الدراسات التي اعطت صورة عن الوضع في عمان كنمودج بان القروض الهندية للتجار العرب ازدادت مع مرور الوقت بحيث غدا الهنود في اواخر حكم السلطان سعيد يملكون بل ويسيطرون على الجانب الاكبر من السفن العربية[1]. تحطم مهنة النقل بالسفن الشراعية كان احد اهم الاسباب التي ادت الى اتجاه ابناء منطقة الخليج اتجاها كليا للعمل بمهنة الغوص بعد ان اصبحت المهنة الوحيدة المتاحة لهم، وادى ذلك الى ازدهار تجارة اللؤلؤ في اواخر القرن التاسع عشر، والربع الاول من القرن العشرين.

إذن توفرت فرصتان كبيرتان للآسيويين في تلك الفترة للتحكم بعجلة الاقتصاد، الفرصة الاولى العمل كوكلاء لشركات الملاحة الاوروبية، والثانية الاستفادة من فرصة ازدهار تجارة اللؤلؤ في وضع شروطهم لعمليات تمويل سفن الغوص.

لنطرح سؤالا :

هل هؤلاء الآسيويون الذين اتيحت لهم كل هذه الفرص استغلوا الظروف التي مر بها اقتصاد المنطقة بعد تعرضه لهزات عنيفة فيما بعد؟

التاريخ يقول نعم، فعمليات استغلال الفرص وتدمير الاقتصاد التي تحدث في وقتنا الحاضر من خلال الاستفادة في اوقات الازدهار والهروب في اوقات الكساد، حدثت في الماضي مع الفارق في الاسلوب. لنأخذ مثلا فترة العشرينات من القرن العشرين، فعندما بدأ اللؤلؤ الاصطناعي بالانتشار في المنطقة، شارك الآسيويون في هذا العمل الذي ادى الى تخريب الاقتصاد المعتمد على حرفة واحدة.

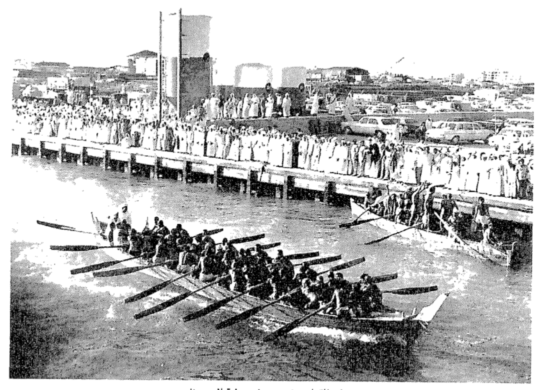


أبوظبي في الخمسينات

حول هذه الموضوع، تشير الوثائق البريطانية الى انه في عام ١٩٢٤ قامت مجموعة من الهندوس بشراء كمية كبيرة من اللؤلؤ الاصطناعي لاجل خلطها مع اللؤلؤ الطبيعي، وعندما اعترض الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي على تصرفاتهم، قاموا برفع شكواهم للمقيم البريطاني بصفتهم مواطنين بريطانيين. وبعد الانهيار الكامل لصناعة اللؤلؤ عام ١٩٢٩، قام هؤلاء بممارسة ضغوط كبيرة على التجار المحليين لتسديد ديونهم، واستعانوا بقوة القانون تحت مظلة الحكومة البريطانية[٢]. ياترى الى اي حد يوجد تشابه بين الماضي والحاضر؟

لو تأملنا الوضع السكاني في بداية القرن العشرين، نلاحظ ان تركيبة السكان التي تتميز بتفوق العنصر الوطني لم تكن سببا كافيا للمحافظة على المكتسبات المعيشية للسكان. كانت اعداد قليلة من الاجانب كافية لاحداث خلل في المنظومة الاقتصادية. وفي ظل عدم وجود حكومات في ذلك الوقت، استغلت هذه القلة من الاجانب الفراغ المتمثل بعدم وجود رؤوس اموال منافسة، وعدم وجود قانون، لتدير الاقتصاد لمصلحتها. الآن نجد وضعاً مشابها. فتوفر رؤوس الاموال لدى الاجانب او بمعنى اصح تدبيره بسهولة، وضعف القانون، اديا الى التغلغل في جميع مناحي الحياة الاقتصادية، وساعد على ذلك غياب المنافسة الوطنية. يسيطر الآسيويون الآن ليس على تجارة الجملة والمفرق فقط، وانما على معظم الوكالات التجارية التي تسجل بأسماء وطنية، وما زال وضع الكفيل سائدا. السيطرة ممتدة ايضا على الوظائف المهمة في البنوك والمؤسسات الكبرى والشركات الخاصة. كان غياب العنصر الوطني المتعلم والمؤهل في السنوات الاولى من عصر النفط فرصة للآسيويين للاستحواذ على تلك الوظائف، وفي حين خطت الدولة خطوات واسعة في نشر التعليم، وارسال البعثات التعليمية، وتأسيس الكليات والجامعات، والتأهيل عن طريق الدورات التدريبية وغيرها، لم تخط خطوات مشابهة في عملية الإحلال، ويجد الآن آلاف الخريجين المؤهلين تأهيلا عاليا، انفسهم من دون عمل، وبدأت قاعدة البطالة تزداد يوما بعد آخر. ان كثيراً من المواطنين حملة المؤهلات العليا ومنهم ذوو التخصصات العلمية المهمة، يعملون الآن كتبة في الوزارات الحكومية. كل سنوات التعليم والتأهيل ذهبت

هباء، ولم تكن هناك خطة لاستيعاب هؤلاء المتخصصين في مؤسسات او مراكز مناسبة لمستوى تأهيلهم العالي.



سباق القوارب في دبي في بداية السبعينات

لقد اهدر وقت ومال كثير للوصول الى نتائج سلبية في معظم الاحيان، إن احد اهم اسباب التخلف الاداري هنا هو ان الامور تتوقف عند نقطة تخريج اعداد كبيرة من المتعلمين. اما المرحلة الاهم وهي كيفية تأهيل هؤلاء المتعلمين ووضعهم في الاماكن المناسبة لتحديث وتطوير النظم الادارية ومواكبة التطور العلمي العالمي في شتى المجالات، فهذا غير مطبق في معظم الاحيان.

هناك ايضا مشكلة عدم وجود قاعدة عمل انتاجية مختلفة عن العمل الحكومي الروتيني، كان بالإمكان مشاركة القطاع الخاص الموجود حاليا، او تأسيس مؤسسات خاصة شبه حكومية تتجه للانتاج الصناعي والزراعي لاستيعاب آلاف الخريجين المؤهلين لهذه المجالات.

ستواجه الدولة في السنوات المقبلة مشكلة وجود آلاف العاطلين عن العمل الذين يتكاثرون الآن بشكل سريع.

القطاع الخاص يسيطر عليه، اما كبار التجار المواطنين الذين يحتكرون معظم الوكالات التجارية، او الوافدين. وليست هناك اية فرصة لبقية المواطنين للمشاركة في هذا القطاع سوى العمل عند هؤلاء كموظفين، والاوضاع الحالية اوجدت احباطات لدى قطاع كبير من الجيل المتعلم. يرى الكثير من الشباب في وقتنا الحالي عدم جدوى الحصول على الشهادة. فهم يرون بأعينهم ان الحاصلين على الشهادات العليا ينتهي بهم المطاف ليصبحوا اما كتبة أو عاطلين. وهذه القناعة تتوسع يوما بعد آخر، ونرى نتائجها في تسرب الطلاب من المدارس والاتجاه للعمل في جميع القطاعات التي لا تشترط وجود شهادات عليا. فئة انصاف المتعلمين تزداد الآن وتختصر الطريق الذي ترى ان نهايته المتوج بالشهادة لا يسمن ولا يغني من جوع. فئة انصاف المتعلمين انتشرت في معظم الدول العربية منذ سنوات طويلة، بعد ان واجهت تلك الدول المشكلة نفسها ولكن دولا عربية كثيرة استوعبت هؤلاء في الكليات المهنية، وتخرج آلاف الطلاب المهنيين. هل ينطبق هذا الوضع على الامارات؟ حتى الآن لا. فأنصاف المتعلمين اما يتجهون الى العمل العسكري، او الوظائف البسيطة اذا توفرت. وهناك فئة كبيرة من الشباب تكتفي بالتسكع في الشوارع، ولا تقبل العمل بأي مهنة. البطالة الموجودة حاليا ليست في جميع احوالها قسرية. وانما احيانا تكون اختيارية، الفئة الاولى التي تكتفي بالوظيفة البسيطة والفئة الثانية التي لا تريد العمل وتوسع قاعدة هاتين الفئتين مع مرور الوقت، يعني ان السعي للافضل ليس ضروريا، اذا كانت الرفاهية الحالية لا تحفز على الطموح والسعي للافضل. اذاً ماذا سيفعل هؤلاء لو عاشوا في ظروف الآباء والاجداد؟ هناك فارق كبير في القناعة والشعور بالمسؤولية بين جيل الآباء وجيل الابناء. كان العمل في الماضي من اهم صفات الرجولة. الرجل الذي لا يعمل ينظر اليه نظرة انتقاص. لماذا ياترى اختفت هذه النظرة الآن؟ لو قرأنا التاريخ سنرى مدى قسوة الحياة التي واجهها الآباء.

كانت الحياة سلسلة من المصاعب التي لا تنتهي. لنقرأ بعض الوثائق ونرى جانباً من جوانب تلك المآسي، ولتكن فترة ظهور اللؤلؤ الاصطناعي في منتصف العشرينات. فمشكلة ظهور اللؤلؤ الاصطناعي ادت الى وجود مشكلات اخرى.



قصر الحاكم في أبوظبي عام ١٩٦١

فقد استغل بعض التجار وخاصة الاجانب الوضع السيئ لإغراق الاسواق باللؤلؤ الاصطناعي، كما حاول بعض التجار تكرار التجربة اليابانية باستزراع لؤلؤ في مياه الخليج، مثلما حدث في البحرين عام ١٩٢٩، وادى هذا الوضع الى استصدار لوائح واعلانات من الحكومة البريطانية تمنع امتلاك او تصنيع اللؤلؤ الاصطناعي، واثناء فترة حدوث هذه المعاناة التي راح ضحيتها المواطنون الفقراء، نشبت الحرب العالمية الثانية، فإزدادت الأوضاع سوءاً، وبدأت سلسلة جديدة من المتاعب، لنر بعض ما حدث في تلك الفترة، فبريطانيا مثلا وضعت كل ثقلها في الحرب لدعم المجهود الحربي، وعلى الرغم من البعد النسبي لمنطقة الخليج عن مناطق العمليات الحربية، الا انها كانت مشمولة بالاجراءات البريطانية، وتم تطبيق سياسة التقشف عليها[٣]. وجيل آبائنا واجه سلسلة من المصاعب التي أتت تباعاً وكان أقساها ما حدث عام ١٩٤٣ عندما اصدرت السلطات البريطانية قرارا بإيقاف تصدير الحبوب من الهند الى الخارج، وتسبب هذا القرار في احداث موجة من الذعر في منطقة الخليج، حيث ان الارز وهو اهم انواع هذه الحبوب بسبب كونه الغذاء الرئيسي لابناء منطقة الخليج، اصبح مشمولا بهذا القرار[٤].

لو تأملنا الوضع في تلك الفترة . ماذا سنجد ؟ بطالة نتيجة تعطل عمل معظم سفن الغوص عن العمل . قيود بريطانية على الواردات . ووصل الامر الى السلع الغذائية الرئيسية . انغلاق شبه كامل عن العالم الخارجي . ولا شك ان الوضع الاقتصادي السيئ قد ادى الى وضع اجتماعي وصحي سيئ ايضا .

هنا بدأت وضعية جديدة تبرز في المجتمع ، ولم تكن موجودة في الماضي . هذه الوضعية هي الهجرة . لقد بدأ ابناء الامارات امام هذه الاوضاع الاقتصادية الضاغطة بالتفكير بالهجرة والنزوح من بلدهم الى بلدان الخليج الاخرى التي كان النفط قد اكتشف فيها في تلك الفترة ، وبدأت تتوفر فيها فرص عمل كثيرة ، وهنا كانت الهجرة واحدة من اهم التحولات الاجتماعية لمجتمع الامارات في منتصف القرن العشرين ، وشهدت الهجرة جانبين ، سلبي وايجابي . ففي الوقت الذي ادت فيه تلك الهجرة الى تفريغ المجتمع من اهم مقوماته وهو المورد البشري ، ادت في الوقت نفسه الى تحسن مستوى المعيشة ، وبداية الخروج من العزلة التي فرضتها بريطانيا عشرات السنين .

الهوامش :

(١) انظر روبرت لاندن ، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر محمد الفارس ، الاوضاع الاقتصادية في امارات الساحل .

(٣) وثائق غير منشورة R/15/4/13 DATED 4 th. SEP 1941 , NO.307,309,620 .

(٤) انظر محمد الفارس ، المرجع السابق .

(٤)



سوق أبوظبي عام ١٩٦٢

يضطر الناس للهجرة من أوطانهم عندما تضيق بهم السبل، وهناك أسباب كثيرة للهجرة، ولكن في معظم الأحيان تكون أسباب الهجرة اقتصادية بحتة، وما تشهده الامارات الآن من هجرة واسعة لمختلف الجنسيات، يعود الى كونها أصبحت منطقة جذب بسبب توفر فرص العمل. لو عدنا الى الماضي، وبالتحديد الى الاربعينات والخمسينات من القرن العشرين. كيف كان الوضع في الامارات في تلك الفترة؟ لا يعرف كثير من أبناء الجيل الجديد من المواطنين ان بلدهم شهد ايضا هجرة واسعة في تلك الفترة، ولكنها كانت هجرة عكسية قام بها آباؤهم وأجدادهم الى الكويت والسعودية وقطر والبحرين التي توفرت بها فرص عمل كثيرة في ذلك الوقت بسبب اكتشاف وتصدير النفط. لماذا اضطر المواطنون للهجرة من بلدهم في تلك الفترة؟ تشير الوثائق البريطانية التي امدتنا بمعلومات مفصلة عن الأوضاع الاقتصادية في ذلك الوقت، الى أن الامور كانت تزداد سوءا مع مرور الوقت منذ بدأت الأزمة الاقتصادية في أواخر العشرينات، فقد انهار اللؤلؤ بعد ظهور اللؤلؤ الاصطناعي في منتصف العشرينات، واكتمل هذا الانهيار بالأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩ بصفته من الكماليات. انهيار اللؤلؤ أدى الى انهيار كل شيء، فقد خسر الممولون وأكثرهم من الهندوس وبدأوا يطالبون بديونهم، انهارت طبقة صغار التجار المواطنين، وكان أكثر المتأثرين بهذه الأزمة طبقة البحارة التي تتشكل من معظم أبناء المجتمع، تأثرت أيضا الصناعات التابعة لحرفة الغوص مثل صناعة السفن. فترة الثلاثينات شهدت أسوأ الأوضاع الاقتصادية، وفي نهايتها نشبت الحرب العالمية الثانية، فازدادت الأحوال سوءاً بعد أن قامت بريطانيا بتطبيق سياسة التقشف على الدول التي تخضع لسيطرتها، ومنها منطقة الخليج، فمنعت دخول الكثير من السلع الأساسية[١] هذه الأوضاع التي لا تطاق، كانت دافعا لهجرة آلاف المواطنين. دوافع شبيهة في وقتنا الحاضر تدفع الآلاف للهجرة من أوطانهم، دول الخليج ليست هي الدول الوحيدة التي ينزح اليها الناس، فهناك الآن هجرة واسعة من جميع دول العالم الى الدول التي تعطي امتيازات واسعة للمهاجرين مثل كندا واستراليا ونيوزيلندا، ولكن يفضل الكثير، وخاصة العرب، الاستقرار في دول الخليج، بسبب كونها دولاً عربية، ويفضل

كثير من الآسيويين أيضا دول الخليج بسبب قرب المسافة مع دولهم، وعدم وجود ضرائب فيها، وسهولة تحويل الأموال منها. ولكن لو قارنا بين القوانين المنظمة للهجرة في الدول المستقبلة للمهاجرين، وبين ما يحدث هنا على سبيل المثال. فسنجد فارقا كبيرا في كل الأمور، فبدءا من اجراءات قبول طلبات الدخول، ومرورا بتصنيف الأولويات من حيث أفضلية المهاجرين، وانتهاء بالموافقة على تلك الطلبات، سنجد أن في كل اجراء من هذه الاجراءات هناك نظام وضوابط في تلك الدول بينما لا يوجد شيء من هذا هنا، لا يوجد هنا تدقيق في نوعية القادمين، ولا أفضلية للمؤهلين، وتتم عمليات الموافقة والاستقدام بدون تنسيق بين الدوائر على مستوى الدولة.

متى ندرك ان ثروتنا البشرية هي أهم الثروات التي يجب حمايتها؟ وفي مجتمع قليل السكان كالامارات، تصبح الأهمية مضاعفة، قلة عدد المواطنين تستوجب وضع قوانين لحماية حقوقهم، وإعطاء الأولوية لهم في كل شيء فعليا وليس

648 *Records of the Emirates*



A NOTE ON THE FINANCES OF SHARJAH.

No detailed picture of Sharjah's economic condition can be drawn because no records are available covering any department of activity within the Shaikhdom.

2. What passes for the administration may be briefly described. The Secretary of the Shaikh, who plays the dual role of administrative officer and confidant, has placed one of his brothers as clerk in charge of the Marine Customs house, and another brother in charge of the Customs barrier on the road from Dubai. Duty is levied at the flat rate of 2% on the value of all imports.

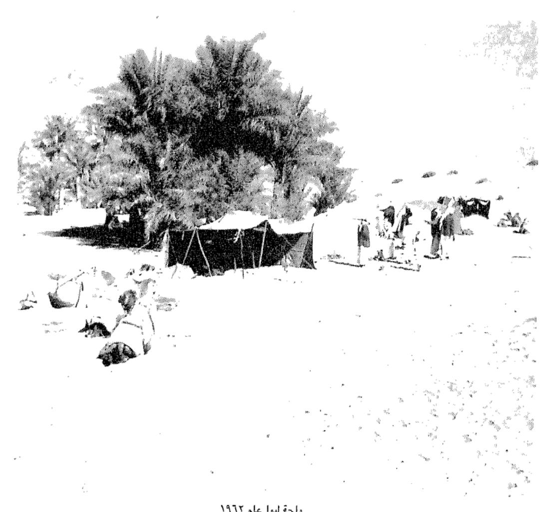
Applications for certificates of identity i.e. passports, are presented to the Customs clerk (Marine) who puts them before the Shaikh through his Secretary; when signed by the Shaikh the applications are returned to the applicants who bring them, bearing this cachet, to the Agency.

3. Both the above activities, viz. customs and passports, are profitable to the Shaikh or those who surround him. But our information about each is scanty:

(a) Customs. While the control of piecegoods and wheat continued, that is until 1949, the Sharjah authorities used to submit to the Political Officer a monthly statement of imports showing the various commodities, the quantity, the port from which shipped and the date. It was a defect of these returns (which may still be inspected in the Agency) that they did not show the dues collected. So far as one can understand, it would not be difficult to ask that the submission of these statements should be resumed and that the income on account of customs duty should be shown; the trouble is that full reliance could not be placed upon the information thus gained. The chief imports are rice, wheat, sugar, tinned fruits, piecegoods; and these mostly arrive at Sharjah (whether by water or by road) from the neighbouring Dubai.

دعائيا، اذا كان استقدام أعداد كبيرة من العمالة ضروريا في الماضي، فما الداعي له الان بعد أن تشبعت البلد بالبشر، وازدادت أعداد المواطنين العاطلين عن العمل؟ ان وجود أعداد كبيرة من المواطنين العاطلين الآن، في الوقت الذي يعمل فيه الوافدون، ربما يؤدي في يوم من الايام الى وجود معادلة غريبة هي هجرة المواطنين من بلدهم، وهجرة شعوب الدول الأخرى الى الامارات. ان الانفتاح الاقتصادي يستوجب المحافظة على سيطرة وقيادة المواطنين لمعظم ـ ان لم يكن كل ـ القطاعات. عدم تدارك اخطاء هذه الكثافة واغلاق الابواب امام المواطنين في مجالات العمل المختلفة ربما يؤدي الى وضع مشابه لما حدث في الخمسينات عندما افرغت الامارات من أبنائها بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، لنقرأ بعض الوثائق ونرى كيف كانت الأوضاع في تلك الفترة، وماذا حدث، يقول ايفانز الذي كتب تقريرا عن الشارقة عام ١٩٥٠ «ان الشارقة كانت مدينة هامدة في تلك الفترة، يقطنها عدد قليل من السكان يتراوح ما بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ نسمة، حيث هاجر معظم أهلها الى دول الخليج للبحث عن فرص العمل، وكان دخل الامارة قليلا ومقتصرا على الدفعات السنوية التي تدفعها شركة النفط المنقبة، والدفعات المالية التي تقدمها الحكومة البريطانية نظير الخدمات الجوية في مطار الشارقة، ومبيعات الاوكسيد الاحمر، والجمارك، وقد استجد دخل جديد نتيجة الهجرة وهو اصدار الجوازات، حيث أصبح جواز السفر وثيقة مهمة تجعل الباحثين عنه مستعدين لدفع أي قيمة مقابل اصداره، وقد صدر ما يقارب الـ ٣٠٠٠ وثيقة سفر في الامارات عام ١٩٤٩، وشكل رعايا الشارقة الاغلبية بين المهاجرين الى دول النفط [٢]. عندما تصدر ٣٠٠٠ وثيقة سفر في سنة واحدة فمعنى هذا ان حجم الهجرة كان كبيرا جدا، وكما أشار التقرير فإن رسوم اصدار الجوازات أصبحت موردا للدخل. معدلات الهجرة ازدادت فيما بعد بشكل كبير، حيث يقول تقرير آخر للمقيم البريطاني «ان معدلات الهجرة ازدادت في الخمسينات، فمن جملة عدد سكان الامارات البالغ ما بين ٦٠ - ٨٠ ألف نسمة، اضطر حوالي ١٧ ألف شخص للرحيل والبحث عن فرص عمل في حقول النفط في الدول الخليجية، وساعدت شركات النفط العاملة في كل من الكويت، والسعودية وقطر

والبحرين على توفير فرص عمل شجعت سكان الامارات والعمانيين على الهجرة، وللدلالة على مدى ازدياد معدلات الهجرة، يمكننا النظر الى عدد وثائق السفر التي اصدرها المعتمد البريطاني لهؤلاء العاملين، ووصلت الى ما يقارب الـ ٢٠ ألفا سنويا»[٣].



واحة ليوا عام ١٩٦٢

كما هو واضح، كانت هناك هجرة كبيرة أفرغت الامارات من أهم مواردها، كانت مسببات الهجرة بلا شك كبيرة وقاسية، ولم تكن فرص العمل المتاحة في دول الخليج مرفهة، ولكنها بالطبع كانت أفضل من الوضع في الامارات، هذه

الاعداد الكبيرة التي بدأت بالنزوح منذ الاربعينات بمعدلات بسيطة وازدادت في الخمسينات. لابد أنها وجدت ما يرغبها بالاستقرار هناك، وأيضا يرغب غيرها في اللحاق بها. عندما يصل حجم الهجرة الى ٢٠ الف شخص سنويا، فلاشك أن هذا الوضع شكل ظاهرة. طبعا هذا العدد يشمل المواطنين والعمانيين، ولكنه أيضا رقم كبير مهما كانت نسبة المواطنين، هذا يجرنا الى الحديث عن سياسة استيعاب القوى العاملة الخليجية التي اتبعتها الدول الخليجية في تلك الفترة، وكانت تلك نظرة ثاقبة في الاستفادة والافادة، استوعبت تلك الدول رعايا الامارات وعمان الذين كانوا في أمس الحاجة للعمل، مع أنه كان بإمكانها أن تلجأ الى استقدام العمالة الأجنبية الأرخص في تلك الفترة، كانت الأيدي العاملة الرخيصة الموجودة في ايران وبلوشستان والهند وباكستان متوفرة أيضا في تلك الفترة، هذا الاستيعاب الخليجي لابناء الامارات وعمان المحتاجين للعمل في تلك الفترة، أدى الى تدفق عمالة كثيفة لتلك الدول. لم تؤثر هذه الاعداد الكبيرة في التركيبة السكانية للدول المستقبلة للعمالة، بل وجدت تلك العمالة كل ترحيب، وذابت في تلك المجتمعات بين الأهل والأصحاب. الانسجام في التركيبة الاجتماعية بين المجتمعات المصدرة للعمالة والمستقبلة لها وعوامل الانسجام المتمثلة في اللغة والعادات والتقاليد والدين، أدى الى اندماج القادمين والمستقبلين، لم تنعزل هذه العمالة مثلما يحدث الآن، حيث يكوّن المهاجرون وخاصة الآسيويين مجتمعا خاصاً بهم داخل مجتمع الامارات. اندمج ابناء الامارات مع اقرانهم في الدول التي هاجروا اليها، وتزاوجوا معهم، وجمعتهم صلات قربى ونسب وصداقة. هذا الانسجام لم يؤد الى وجود مشاكل اجتماعية في المجتمعات المستقبلة للعمالة كما يحدث الآن في الامارات، لم تؤد هجرة ابناء الامارات والعمانيين في تلك الفترة الى انتشار الجريمة بشتى أنواعها، وانتشار المخدرات، والقتل والسرقة والسطو وغيرها من الجرائم التي نقرأ عنها الآن بشكل يومي في صحفنا، وأبطالها في معظم الأحيان من الآسيويين. العمالة الوطنية التي رحلت من هنا في الخمسينات كانت بقصد العمل، وكان هذا هو هدفها فقط، ماذا عن العمالة التي نستقبلها الآن والتي قدم بعضها لتكوين عصابات لمختلف الجرائم؟ حتى التسول له عصابات منظمة تتمنى المجيء من بلدها من أجل التسول.

The economy of Dubai and Sharjah 649



- 2 -

British Indian Steam Navigation liners, thanks to the pressure which the Political Resident has brought to bear upon the Company, are indeed calling at Sharjah once a month, but the assertion remains valid that Sharjah imports are generally from Dubai, and not direct from abroad.

(b) Passports. The exodus from Sha.. territory of traders and labourers which was arrested during the period of war, has been particularly marked over the last year or so. In 1949 more than 3,000 certificates were issued to applicants belonging to the Trucial Coast, a high percentage of these being to subjects of the Sharjah Shaikhdom; mostly labourers migrating to Qatar, Bahrain, Kuwait and Saudi Arabia. So long as these conditions persist, a passport will be a document of value for which the applicant must be ready to pay an appropriate price.

4. Equally impossible to assess is the income which the Shaikh derives from what can comprehensively be called his business interests. This will include (a) the rent from property - houses and shops in the town of Sharjah - and (b) the profits from commercial enterprises.

In regard to (b) we know that the Ruler's brother, Mohammed bin Saqr, is associated with merchants who are engaged in building and in running a large motor launch which plies between Bahrain and the Trucial Coast, and that the Ruler's wife, Mira by name, deals in gold and valuables in partnership with a Hindu merchant, Lalchand of Sharjah.

5. Leaving surmise, one turns to the regular payments received by the Shaikh which are accurately known. First there is the annual payment by Petroleum Development (Trucial Coast) Limited of Rs.30,000; secondly, the monthly payment of Rs.3,135 by His Majesty's Government on account of Air Facilities; and thirdly, the income from red oxide amounting to roughly £1000 per annum.

6. The Shaikh's Secretary intimated to one of our officers

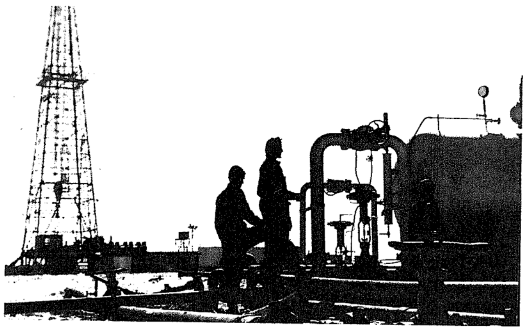
نعـود مـرة أخـرى الى فـوائد هجرة ابناء الامارات الى دول الخليج الأخـرى في الخـمـسـينات، الفـائدة كانت مزدوجة، وللطرفين، فمثلما اسـتـفـادت تلك الدول من هؤلاء، استفاد المهاجـرون من فـرص العـمل المتـاحـة لتـحـسين مـسـتـوياتهم الاقتصادية. وأدت تلك الهجـرة الى حدوث تغيرات اقتصادية مهمة على مستوى المجتمع، واستفادت اعداد كبيرة من عـائلات المهاجرين سـواء الذين رحلوا مـعـهم أو الذين مكثـوا في الامـارات. يقـول تقـرير المقـيم البـريطاني عـام ١٩٥٣ «ان توفـر السيولة مع المهاجرين ادى الى تحسن مـسـتـوى المعـيـشـة، وعـندما يأتي المهـاجـرون الى وطنهم الامـارات، يجلبـون مـعـهـم مـختـلف أنواع السلع والمواد الاستهـلاكـية، والملابس، وأجـهـزة الراديو والسـاعـات، وأصبـحـت فـترات عـودة المهاجرين من اجازتهم السنوية تمثل فترة رواج وانتعاش في كل الامارات»[٤] وأدى توفر السـيـولة لدى المواطنين الى توفـر فـرص عـمل جـديدة في الامـارات، فـقـد عـاد بعض المهـاجـرين للاسـتـقـرار في الامـارات وبدأوا باسـتـثـمـار أموالـهم في شـراء الشـاحنات وتشـغـيلهـا في منطقـة البـاطنة العـمـانيـة حـيث تشـحـن الفـواكـه والخضراوات لتباع في الامـارات[٥].

الاستفادة من الهجرة كانت استفادة مشتركة، صيغة التعاون بين دول الخليج في تلك الفتـرة أدت الى استفادة الشعوب الغنية والفقيرة من الثروات، والسؤال هنا، لماذا لاتطبق هـذه الصيـغـة في وقتنا الحـاضر، هناك مـلايين العـاطلين عن العـمل

في الدول العربية، وهؤلاء أولى بالاستفادة، من العمالة القادمة من آسيا، لماذا يتجه مئات الآف من العمال العرب للعمل في أوروبا وكندا واستراليا، ويتجه مئات الآلاف من الآسيويين للعمل هنا، ان وجود هذه الاعداد الهائلة من الجنسيات المختلفة أدى الى ضياع هوية البلد، واذا كانت هذه العمالة ضرورية في الماضي عندما كانت الدولة في طور التأسيس، فما هي حاجتها الآن؟ اكتملت معظم المرافق وأصبح الاستغناء عن معظم هذه العمالة ضروريا، هناك مشكلة تنمو الآن بهدوء دون أن نحس بها، هذه المشكلة هي أبناء المستوطنين، هناك آلاف العائلات غير العربية التي ولد أبناؤها وترعرعوا هنا، ولا يعرفون وطنا آخر غير الامارات، ماذا سيحدث لو اصدرت هيئات دولية قرارات ملزمة لجميع الدول بتجنيس كل من ولد فيها بغض النظر عن أصول هؤلاء أو دياناتهم، تحاول امريكا والدول الأوربية الآن تسويق مسألة توطين الجاليات المختلفة في كل بلد تقيم فيه من منطلق انها هي أول من يقوم بذلك.

لنطرح على أنفسنا سؤالا مهما، وهو هل من الممكن ان تحدث هجرة عكسية يقوم بها ابناء الامارات للهجرة من وطنهم كما حدث في الماضي، ليس هناك شيء مستبعد، فهناك الآن هجرة تقوم بها عائلات خليجية من دولها الى دول الخليج الاخرى التي تتوفر فيها فرص عمل أفضل، بل ان هناك هجرات الى أوروبا وكندا. وحدثني أحد الأصدقاء أنه رأي عائلات خليجية كثيرة مقيمة في كندا أسست لها أعمالاً وتسعى للحصول على الجنسية الكندية. اذا لم تعدل القوانين الحالية وتبدأ عمليات التوطين في جميع المجالات بشكل فعلي منذ الآن، فستزداد اعداد المواطنين العاطلين عن العمل ويكبر الرقم يوما بعد آخر. إن الضغط الوظيفي في القطاع الحكومي لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية، واذا لم تتوفر وسيلة لإرغام القطاع الخاص الذى مازال يحجم عن استيعاب المواطنين على مساعدة القطاع الحكومي، فستصل الأمور بعد سنوات عدة الى طريق مسدود، لن تحل هذه المشكلة بعقد الندوات التي يظهر بها المسؤولون في التلفزيون والصحف وهم يتحدثون بكلمات منمقة ويطمئنوا الجميع بعدم وجود مشكلة، وأن الامور تسير على ما يرام.

لنعد مرة أخرى الى موضوع الهجرة في الخمسينات. سنختار دبي وابوظبي مثالين، لنبدأ بدبي، يقول المقيم البريطاني إن عدد سكان دبي كان قبل عام ١٩٥٠ قد وصل الى ٣٨ ألف نسمة، الا ان هذا العدد انخفض الى أقل من ٢٠ ألفا عام ١٩٥٣(٦). أي أن نصف السكان تقريبا هاجروا الى دول الخليج، ولكن نستطيع أن نقول أيضاً أن دبي استطاعت أن تتقدم بخطوات جيدة خلال فترة الخمسينات عندما سبقت الامارات الأخرى بتأسيس بنيتها التحتية، ففي عام ١٩٥٦ بدأ تنظيم الجمارك في دبي، وتأسست قوة للشرطة للمرة الأولى في الامارات، وبدأت تعمل فيها أول محكمة، وفي عام ١٩٥٧ تأسس المجلس البلدي(٧). هذه المرافق أدت الى نمو مركز دبي التجاري، ورجوع كثير من أهلها المهاجرين، ووفدت اليها جاليات مختلفة للعمل فيها. ويقول المعتمد البريطاني في تقريره «إن سكان دبي وصل عام ١٩٥٩ الى ٤٠ ألف نسمة»(٨).

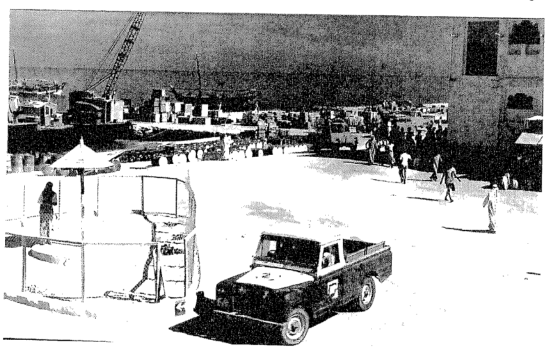


البحث عن النفط، حقل مربان، أبوظبي ١٩٦١

وحتى نرى الصورة الواضحة لدبي في تلك الفترة، لنقرأ ما يقوله المعتمد البريطاني في تقريره عام ١٩٥٨ «إن تنوع الجنسيات في دبي في تلك الفترة يعطي صورة عن مدى الازدهار التجاري للمدينة، فقد كانت تضم جنسيات مختلفة مثل الايرانيين والهنود والباكستانيين»(٩).

باستثناء دبي التي تأثرت بشكل أقل، أثرت الهجرة بشكل كبير في بقية الامارات، وأفرغتها من سكانها، واستمرت الهجرة من الامارات طوال فترة الستينات. لنأخذ أبوظبي مثالاً، ونرى الى أي مدى تأثرت مدن الامارات. في عام ١٩٦٢ كان عدد سكان مدينة ابوظبي ٣٥٠٠ نسمة فقط، ولكنه ارتفع عام ١٩٦٣ الى ٥٠٠٠ نسمة بعد أن تم تصدير الدفعة الأولى من النفط عام ١٩٦٢، وبدأت تتوفر فرص عمل كثيرة بالمدينة الصغيرة، وبدأت تفد اليها أعداد كبيرة من العمالة من مختلف الجنسيات وبصفة خاصة من ايران والهند وباكستان، وأدت احتياجات شركات النفط، وشركات الانشاءات، الى قدوم المزيد من العمالة[١٠]. لنأخذ أيضا فكرة عن عدد سكان المناطق التابعة لأبوظبي في تلك الفترة قبل ان نناقش مسألة تدفق العمالة الاجنبية لها بعد اكتشاف النفط فيها في الوقت الذي كان أبناؤها وابناء الامارات الاخرى يهاجرون الى الدول الخليجية للعمل هناك. يقول تقرير المعتمد البريطاني «إنه في شهري يناير وفبراير عام ١٩٦٢ انتشر مرض الجدرى في دبي، مما استدعى القيام بتطعيم شامل لكافة مواطني ابوظبي والعين، وكانت فرصة مناسبة لاحصاء عدد السكان، وقد تم تحصين ٣٥٦٤ شخصاً في ابوظبي، وقام العاملون في مستشفى البعثة الامريكية في البريمي بتحصين ما يقارب ٥٠٠٠ شخص هناك، وقدر عدد سكان ليوا بأكثر من ٣٠٠٠ نسمة، وقدر اجمالي سكان ابوظبي وتوابعها عام ١٩٦٢ بأكثر قليلا من ١٣ ألف نسمة[١١]. ولكن ذلك العدد أخذ يزداد باضطراد فيما بعد عندما بدأت مشاريع الامارة تزداد مع زيادة عائدات النفط. نعود لموضوع العمالة الأجنبية، يلفت نظرنا مما سبق ذكره أن تصدير النفط من ابوظبي أدى الى تدفق العمالة الاجنبية إليها منذ عام ١٩٦٣ بعد توفر فرص عمل كثيرة في شركات النفط، وهنا نطرح على أنفسنا سؤالاً وهو، لماذا استمر ابناؤها وابناء الامارات الاخرى في الهجرة الى دول الخليج طوال فترة الستينات ما دامت هناك فرص عمل متوفرة في ابوظبي؟ للاجابة على هذا السؤال، سنقرأ ما يقوله محمد الفهيم في كتابه «من المحْل الى الغنى، قصة ابوظبي»، يقول «كان المواطنون يشعرون بالامتنان للحصول على فرص عمل لدى شركات النفط العاملة في ابوظبي،

وكانوا يقبلون بأي اعمال تعرض عليهم، فعمل معظمهم بأعمال يدوية كعمال نظافة وحراس وسائقين وطباخين، الا أن الاعمال الافضل كانت من نصيب الوافدين». ويضيف الفهيم الذي عاصر تلك الفترة «في الوقت الذي تولى فيه الوافدون الاعمال الاشرافية، كان المواطنون يقومون بالاعمال المجهدة، وكان يدفع لهم أقل من ٣ روبيات يوميا، وكان العمال الذين يؤدون نفس العمل في السعودية والكويت على سبيل المثال، يحصلون على خمسة اضعاف هذا المبلغ، وبالاضافة الى الاجر المجحف، فقد عانى العمال المواطنون من ظروف الاقامة السيئة، كما عانوا من سوء الطعام وظروف العمل، وكانت الحياة في المخيمات مقبولة جدا بالنسبة للوافدين الذين كانوا يلقون معاملة أفضل، فكانوا يقيمون في بيوت مسبقة الصنع، ويتمتعون بوجبات مغذية من اللحم والسمك والخضار، في الوقت الذي كان فيه العمال المواطنون ينامون في الخيام اذا كانوا محظوظين، واحيانا في العراء، وكان طعامهم متواضعا، وغالبا ما يتألف من الأرز والعدس، كما كانت فرصتهم في الترقية في الصناعات النفطية شبه معدومة، وأي شخص يحصل على وظيفة يستمر فيها فترة طويلة دون أي بادرة بتحسين أو تغيير وضعه[(١٢)].



أبوظبي ١٩٦٣

والسؤال هنا، هل كان الانجليز يتعمدون التضييق على السكان المحليين بعدم اتاحة الفرصة لهم للعمل في بلدهم؟ ان تسهيلات الهجرة البريطانية للمواطنين الراغبين بالهجرة في تلك الفترة تجيب على هذا السؤال، في الوقت الذى كانت تلك السلطات تسهل اجراءات قدوم العمالة الاجنبية التي بدأت تتكاثر منذ تلك الفترة.

الهوامش:

١ـ للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر، د. محمد الفارس، «الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل»

(2) A note on Finance of Sharjah by H.g. Evans, 12 August 1950, Records of the Emirates, vol. 9, pp. 648 - 652.

(3) Records of the Emirates, Vol. 9, pp .107-113.

(4) The Persian Gulf Administration Reports, Report for the year 1953 vol.11, p.363.

(5) Ibid. & report for the year 1954, vol. 11, p. 416 - 417.

(6) Records of The Emirates, vol 9. pp.17-19.

(٧) محمد الفارس، م.س.

(8) Dubai, Sep 20, Records of the Emirates 1964, p.252.

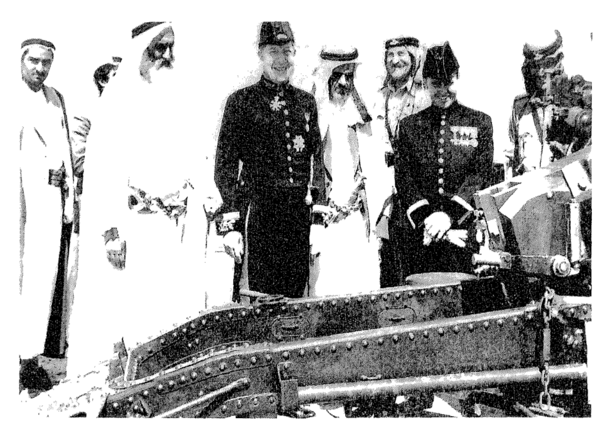
(٩) هاولي، تقرير عن دبي عام ١٩٥٨، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٣، ص٣٥١.

(10) Report of Abu Dhabi, Records of the Emirates 1963, p.199.

(11) Abu Dhabi Economic Report No. 1 of 1962, Record Of The Emirates 1962, p. 390.

١٢ – محمد الفهيم، من المحل إلى الغنى «قصة أبوظبي».

الإدارة البريطانية في منطقة الخليج



Ref: Noor Ali Rashid

مدفعين أهديا لحاكمي عجمان وأم القيوين يتم استعراضهما عام ١٩٦١، ويرى في الصورة من اليسار:
الشيخ حميد بن راشد النعيمي (حاكم عجمان حاليا) والشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم عجمان السابق،
السير جورج ميدلتون المقيم السياسي البريطاني، الشيخ أحمد بن راشد المعلا حاكم أم القيوين.
دونالد هاولي المعتمد البريطاني في دبي

(١)

عندما يطلع أحدنا على أي وثيقة من الوثائق البريطانية سواء كانت رسالة أو تقريراً يجدها مذيلة بتوقيع أحد الساسة البريطانيين أو الوكلاء المحليين العاملين معهم، هذا في حال صدور هذه الرسالة أو التقرير من احدى الوكالات البريطانية في الخليج، والتي كانت موجودة في كل بلد من بلدان الخليج قبل الاستقلال. أما اذا كانت صادرة من وزارة الخارجية البريطانية، أو من حكومة الهند البريطانية في فترة ما قبل استقلال الهند، فنجدها موقعة بتوقيع أحد المسؤولين البريطانيين هناك. ولو تجول أحدنا في مركز الوثائق البريطاني أو مكتب الهند في لندن، أو مراكز الوثائق المتعددة في الهند، فسيذهل أمام هذا الكم الهائل من الرسائل المتبادلة بين الساسة البريطانيين على مدى فترة طويلة من الزمن، وتلك التقارير التي تتحدث عن مختلف جوانب الحياة في منطقة الخليج، التي كتبت في مكان الحدث وأرخت بتاريخ حدوثه. وما يميز تلك المراسلات أو (الوثائق كما أصبح يطلق عليها في ما بعد) دقتها وصدورها من جهات رسمية، ولا يعرف الكثيرون أن تلك الوثائق تعتبر مادة سرية لا يجوز الكشف عنها الا بعد مرور ثلاثين عاما من تاريخ كتابتها، وعلى الرغم من قيام الحكومة البريطانية بنشر آلاف الوثائق التي مرّت عليها هذه المدة، الا أن هناك مجموعة كبيرة من تلك الوثائق غير قابلة للنشر، وظلت محفوظة ولم يسمح لأحد بالاطلاع عليها. ومن يتسنَ له الاطلاع على الوثائق التي تنشر سنويا، يستطيع أن يستدل على الكثير من المعلومات عن مختلف جوانب الحياة السياسية في الشرق الأوسط، وسيرى كيف دُبرت الانقلابات وكيف قامت الثورات في العالم العربي، ودور الساسة البريطانيين في

تلك الأحداث وغيرها، كيف عَقدت اتفاقيات الحدود، وكيف صيغت امتيازات النفط المجحفة، وكيف نُهبت ثروات الشعوب.

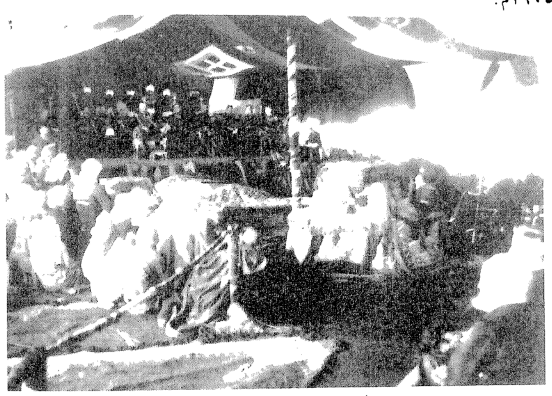
واذا أردنا الحديث عن الوثائق البريطانية، لا بد لنا من أن نعرف هيكلية الادارة البريطانية التي كانت تدير الأحداث وتلعب الدور الرئيسي في صناعة القرار وتقوم بكتابة تلك التقارير (الوثائق) في منطقة الخليج وحتى نتعرف الى تلك الهيكلية، دعونا في البداية نتعرف الى بدايات الوثائق البريطانية، وقصة ظهورها. فمن المعروف أن قصة ظهور تلك الوثائق يرتبط مع تاريخ شركة الهند الشرقية البريطانية ومنافسة هذه الشركة وتحديها للنفوذ البرتغالي في الخليج، وكانت هذه الشركة قد حصلت من امبراطور الهند على امتياز فتح وكالة لها في سورات عام ١٦٠٩م وسرعان ما حدث صدام بحري بين سفن الشركة الانجليزية والسفن البرتغالية المرابطة في جزيرة هرمز، وبعد تعاون شركة الهند الشرقية والشاه عباس في اخراج البرتغاليين من جزيرة هرمز عام ١٦٢٢ م، كافأ الشاه عباس الشركة بفتح وكالة لها في قرية جمبرون الواقعة قبالة جزيرة هرمز على الساحل الايراني، وسميت هذه القرية بعد ذلك الوقت (بندر عباس) ومن وكالة بندر عباس كتبت أولى الوثائق البريطانية عن الامارات، وفي عام ١٦٦١ قدَمت البرتغال جزءا من مهر ابنة ملكها في زواجها من ملك انجلترا شارل الثاني، جزيرة بومبي، وأعطى الملك هذه الجزيرة الصغيرة لشركة الهند الشرقية عام ١٦٦٨م، وانتقل مقر الشركة القديم في سورات الى بومبي، وسرعان ما تطورت بومبي لتصبح أحد المراكز الرئيسية الثلاثة للشركة الانجليزية في الهند (كلكتا ومدراس وبومبي)، وأصبحت بومبي مسؤولة عن نشاط الشركة في الخليج، وكان وكيلها في بندر عباس يكتب رسائله الى حاكم بومبي. وحينما أغلقت وكالة بندر عباس عام ١٧٥٩م، أصبحت ترسل تقاريرها من فرعها في بوشهر، وكان المقيم السياسي في بوشهر يرسل تقاريره أيضا الى بومبي. وتعتبر شركة الهند الشرقية البريطانية مؤسسة فريدة في التاريخ. بدأت شركة تجارية في الهند ولكن سرعان ما تحولت وكالاتها في كلكتا ومدراس وبومبي الى قلاع حصينة يحميها أسطول وجيش، وبسبب انهيار امبراطورية المغول، وجدت الشركة نفسها تمتلك الأراضي

وأصبحت تمارس الادارة والسلطة، وهنا بدأت الحكومة البريطانية تمارس رقابة واشرافا على الشركة، وبعد قيام الثورة الهندية عام ١٨٥٧ م ألغت الحكومة البريطانية هذه الشركة عام ١٨٥٨ م، وباشرت بنفسها حكم أراضيها في الهند، وعين عام ١٨٦٣ م نائب للملك هناك، وأصبح المقيم البريطاني في الخليج يكاتب نائب الملك في كلكتا مباشرة، وانتهى بذلك الدور التاريخي الذي لعبته بومبي في تاريخ الخليج (١). وأصبحت السلطة العليا في توجيه دفة السياسة البريطانية في يد وزير الدولة لشؤون الهند بعدما كانت خاضعة للملك ومجلس الوزراء، وكان يساعد الوزير مجلس وزراء خاص بالهند اختير أعضاؤه من بين المسؤولين البريطانيين المتقاعدين في الهند ممن كانوا يحملون أرفع الألقاب ويتمتعون بكفاءة وخبرة علمية واسعة. امّا الاجراءات الادارية فقد عهد بها الى نخبة من الرسميين المحترفين.

وهكذا انطلقت روح التغيير منذ عام ١٨٦٠ م ولم يمض وقت طويل حتى انتقلت هذه الروح الى منطقة الخليج. وفي الهند احتفظ النائب العام بالسلطة العليا، غير انه كممثل شخصي للملك كان يحمل لقب (نائب الملك بالهند) وكان له مجلس للوزراء يساعده في أعماله، وان كان هو المسؤول الوحيد عن الشؤون الخارجية التي كان يساعده فيها أيضا (وزير خاص) ودائرة أو وزارة للشؤون الخارجية، وكانت الادارة الخارجية هي التي تشرف على شؤون الولايات الهندية وغيرها من المناطق العازلة في الخليج، وحتى سنة ١٨٧٣ م كان محافظ اقليم بومبي الشخص المسؤول عن العلاقات الخارجية في منطقة غربي المحيط الهندي، غير ان هذا الوضع تغير عام ١٨٧٣ م بتسلم حكومة الهند المركزية مقاليد الحكم والسلطة على جميع ممثليها خارج دائرة النفوذ المباشر. وقد عهد بالاشراف على شؤون الخليج بعد سنة ١٨٧٣ م الى مكتب وزير الخارجية التابع لنائب الملك ومقره كلكتا. وبالاضافه الى هيئة الموظفين في حكومة كلكتا، كان يعمل حشد من رجال السلك السياسي الدبلوماسي وعدد كبير من وحدات الجيش المخصصة لرجال التمثيل. ومن الناحية التنفيذية كان اختيار الرسميين يتم عادة من بين المتخصصين في شؤون الامارات الواقعة ضمن الامبراطورية الهندية نفسها أو

في مناطق الحدود، والمناطق الخارجية كالخليج العربي. وعلى الرغم من تعقيدات جهاز الحكم الامبريالي بحكم تراكب السلطة في أعلى مستوياتها فقد كان هذا الجهاز كله (بعد سنة ١٨٧٣م) يرتبط بخط تلغرافي مع نائب الملك في الهند الذي يرتبط بدوره بخط تلغرافي مع حكومته في لندن، وكان نواب الملك في الهند يخضعون في تصريف شؤونهم لمجموعة من القواعد، وبالتالي كانت قراراتهم تخضع لتلك القواعد أكثر مما كانت تخضع لميولهم الخاصة.

وبالنسبة لمنطقة الخليج، كان التركيب الذي تقوم عليه السيطرة البريطانية وطريقة ممارستها يتقرران سرا من حيث المضمون أو من حيث التفاصيل، وعلى هوى الممثلين البريطانيين وحدهم [٢]. وبسبب أهمية منصب نائب الملك في الهند بالنسبة للادارة البريطانية في الخليج التي أصبح مقيموها يكاتبونه مباشرة منذ عام ١٨٦٣م، سنلقي الضوء على أهم شخصية تقلدت هذا المنصب، وكان لها احتكاك مباشر مع أحداث منطقة الخليج بصفة عامة والامارات بصفة خاصة.. هذه الشخصية هي اللورد كيرزون، فمن هو اللورد كيرزون؟ وما أهمية الدور الذي قام به اثناء فترة تقلده منصب نائب الملك في الهند منذ عام ١٨٩٩م الى عام ١٩٠٥م؟



اللورد كيرزون مجتمعاً بحكام الإمارات عام ١٩٠٣ على ظهر السفينة أرغونوت

اللورد كيرزون (نائب الملك في الهند)

عندما تكتب أحداث فترة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في منطقة الخليج، لا بد من أن يذكر اسم اللورد كيرزون نائب الملك في الهند ذلك اللورد القوي الذي ارتبط اسمه بحقبة مهمة وفترة حرجة من تاريخ الامبراطورية البريطانية .

وبالنسبة للخليج يكتسب هذا الشخص أهمية بسبب حدثين مهمين ارتبطا باسمه، الأول: زيارته للشارقة عام ١٩٠٣، والثاني: الأمر الذي أصدره للوريمر وهو أحد موظفي الادارة البريطانية بكتابة أهم مرجع لتاريخ الخليج في العصر الحديث وهو (دليل الخليج) ، وسنأخذ فكرة عن كيرزون قبل التطرق الى أهم أعماله.

تخرج كيرزون في جامعة أكسفورد. ومن أجل التعرف الى الشرق سافر الى مناطق متعددة من آسيا خلال الفترة من عام ١٨٨٢ الى ١٨٩٤م وترك لنا بعد تلك الرحلة سجلا حافلا عن التركيبة الاجتماعية والمزايا الجغرافية والأهمية السياسية لتلك المدن التي زارها، ولا شك في ان تلك الجولات ساعدته لاحقا فيما أوكل اليه من أدوار كان لها أثر واضح في تقرير مصير تلك الدول .

في عام ١٨٩١م عمل كيرزون مساعدا لسكرتير حكومة الهند، ثم عين وكيلا مساعدا في وزارة الخارجية من عام ١٨٩٥ الى ١٨٩٨ م الى أن وصل الى منصب نائب الملك في نهاية عام ١٨٩٨، وشغل تلك المهمة الى عام ١٩٠٥م. وأثناء تولي كيرزون لمنصب نائب الملك في الهند خلال ولايته الأولى بداية عام ١٨٩٩ م ثم ولايته الثانية عام ١٩٠٢م، كان هناك ما يشبه التباين في وجهات النظر بين حكومة الهند وحكومة لندن بخصوص وضع بريطانيا في الخليج، حتى ليمكن القول ان ترتيب الأولويات في عرف كل من الحكومتين لم يكن هو نفسه، وكان ذلك الاشراف المزدوج من الأمور التي عارضها اللورد كيرزون الشخص القوي المصر على أن مشكلات الخليج يجب أن تناط بحكومة الهند وحدها لارتباطها المباشر بالمنطقة، ولكونها السلطة القريبة من الخليج، ولهذا السبب

كانت بعض القرارات تتخذ أحيانا ويتم تنفيذها حتى من دون موافقة الحكومة البريطانية .

وفي الفترة الواقعة بين نهاية القرن التاسع عشر وعام ١٩٠٥ شهدت منطقة الخليج بعض المشكلات في عُمان والبحرين والكويت، وكانت تلك المشكلات هي الشغل الشاغل لنائب الملك ودائرة الخارجية في الهند (٣) .

كانت الفترة التي تولى فيها كيرزون منصب نائب الملك في الهند فترة حرجة، ففي أواخر القرن التاسع عشر، بدأت فرنسا وروسيا الاستفادة من ارتباك الدبلوماسية البريطانية وحروب بريطانيا المتعثرة في جنوب أفريقيا من ١٨٩٩ حتى ١٩٠٢ م، فازدادت أنشطة ومطامع هاتين الدولتين، وجاء موعد هذه التطورات مؤاتيا لتعيين اللورد كيرزون الذي كان قد أصبح خبيرا في شؤون الخليج، حيث طاف في ايران، واستطاع أن يدرس مشكلة الخليج دراسة مستفيضة حتى عرفها جل المعرفة. ويقول لوريمر واصفا شخصية كيرزون «إن للرجل شخصية عنيفة يقابل بها المشكلات بالتحدي من دون خوف، ويجابهها باجراءات سريعة وحازمة» (٤) .

ولكن شخصية كيرزون أيضا كانت تتسم بالغطرسة، لنقرأ آراءه عن منطقة الخليج حيث يقول «فرغت الآن من وصفي التفصيلي لمنطقة الخليج، وأوضحت كيف أضحت الحكومة الايرانية تمارس لونا من السيادة والحكم على سواحلها الشمالية أكثر عنفا مما عرفته البلاد أيام الشاه عباس. اما على ساحلها الجنوبي، فإن الأتراك يحاولون مد نفوذهم المتقلب على الجزيرة العربية، وعلى الدويلات العربية الصغيرة التي ما زالت تحتفظ كليا أو جزئيا باستقلالها الأصلي، ووسط الجميع، تقف بريطانيا العظمى شاهرة سيفها وممسكة بميزان الأمور بيد حازمة وعادلة».

ويكمل «لا ريب في أنه لو انسحبت أو تحطمت تلك الحماية لانتكست أحوال البر والبحر الى حال الفوضى الغامرة التي كانت تتردى فيها»، على أن أهم ما قاله في هذه الآراء وصفه للقبائل العربية حيث يقول «إن القراصنة من الساحل

المقابل قد تعلموا أن السلب والنهب شيء غير مأمون العواقب، وأن هؤلاء الذين ملأوا البحر يوما بسفن الرقيق، أصبحوا اليوم يغوصون بحثا عن اللؤلؤ فقط، وان القبائل العربية بدلا من أن تكون خاضعة للعنة الباشوات قد استعادت حريتها. فذلك كله انما تحقق بفضل عمل الحكومة البريطانية وحدها»[٥].

على أن أكثر ما يهمنا من كيرزون هو زيارته للشارقة في ٢١ نوفمبر ١٩٠٣م التي اختيرت كنقطة مركزية ينبغي حضور شيوخ الامارات الأخرى لها لمقابلة نائب الملك، وحضر شيوخ أبوظبي والشارقة ودبي وعجمان مع أبنائهم والابن الأكبر لشيخ أم القيوين، وأقيم الاحتفال على متن السفينة (آرغونوت) وألقى اللورد كيرزون على الشيوخ خطابا وصفه بأنه خلاصة للتاريخ البريطاني في مياه الخليج خلال القرن التاسع عشر[٦].

وحتى نعرف مدى غطرسة كيرزون، سنقرأ مقتطفات من خطابه الذي ألقاه أمام الحكام حيث قال «إنني على يقين بأن آباءكم وأجدادكم أخبروكم عن تاريخ هذه المنطقة، وعن الحروب المتواصلة التي دارت فيها، حين كان كل رجل هنا اما قرصانا أو قاطع طريق!

هذه ترجمة الخطبة التى القاها حضرة العاليجناب اللورد كرزن بدربار المنعقد فى بندر شارجه بتاريخ ٢١ شهر نومبر سنه ١٩٠٣ ع مطابق سلخ شهر شعبان المعظم سنه ١٣٢١ هجري

يا مشايخ سواحل العرب المعاهدين بالدولة البهية البريطانية انا جئت ثاني حيثية نواب سلطنة الهند العظمى من جانب الدولة البريطانية التى تعرفونها انتم و اباءكم و اجدادكم و جرت بينها و بينكم المعاهدات فى مدة اكثر من مئة سنة و غرض مجيئتي ان اظهر عليكم انكم وان تكونون على بعد من سواحل الهند ما نسيتكم تلك الدولة بل انها قائمة فى طريق الحماية الذى حصل لكم منه الامن و الضمان لحقوقكم من مدة تبلغ مئة سنة تقريبا - و ان اول نواب الهند الذى دخل هذا البحر لا يخرج منه بدون السعي فى ملاقاتكم ولا بدون تجديد المواعيد و المعاهدات التى كانت سببا لاتحادنا فى هذه المدة الطويلة -

ايها المشايخ لاشك ان اباءكم و اجدادكم قد ذكروا عليكم الحالات الماضية لا يخفى عليكم ان مئة سنة قبل اليوم كان الجدال و القتال جاريا على الدوام و كل رجل تقريبا ما كان له شغل الا القتل او الغارة - كانت سرقة الانسان و بيعه كالعبيد فى غاية الشدة - القتل و سفك الدماء ماله حد ولا وقف زمانا - حتى لا يمكن لاى سفينة تجري فى البحر الا ان تخاف حملة السارقين - كل سنة لايزال القتل في محل الغوص - حفظ التجارة و الامن ماله وجود ابدا - عند ذلك

نص خطاب اللورد كيرزون الذي ألقاه أمام حكام الإمارات عندما التقاهم على ظهر السفينة ارغونوت في الشارقة عام ١٩٠٣

ولم يكن هناك أمان للبشر ولا للسفن التجارية الى أن تدخلت الحكومة البريطانية بدافع مصلحتها واهتماما بشؤون رعاياها، وبسبب شرعية تدخلها في كل المياه المتصلة بالهند. وقررت أنه آن الأوان لانهاء تلك الفوضى ومن أجل ذلك جاءت سفننا الى هذه المناطق »[٧].

ويكمل كيرزون «بسبب العلاقات التي نشأت، والتي وافقتم، بمحض ارادتكم، على أن تصبح الحكومة البريطانية وصيا على الأمن الداخلي، فلقد نشأت روابط سياسية بينكم وبين الهند وبمقتضى هذه الروابط أصبحت الحكومة البريطانية قيمة وحامية لكم، وانكم لا تقيمون أي علاقات مع أي قوة أخرى. وقد ألزمت كل امارة من امارات الساحل نفسها بعدم الدخول في أي اتفاق، وبعدم التفريط في أي جزء من أراضيها، وبعدم اقامة أي علاقات مع قوة أخرى، وبعدم وجود أي وكيل أو ممثل لحكومة أخرى، الا بموافقة الحكومة البريطانية. قد يتساءل أحدكم، لماذا تمارس بريطانيا العظمى هذه السلطات؟ ان تاريخ مناطقكم وقبائلكم والوضع الراهن في الخليج يقدم الاجابة عن هذا السؤال، لقد جئنا الى هذه المنطقة قبل أي قوة أخرى في التاريخ الحديث، و(وجدنا المجاعة) فأقمنا النظام. وقد كانت تجارتنا كما كان أمنكم مهددين مما يستوجب توفير الحماية، وفي كل ميناء على طول سواحل الخليج ظل رعايا ملك بريطانيا يقيمون في المنطقة ويمارسون التجارة، ان حماية الامبراطورية الهندية العظيمة والدفاع عنها (تبدأ من مداخلكم البحرية). لقد (أنقذناكم من الانقراض) على أيدي جيرانكم، وفتحنا هذه البحار امام سفن كل الدول، ومكنّاها من رفع أعلامها في سلام، اننا لم نستول على أراضيكم كما اننا لم نتعد على استقلالكم وانما حافظنا عليه، لذلك فاننا لسنا على استعداد للتفريط في قرن كامل من المشروعات الناجحة والمكلفة، ولن نطوي هذه الصفحة من صفحات التاريخ»[٨].

كان أبرز نتائج هذه الرحلة قرار الحكومة الهندية اعداد كتاب للاداريين البريطانيين العاملين في الخليج يحتوي على معلومات مفصّلة عن الأماكن والمصالح التي سيتعاملون معها، وكان لوريمر أحد هؤلاء الموظفين الذين رافقوا كيرزون في رحلته الخارجية، وفي نوفمبر ١٩٠٣م قام كيرزون بتكليف لوريمر بجمع

المعلومات التي سيحتويها الكتاب، ولعشر سنوات مقبلة، عمل لوريمر بمساعدة مجموعة من الباحثين في الوثائق الحكومية في بومبي وكلكتا. وقام بعدة رحلات ميدانية الى الخليج وكانت النتيجة اصدار دليل اسمه (The gazetteer of the Persian Gulf) وكان هذا الدليل مخصصا للاستعمال الرسمي فقط من قبل حكومة الهند خلال الفترة من ١٩٠٨ الى ١٩١٥م. صدر الدليل بقسمين، قسم جغرافي من عدة مجلدات تمت طباعته عام ١٩٠٨ م واشتمل على ٢٠٠٠ صفحة من الاحصائيات والبيانات عن جغرافية المنطقة، وقد تم جمع مادته من قبل لوريمر ومساعديه خلال رحلاتهم الميدانية، ويقدم معلومات عن القبائل والمناطق والمدن والقرى والمظاهر الطبيعية مرتبة ترتيبا ألف بائيا. واشتمل كل موضوع فيه على كم هائل من المعلومات المتنوعة عن التجارة والزراعة والدين والسياسة والادارة والحياة الاجتماعية والنظام الضرائبي واللهجات والآثار، أما القسم الثاني فهو القسم التاريخي الذي صدر عام ١٩١٥ م وخصص لتاريخ الخليج. وقد اعتمد لوريمر في جمعه للمادة على الوثائق البريطانية ومختارات سلدانها وهي مكاتبات مختارة من أرشيف الحكومة الهندية، ويعتبر دليل لوريمر ومختارات سلدانها أهم مصدرين لدراسة تاريخ الخليج [٩].

وقد ترجم دليل لوريمر الى اللغة العربية من قبل الحكومة القطرية .

الهوامش

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر (مختارات من أهم الوثائق البريطانية) تاريخ الامارات العربية المتحدة، مجلد ١

(٢) روبرت لاندن، عُمان منذ ١٨٥٦م، ص ٢٠٧ – ٢٠٩

(٣) مي محمد الخليفة، سبز آباد ورجال الدولة البهية، ص ١٨٢ – ١٨٦

(٤) لوريمر، دليل الخليج، تاريخي، ج ١، ص ٥١١

(٥) لوريمر، المرجع السابق، ص ٥١٢

(٦) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، تاريخ الامارات العربية المتحدة، مجلد ١ ص، ٣٠٦ وأنظر أيضا نص الخطاب الصفحات من ٣٠٧ – ٣١١

(٧) أنظر نص الرسالة، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ١، ص٣٠٨–٣١١

(8) The Persian Gulf Historical , vol . IV, P. 24

(9) Introduction ,Records of The Emirates .vol.5, P. XI . XII . XIII

(٢)

منذ القرن السابع عشر، كان الوجود البريطاني في الخليج يدار بالتعاون والتفاهم بين حكومة الهند المركزية وسلطات الهند البريطانية في كل من بومبي وكلكتا والممثلين البريطانيين في منطقة الخليج. وكانت مهمة الممثلين البريطانيين في المنطقة تنحصر في تصريف الشؤون اليومية ومعالجة المشاكل والاضطرابات والتعامل مع المسؤولين في المنطقة، والعمل على تنفيذ المعاهدات. والمسؤولون البريطانيون في الهند هم الذين وضعوا تصميم الأجهزة التي اعتمدت عليها بريطانيا في تأمين مصالحها في الخليج، وكان نظام التمثيل السياسي البريطاني هو أساس هذه الأجهزة، فمن الناحية النظرية كان المقيم بمنزلة السفير في تمثيل بريطانيا باعتباره السلطة العليا بالنسبة إلى الحكام المحليين المرتبطين بالنفوذ البريطاني، وكان يمثل السلطة البريطانية في الدولة الحليفة، وبالتالي لم يكن بوسع أي حاكم محلي أن يرفض نصيحة المقيم البريطاني، وقبل عام ١٨٢٢م كان لبريطانيا مقيم سياسي في مدينة بو شهر الواقعة على الساحل الإيراني من الخليج العربي، غير أن مسؤولياته كانت تنحصر في الشؤون التجارية أكثر منها في الشؤون السياسية، وتعتبر مهمته بمثابة امتداد للعهود الماضية عندما كانت شركة الهند البريطانية مجرد مؤسسة تجارية، أما في عام ١٨٢٢م وكنتيجة للدور الجديد الذي ترتب على بريطانيا أن تضطلع به في المنطقة، تغير لقب الممثل البريطاني من (المقيم البريطاني في بو شهر) إلى (المقيم البريطاني في الخليج) وتبعا لذلك تغيرت مسؤوليته من مسؤولية تجارية إلى مسؤولية سياسية. كما منح صلاحية الاشراف على جميع الممثلين البريطانيين في الخليج بمن فيهم المعتمد

السياسي البريطاني في مسقط الذي بدأ عمله هناك عام ١٧٩٨م .

وقد عهدت الحكومة البريطانية إلى المقيم المذكور بالإشراف على نظام الرقابة على المنطقة، وحتى سنة ١٨٦٢م كان دور المقيم البريطاني بالدرجة الأولى يقتصر على منع أو قمع الاضطرابات وأعمال الشغب، ولم يقم المقيمون البريطانيون طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر بتشجيع أهالي الخليج على تغيير أسلوب حياتهم القديم. وكما هو معروف عن الإدارة البريطانية في الهند فقد كان المقيم البريطاني يمارس أعماله بحد أدنى من الإداريين، وكان يعاونه في أعماله مقيم مساعد وطبيب ومحاسب وكاتب وأمين خزينة فضلا عن عدد من الكتبة العرب والإيرانيين والخدم المحليين وفصيلة من الحرس، كما كانت حكومة الهند تعين سياسيين ملحقين في كل من الشارقة والبحرين ولنجة وشيراز. وفي الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٠٠ و ١٨١٠ م وسنة ١٨٤٠م، كان يقوم بتمثيل بريطانيا في مسقط مقيم سياسي من أصل أوروبي، إلا انه في أغلب الأحوال حتى سنة ١٨٦١م كان المعتمد الذي يمثل بريطانيا في عُمان من أهل البلاد، وكان المقيم في بو شهر على صلة وثيقة في أعماله بالمقيم البريطاني في العراق الذي نقل مقر عمله هناك سنة ١٧٩٨ م من البصرة إلى بغداد التي اتخذت مقرا دائما للممثل البريطاني سنة ١٨٣٢م، وفيما بين سنتي ١٨٠٦ و ١٨٧٣ م، كان المقيم البريطاني يخضع من الناحية النظرية للحكومة المركزية في الهند البريطانية، غير انه بالرغم من ذلك كان يرجع نشاطه ومسؤولياته إلى حاكم إقليم بومبي الذي كان يشرف على المصالح الهندية الإنجليزية في كل المنطقة الغربية من حوض المحيط الهندي، وكان يتم تعيين المقيم أو مساعده عادة من رجال الأسطول الهندي وذلك لتنسيق الأعمال مع نشاط هذا الأسطول. والواقع أن الأسطول الهندي البريطاني كان يعتبر الخليج من مناطق نفوذه، وكان ضباطه يمثلون الإدارة البريطانية فيه حتى سنة ١٨٦٢م، ومن ناحية أخرى، كان من المألوف أن تترك حكومتا الهند وبومبي للمسؤولين في الخليج حرية اتخاذ القرارات في حينها، ولعل من الأسباب التي دعت إلى ذلك هو عدم وجود مواصلات سريعة بين الهند والخليج قبل افتتاح الخطوط التلغرافية سنة ١٨٦٤م .

ويمكن القول إن المصالح البريطانية في ما بين سنة ١٨٢٢م وسنة ١٨٦٢م ظلت في واقع الأمر في أيدي الممثلين البريطانيين المقيمين، وتهيأت للعرب فرصة أكبر للسيطرة على شؤونهم الداخلية، وفي سنة ١٨٦٢م بدأت المرحلة الثانية من مراحل تطور الوجود البريطاني في الخليج وهي التي استمرت حتى عام ١٩٠٣ م، وقد ولدت هذه المرحلة من تطورات ثلاثة : إعادة تنظيم الحكم البريطاني في الهند وملحقاتها كنتيجة لثورة ١٨٥٧م، ودخول التكنولوجيا والمواصلات الحديثة إلى الخليج بعد سنة ١٨٦٢م، ومحاولات بعض المسؤولين البريطانيين في الهند نشر المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحديثة في المنطقة .

وفي الفترة ما بين سنتي ١٨٦٢م و ١٩٠٣ م نقل الممثلون البريطانيون في المنطقة النظم والقواعد وأدوات الحكم الأساسية البريطانية التي تمَ وضعها في أوائل القرن التاسع عشر إلى الخليج وطبقوها بشكل يدعم النفوذ البريطاني بعد إدخال بعض التعديلات عليها، ومن ثم أصبح البريطانيون في سنة ١٩٠٣ م يمارسون نفوذا فعليا، وان لم يكن مباشرا على نواح كثيرة من دقائق الحياة السياسية الداخلية والخارجية لإمارات الخليج، كما تمَ خلال هذه الفترة توضيح وتحديد هوية المصالح الاستراتيجية البريطانية وأبعادها على المنطقة، وفي الفترة من سنة ١٩٠٣م إلى ١٩٤٧م وصل النفوذ البريطاني في الخليج إلى أقصى درجاته[١] .

أهم المقيمين البريطانيين

هناك عدد كبير من الساسة البريطانيين الذين تقلدوا منصب المقيم البريطاني في منطقة الخليج خلال فترة الهيمنة البريطانية، ولكن تبقى بعض الأسماء أبرز من غيرها نظرا للدور المميز الذي لعبته لخدمة السياسة البريطانية، ويعتبر كل من لويس بيلي وبيرسي كوكس أهم من تقلّد هذا المنصب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، فمن هما هذان السياسيان البريطانيان؟

لويس بيلي : في عام ١٨٦٢ م تولى السير بارتل فرير منصب حاكم إقليم

بومبي وأصبح الرجل الثاني في الهند. وفي العام ذاته بدأت السفن البخارية رحلاتها المنتظمة إلى موانئ الخليج، وكان هذان الحدثان إشارة البدء لمرحلة جديدة تتطلب سياسة جديدة ووجوها فعالة جديدة. ولم يكن السير بارتل فرير راضيا عن المقيم البريطاني في الخليج الكابتن فليكس جونز الملتزم بسياسة قديمة ملخصها (عش ودع غيرك يعيش)، فذلك في اعتقاد فرير تخل من بريطانيا عن مسؤولياتها في الخليج، وتطبيقا لمبدأ (الرجل المناسب في المكان المناسب) جاء اختيار لويس بيلي لتسلم منصبه السياسي كمقيم



لويس بيلي

جديد في الخليج، ومع وصوله بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين بريطانيا وسكان المنطقة أبرز ما يميزها التدخل المباشر في الشؤون الداخلية [٢].

ولد لويس بيلي في نوفمبر عام ١٨٢٤م وتلقى تعليمه في كلية رجبي والتحق بجيش شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٨٤١م، وتم تعيينه مساعدا للمندوب السامي في بارودا الجنرال جاكوب أثناء الحرب الفارسية عام ١٨٥٧م وسكرتيرا مفوضا في طهران، وسافر من بلاد فارس إلى الهند عبر هيرات وقندهار من دون حراسة، وأرسل في مهمة خاصة لجزر القمر عام ١٨٦١م، وعمل لاحقا وكيلا سياسيا في زنجبار ثم مقيما سياسيا في الخليج خلال الفترة من ١٨٦٢ إلى ١٨٧١م [٣]. لعب بيلي دورا فعالا في أحداث الخليج، وكان استعمال القوة أو دبلوماسية البواخر المسلحة هي سياسته المفضلة على الدوام. ومن خلال تنقلاته في منطقة الخليج، انتهى بيلي إلى مجموعة من الحقائق عن

أفضل الوسائل لتطوير المنطقة حضاريا ولم يكن ذلك في رأيه إلا عن طريق توسيع النشاط الملاحي للسفن البريطانية حتى وان أدى ذلك إلى وقف صناعة السفن الشراعية المحلية (أو في بعض الحالات حرقها)، وكان يعتقد أن خلاص المنطقة لن يكون إلا بقبولها غير المشروط لمفاهيم الحضارة الغربية بدلا من تشبثها بتقاليد قديمة عفا عليها الزمن، في نظره [٤].

أسهمت صفات الحماسة والذكاء، إلى جانب الغرور والتعنت، التي كان يتصف بها بيلي في تدعيم مركز بريطانيا في الخليج، في الوقت الذي كان من المتوقع لذلك الوجود أن ينهار لو عهد بالمسؤولية لرجل آخر أقل كفاءة. ومن حسن حظ بيلي أن منصب المقيم في بعض الأحيان كان تعبيرا عن قوة شخصية صاحبه أو ضعفه أكثر منه تعبيرا عن المنصب نفسه. وكان من المفروض في المقيم البريطاني في الخليج أن يعمل في حدود مسؤولياته، وهي الاحتفاظ بعلاقات ودية مع حكام المنطقة التي يمثل فيها، أو تقديم مشورته إليهم، لا في المسائل الخارجية وحسب بل وفي الشؤون السياسية الداخلية أيضا.

No 9   167

Circular

Dated 16th September 1868
28 Jumadi el awal

It has come to the knowledge of the Resident that certain Arabs engaged in the Pearl Fisheries receive advances from the Chief of one place, proceed to sea, and afterwards instead of returning to the place where they received their advances fly to some other chiefships in view to escaping repayments.

This is contrary to justice and on a chief proving to the Resident that any borrowers have thus deserted the Resident will require the Chief to whose territory the thief may have escaped to give him up and use his utmost endeavours to secure repayment, failing this the Resident will consider the Chief harbouring the thief as responsible for the loss so occurring.

[illegible]

المنشور الذي أصدره لويس بيلي المقيم السياسي البريطاني في الخليج يحذر فيه الحكام من إيواء البحارة المدينين

وقد قام بيلي بواجبه هذا على أكمل وجه، ويعود الفضل في الاحتفاظ بالنفوذ البريطاني في الخليج خلال الفترة العصيبة في الستينات من القرن التاسع عشر إلى جهود بيلي، وقد أخذ بيلي يدافع عن وجهة نظره بالنسبة إلى الخليج وإمكاناته المحتملة في تقاريره الرسمية وفي الصحف وعن طريق الكتابة، كما شن حملة من المقالات والرسائل في الصحف البريطانية الهندية دفاعا عن آرائه في الوقت الذي كانت السياسة المألوفة لكل من حكومتي لندن وكلكتا هي إهمال الخليج .

كانت إحدى أهم المشكلات التي واجهت بيلي كيفية إخضاع المسؤولين البريطانيين كافة في الخليج لسلطته، ولم يواجه بيلي صعوبات كبيرة في تحقيق هذا الهدف، كما تأكدت سلطته على رجال الأسطول العاملين في الخليج بصورة نهائية عام ١٨٦٩ م [٥] .

على أن أهم ما يلفت النظر في شخصية بيلي هو تميزه عن المقيمين الآخرين بتعدد مواهبه، وأهم تلك المواهب كتابة التقارير المستفيضة عن مختلف جوانب الحياة في الخليج، والتي اعتبرت فيما بعد من أهم الوثائق التي تمدنا بتفاصيل شاملة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الخليج وخاصة خلال فترة الستينات من القرن التاسع عشر .

ويلاحظ أن بيلي أنجز معظم الدراسات في العامين الأولين من عمله حيث كان آنذاك قائما بأعمال المقيم وهو إلى جانب كونه عسكريا ناجحا وسياسيا بارعا، نكتشف من خلال أوراقه سعة اطلاعه وثقافته وكفاءته في التسجيل الدقيق والاستناد إلى مصادر متنوعة منها المدون ومنها المكتسب مباشرة عن طريق المقابلات الشخصية، أو المعاينة والتحقيق، وهذا يتضح لنا في بحوثه عن المدن الساحلية وتقسيمه للمناطق حسب تبعيتها وولائها سواء كان عربيا أو فارسيا أو تركيا .

ومن موقعه في دار المقيمية في بو شهر اتجه إلى لنجة ومنها إلى باسيدو، وزار كهوف الملح في قشم، وكان يحدد المواقع والمدن والقلاع ويكتب عن السكان

وأصولهم وعاداتهم وأعدادهم، ولا يغفل حتى عن وجبة الطعام الرئيسية لديهم. وفي دراساته يحذر بيلي من مغالطات المؤرخين ومبالغاتهم، ولا يقبل بالمتعارف عليه بل يبحث ويدقق ويطلق حكمه في النهاية. ولن نفاجأ إذا علمنا أنه يذهب للقنص وينقب عن الآثار ويقيس ارتفاع المياه وعمق الأنهار ومجاريها، ويسجل وحدات الوزن العربية، ولم تنته سنوات خدمته في الخليج ولم يترك بيلي منصبه إلا بعد أن أصبح الإنجليز سادة الموقف في البر والبحر (٦).

كان أهم ما أصدره بيلي كتاب عن رحلته إلى الرياض بعنوان Journey to Riyadh in central Arabia وذلك عام ١٨٦٥ م، ومؤلفات أخرى كثيرة منها (الحدود الشمالية الغربية للهند) كما كتب عددا من الأوراق للجمعية الجغرافية الملكية وكتب موضوعا مهماً بعنوان (ملاحظات عن مناطق صيد محار اللؤلؤ في الخليج) لجمعية بومبي الجغرافية.

رفع بيلي إلى رتبة فريق عام ١٨٨٧م، وتوفي في إبريل عام ١٨٩٢م (٧).

الهوامش:

(١) روبرت لاندن، عُمان منذ ١٨٥٦م، ص ٢٠٠ –٢٠٦

(٢) مي الخليفة، سبز آباد ورجال الدولة البهية، ص ٢٤ – ٢٥

(٣) بيلكوك، الإمارات، التاريخ الأسطوري لساحل اللؤلؤ، ص ٢٤٦

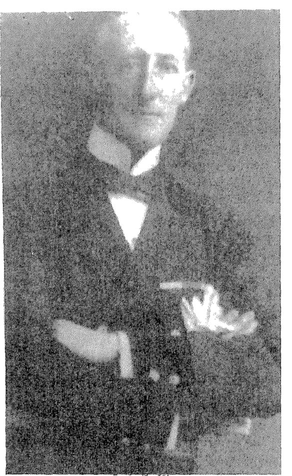
(٤) مي الخليفة، محمد بن خليفة، الأسطورة والتاريخ الموازي، ص ٤٨٠

(٥) لاندن، م. س، ص ٢١٢ –٢٤٠

(٦) مي الخليفة، سبز آباد، ص ٢٩ – ٣٢

(٧) بيلكوك، م. س، ص ٢٤٦

(٣)



(بيرسي كوكس) ذلك الاسم اللامع في السياسة البريطانية وإدارتها في الشرق الأوسط خلال فترة الربع الأول من القرن العشرين، تلك الفترة التي تعد من أهم فترات تاريخ العرب المعاصر، والتي شهدت الكثير من الأحداث بدءا من الحرب العالمية الأولى إلى وعد بلفور والثورة العربية الكبرى واتفاقية سايكس بيكو وسقوط الدولة العثمانية وغيرها .

لقد لعبت السياسة البريطانية دورا مهما ورئيسيا في أحداث منطقة الشرق الأوسط وأصبحت إحدى دولتين تقاسمتا الدول العربية في سايكس بيكو، ولعب ساستها الدور الرئيسي في صنع الأحداث، ومن يتطرق للحديث عن هذه الفترة، لا يستطيع أن يتجاهل اسم بيرسي كوكس الذي تقلد منصب المقيم البريطاني في الخليج، واستقر في بو شهر في فترة من فترات خدمته في الشرق الأوسط، لنتعرف إلى هذه الشخصية المهمة ونرى دورها في أحداث المنطقة .

بيرسي كوكس

من هو هذا الدبلوماسي الصامت الذي أطلق عليه اللورد كيرزون (ألابولو الصامت) والذي لم يترك لنا بعد موته إلا تقارير بسيطة عن رحلات صيده في الصومال، إلى جانب مقالات عن طيور الجزيرة العربية، ومقالة مهمة عن الإمارات في المجلة الجغرافية البريطانية عام ١٩٢٥م، مع انه شارك في أهم أحداث الخليج حين كان يعمل تحت إدارة اللورد كيرزون نائب الملك في الهند، يعكس أفكاره وينفذ سياسته .

وُلد اللواء السير بيرسي زكريا كوكس وهو في الوقت نفسه ضابط وإداري ودبلوماسي بريطاني في إيسيكس عام ١٨٦٤م، ومكنته دراسته العسكرية من الالتحاق بالجيش الهندي عام ١٨٨٤م، وهناك سرعان ما تعلم اللغات الشرقية وتمّ تعيينه في الخدمة المدنية الهندية، وفي عام ١٨٩٣م أرسل إلى الصومال البريطاني في البداية كنائب وكيل سياسي في زيلع، ثم بربرة، ومن موقعه في بارودا أرسل كقنصل إلى مسقط عام ١٨٩٩م، وفي عُمان حاول بكل الوسائل الحيلولة دون أي نفوذ فرنسي، ولنجاحه في هذه المهمة عين عام ١٩٠٤ م قنصلا عاما ومندوبا ساميا بالوكالة في الخليج، وفي عام ١٩٠٩ م تمّ تأكيد التعيين، وقام بتسوية مسائل الحدود حول الفرات بين بلاد فارس وتركيا، وحصل على حقوق النفط لبلاده، كما تولى العلاقات الدبلوماسية مع دول الخليج وبصفة خاصة مع المملكة العربية السعودية المستقبلية، وأخيرا مكّن المملكة المتحدة من مضاعفة تجارتها في الخليج خلال الفترة من ١٩٠٤ حتى ١٩١٤، وبترفيعه إلى رتبة مقدم في عام ١٩١٠ م تمّ تعيينه وزيرا للشؤون الخارجية في حكومة الهند عام ١٩١٤م . وخلال الحرب العالمية الأولى، لعب دورا مهما في بلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة العربية. وقبيل انتهاء الحرب، عين وزيرا بالوكالة في طهران، وفي عام ١٩٢٠م عينه اللورد كيرزون مفوضا ساميا في العراق، الدولة التي كانت تحت الوصاية البريطانية، وقد ساعد الأمير فيصل في الوصول إلى عرش العراق، ووقع اتفاقية تحالف معه عام ١٩٢٢م، وقام بتسوية نزاع الحدود بين العراق والسعودية، ولدى تقاعده عام ١٩٢٢م، أصبح رئيسا للجمعية الجغرافية الملكية [١] .

تميز كوكس بحدة الذكاء حتى أن جده كان يراه مثل (عود الثقاب المشتعل) وذلك لنحافة جسده واتقاد ذهنه. لذلك استطاع أن يدرس عدة لغات ويجيدها في وقت واحد وهي الهندوستانية والفارسية والعربية. ويقول عنه أرنولد ويلسون «كانت لغته العربية رائعة».

وكان كوكس في مناقشاته لاتفاقيات النفط يختار الكلمات بعناية فائقة، بحيث أنها إذا ترجمت إلى الفارسية أو العربية لا يتغير القصد من ورائها. ورغم أهمية الأدوار والمراكز التي شغلها كوكس سابقا، إلا أن مجال خدمته في الخليج امتاز بأهمية المنصب وباتساع الرقعة الواقعة في دائرة تصرفه (٢).

شكّل منصب المقيم السياسي بداية لتاريخ مهني حوّل كوكس إلى شخصية مشهورة في أوساط عرب الخليج الذين عرفوه باسم كوكس، ووصل ذروته في العشرينات من القرن العشرين بتعيينه في منصب المندوب السامي البريطاني في العراق.

في عام ١٩٠٢م قام كوكس بالتقاط صور فوتوغرافية خلال رحلة قام بها من أبوظبي إلى مسقط مرورا بالعين والجبل الأخضر، وكان كوكس قد انتقل إلى النقطة هذه عن طريق البحر من مسقط على متن السفينة ريدبريست، ورافقه في هذه الرحلة البحرية سلطان مسقط على متن يخته البخاري، حيث كان السلطان على موعد مع الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي. وحين وصل الجميع إلى أبوظبي جرى استقبالهم استقبالا حسنا من الشيخ زايد، وبعد الحصول على تصريح من الشيخ زايد بن خليفة بالسفر إلى العين، وبعدما جاب كوكس أنحاء أبوظبي اتجه إلى البريمي. وبعد أربعين ساعة من السفر وصل إلى هناك حيث مكث فترة قصيرة في البريمي، ثم واصل طريقه إلى المناطق التابعة لحاكم أبوظبي، ومنها سار على الطريق الموازي لجبل حفيت، ومن هناك اخترق منطقة عبري والجبل الأخضر العماني ومسقط. وفي عام ١٩٠٤ م تمّ تعيين كوكس مقيما سياسيا في بوشهر، وبذلك صار أهم مسؤول بريطاني في الخليج.

وانطلاقا من بو شهر، قام كوكس عام ١٩٠٥ م برحلة ثانية إلى المنطقة

الداخلية في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، كان الغرض منها تحديد خطوط الطول والعرض لمنطقة العين لتضمينها في خريطة هنتر التي كانت الهيئة المسحية للهند تجري إعدادها .

واتخذ كوكس رأس الخيمة كنقطة بداية لرحلته هذه المرّة فوصلها عن طريق البحر بصحبة مساعده، وأقاما الليل في قلعة حاكمها، حيث احتشد جمع غفير ليشهد رحيلهما إلى منطقة الداخل صباح اليوم التالي. وبعد ذلك مرّا بواحة الذيد، وبعد الذيد واصل كوكس ومساعده الطريق متبعين سهل الظاهرة الداخلي جنوبا إلى العين وعسكرا في الجيمي، وسجّل كوكس ملاحظة بأن نفوذ حاكم أبوظبي وممتلكاته كانت في توسع وازدياد مضطرد العام تلو الآخر (٣) .

وسرد كوكس ملاحظاته عن هذه الرحلات في مقال بعنوان «بعض الرحلات في عُمان» نشر في المجلة الجغرافية عام ١٩٢٥م (٤) .

خلال الفترة التي قام بها كوكس برحلاته تلك، كان الرحالة الألماني هيرمان بوريخارت يقوم بزيارة الإمارات، وكان بوريخارت من أبناء أسرة ثرية في برلين، ويسّرت له إمكاناته السفر على نطاق واسع في القارات الخمس. وفي عام ١٨٩٠ م قاده اهتمامه المتنامي بالشرق الإسلامي إلى دراسة اللغة العربية، وانطلق في رحلات في العالم العربي، ومنها رحلاته إلى الخليج. وفي عام ١٩٠٤ م وصل إلى أبوظبي، حيث تم اصطحابه لمقابلة الشيخ زايد بن خليفة الذي كان مجلسه منعقدا في تلك الأثناء، والتقط بوريخارت صورة للشيخ زايد في مجلسه في الهواء الطلق خارج قصر الحصن (٥) .

المقيمون البريطانيون بعد كوكس

خلال الفترة من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٢٤ م تسلم شؤون المقيمية في بو شهر الكولونيل تريفور، وأهم ما قام به هذا المقيم خلال فترة خدمته هو أخذه تعهدات من حكام الإمارات عام ١٩٢٢م تقضي بأنه إذا ظهر النفط في أراضيهم ألاّ يمنحوا أي امتياز لأي أجنبي باستثناء من تحدده لهم الحكومة البريطانية. وكانت تلك

التعهدات قد أخذت من حكام الإمارات أسوة ببقية حكام الخليج الذين قدّموا تعهدات مماثلة، فقدّم حاكم الكويت تعهداً عام ١٩١٣م، وحاكم البحرين عام ١٩١٥م، وحاكم قطر عام ١٩١٦م (٦).

وخلال الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٢٧م انتقل هذا المنصب لمقيم جديد هو بريدو، وتبعه هاورث خلال الفترة من ١٩٢٧ - ١٩٢٩م، ثم جونستون عام ١٩٢٩م، وخلال عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠م تسلم هذا المنصب باريت. وأهم ما يميز فترة باريت أنها أتت متزامنة مع فترة الكساد الاقتصادي الذي عمّ منطقة الخليج في أوائل الثلاثينات، كما أنها تزامنت مع ظهور موارد جديدة لحكام الإمارات من امتيازات الخط الجوي البريطاني وامتيازات النفط، وقد قام باريت بجهود حثيثة لإقناع حكام الإمارات بإنشاء مطارات ومستودعات وقود للطيران البريطاني في أراضيهم، عندما توسعت خطوط الطيران البريطانية بين مستعمراتها في جميع أنحاء العالم وأصبح من الضروري إنشاء محطات ومطارات على خطوط الطيران البريطاني.

ويمكن ملاحظة جهود باريت أثناء مفاوضاته الصعبة مع الشيخ سلطان بن سالم القاسمي حاكم رأس الخيمة الذي رفض إعطاء تصريح بهبوط الطائرات البريطانية في رأس الخيمة في بداية الثلاثينات (٧).

تسلم منصب المقيم البريطاني خلال الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٢م بيسكو، وتهمنا من فترة بيسكو التي دامت سنتين أنه هو الذي أكمل المفاوضات التي بدأها باريت مع الحكام لإقناعهم بفائدة إنشاء مطارات ومهابط للطائرات المتجهة إلى الهند والشرق الأقصى. وكانت أهم نتائج جهود بيسكو الاتفاقية المبدئية لإنشاء مطار الشارقة التي عقدت مع حاكمها الشيخ سلطان بن صقر القاسمي في مايو ١٩٣٢م، وأيضا مفاوضاته مع الشيخ سعيد بن مكتوم لإنشاء مطار دبي (٨).

تأتي بعد ذلك فترة فاول الذي عين في هذا المنصب بعد بيسكو، حيث مارس فاول ضغوطا كبيرة على حكام الإمارات لتوقيع الامتيازات الأولى للنفط، والتي

تمت قبل الحرب العالمية الثانية، وكانت اتفاقيات مجحفة بسبب شروطها الكثيرة وعوائدها القليلة، ومن يتابع المراحل التي تمت بها تلك الاتفاقيات، سيرى كيف مارس فاول ضغوطا كبيرة على حكام الإمارات للتوقيع على تلك الامتيازات. حيث هدد في بعض مراحل تلك المفاوضات بسحب وثائق سفر الحكام والمواطنين وضرب السفن التجارية إذا لم يحصل على مبتغاه، بعد أن وجد معارضة شديدة من الحكام على تلك الاتفاقيات [٩].

من بوشهر إلى البحرين

(سبز آباد) هو الاسم الذي أطلقه المقيم السياسي فيلكس جونز على مبنى المقيمية البريطانية في بو شهر، ويعني هذا الاسم باللغة الفارسية (البلاد الخضراء).

وقد ظلت «سبز آباد» تمارس دورها كأهم مركز لاتخاذ القرار في منطقة الخليج منذ إنشائها عام ١٧٦٣م حتى قرار نقلها إلى البحرين عام ١٩٤٦م، ومع نقل دار المقيم البريطاني من بو شهر إلى البحرين، لم يعد المقيم قنصلا عاما في «بو شهر»، ولم يعد يتولى مسؤولية عن الشؤون الفارسية. وعندما أصبح انتقال السلطة وشيكا في الهند في إبريل ١٩٤٧م، تولت الحكومة البريطانية المسؤولية عن جميع الشؤون الخليجية، باستثناء أن المراكز هناك ظلت تدار من قبل حكومة الهند حتى نهاية مارس ١٩٤٨م. وفي هذه السنة مارست الحكومة البريطانية مسؤوليتها عبر وزارة العلاقات مع الكومنولث. ولكن في ١ إبريل ١٩٤٨م تولت وزارة الخارجية الإشراف الكامل، وكانت مسألة نقل دار المقيم السياسي في بو شهر قد أثيرت لدى إعداد الملخص التاريخي للأحداث التي وقعت بين الأعوام ١٩١٧ و١٩٢٥م. كان هناك إدراك باحتمال إثارة مسألة نقل دار المقيم السياسي من بو شهر، وأصبحت المسألة قضية حيّة عام ١٩٢٩م. وفي مطلع عام ١٩٣٠م قررت الحكومة البريطانية وضع المقترح موضع التنفيذ بما يعود على مصالحها بالفائدة من ناحية، ومن ناحية أخرى لاستخدامها ورقة للمساومة في المفاوضات

مع الإيرانيين، وليس بسبب أي مطلب مقدم منهم، وأحيط الإيرانيون علما بالاقتراح وبعض الشروط المرتبطة به، واستقر الرأي على أن ينتقل المقر الجديد للمقيم السياسي إلى البحرين. ولدى استشارة حاكم البحرين مبدئيا حول هذا الأمر، قال إنه سيشعر بالاعتزاز لوجود دار المقيم السياسي في البحرين، وتمّ الاتفاق بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند على أن يحمل المقيم السياسي في بلاد فارس لقب القنصل العام لصاحب الجلالة في بو شهر، وأن يقصر استخدام لقبه كمقيم سياسي على الجانب العربي من الخليج.

وفي عام ١٩٣٦م تقرر مجددا، ومن حيث المبدأ، تنفيذ عملية نقل دار المقيم السياسي إلى البحرين، وكان حجر العثرة الوحيد هو تكلفة العملية، وجرى مجددا إبلاغ حاكم البحرين، وأعقبت ذلك مناقشات مطولة تتعلق بمدى تأثير النفقات على عملية النقل، ولم توافق حكومة الهند إلا على تحمل نسبة ضئيلة فقط وأعدت الخطط لإقامة دار جديدة للمقيم السياسي، ووقع الاختيار على موقع لها في جزيرة المحرق، ولكن بعد اندلاع الحرب عام ١٩٣٩م اتفق على وجوب تأجيل نقل دار المقيم السياسي.

وحالما انتهت الحرب، حض السفير البريطاني في طهران على وجوب إثارة القضية مجددا. وفي مارس ١٩٤٦م صدر قرار حكومي بمباشرة نقل دار المقيم السياسي إلى البحرين على الفور. وعندما تسلم مقيم سياسي جديد مهام منصبه في مايو ١٩٤٦م، لم يتم السعي للحصول على موافقة الحكومة الإيرانية على تعيينه قنصلا عاما في بو شهر، وصدرت إليه الأوامر بجعل البحرين مقرا له. وبعد تأخير استمر بضعة أشهر جرى توفير السكن له ولموظفيه في القاعدة البحرية في الجفير كإجراء مؤقت، وبوشر بنقل موظفيه وأرشيفه من بو شهر قبل نهاية السنة. وشغل سلاح الجو الملكي جزءا من الموقع الذي اختير سابقا لبناء الدار الجديدة للمقيم السياسي في المحرق. ووافقت وزارة البحرية على توفير الأرض المناسبة لها في الجفير، ولم يبدأ العمل في المباني الجديدة لمدَة سنتين أو ثلاث سنوات، ولم ينجز إلا بحلول عام ١٩٥٣م.

وفي سبتمبر ١٩٤٦م قررت الحكومة البريطانية تسلم إدارة العلاقات مع دول الخليج من حكومة الهند، لكنها لم تقرر أي دائرة ستتولى هذه المسؤولية من الحكومة، وانحصر الاختيار بين وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات، وفي يناير ١٩٤٧م وافقت الحكومة على وجوب تسلم وزارة الهند التي اندمجت بعد ذلك بقليل (بوزارة العلاقات مع الكومنولث) المسؤولية كإجراء مؤقت اعتبارا من إبريل ١٩٤٧م، وانه يجب نقل هذه المسؤولية إلى وزارة الخارجية عندما تصبح الأخيرة جاهزة لتسلمها. وكان الهدف هو تحقيق الانتقال بحلول ١ إبريل ١٩٤٨م، ووافقت حكومة الهند على هذه المقترحات من ناحيتها.

وفي يونيو ١٩٤٧م أبلغ جميع حكام الخليج، بمن فيهم سلطان مسقط، بصورة كتابية أنه بالنظر إلى التغيرات الدستورية التي كانت على وشك الحدوث في الهند، تقرر أن تقيم حكومة صاحبة الجلالة في المستقبل علاقات مباشرة معهم، وسيقوم المسؤولون أنفسهم في الوقت الحاضر بإدارة هذه العلاقات (وفي الوقت ذاته يمثلون حكومة الهند)، لكنهم سيتصرفون بأوامر مباشرة من الحكومة البريطانية التي سيكون المقيم السياسي مسؤولا أمامها [١٠].

تنظيم دار المقيم

منذ عام ١٩٤٨م، أعيد تنظيم دار المقيم البريطاني والمكاتب التابعة لها، بحيث تتماشى مع النمط المتبع في وزارة الخارجية. وفي معظم الأحيان استبدل بموظفي الخدمة السياسية الهندية موظفون من السلك الدبلوماسي، واستبدل بالموظفين الهنود موظفون بريطانيون، ولم يطرأ أي تغيير على منصب المقيم السياسي الذي ظل مسؤولا عن الإشراف على دور الاعتماد وقنصلية مسقط، باستثناء أن المعتمد السياسي في الكويت أصبح يتعامل الآن مع وزارة الخارجية مباشرة حول بعض المواضيع. وقد زيد عدد موظفي دار المقيم السياسي بإضافة مستشار مالي وسكرتير تجاري، وأعطيت الموافقة على تعيين مستشار طبي وكبير المسؤولين الطبيين للحجر الصحي عام ١٩٤٨م بصورة مؤقتة، وجددت من حين

لآخر منذ ذلك الوقت. لكن التعيين لم يصبح دائما، والمقيم السياسي هو قاضي المحاكم الرئيسية والمكتملة الهيئة بموجب أوامر مجلس الملك الخاص. ولكن منذ عام ١٩٤٩م عين قاضٍ متمرس لإعفائه من معظم عمله القضائي. وبما أن موظفي السلك الدبلوماسي يفتقرون في معظم الحالات إلى الخبرة القضائية للموظفين السابقين في الخدمات السياسية الهندية، فقد أعدت الترتيبات لإعطائهم التدريب القضائي كلما أمكن قبل أن يتسلموا أية مناصب في الخليج .

وفي الشؤون الدفاعية، يتعامل المقيم السياسي مع كبير الضباط البحريين في الخليج الذي يتبع القائد العام للقوات البرية في الشرق الأوسط وكبير ضباط سلاح الجو الملكي في الخليج الذي يتبع الضابط الجوي الآمر لسلاح الجو الملكي في الحبانية في العراق [١١] .

أصبح المقيم البريطاني في الخليج يكاتب مباشرة من موقعه الجديد في البحرين وزير الخارجية البريطانية في لندن، وكان المقيم البريطاني مشرفا على دار الاعتماد البريطاني في دبي التي انتقلت إليها وكالة الشارقة عام ١٩٥٤م. كما أشرف على دور الاعتماد البريطاني في الكويت والدوحة ومسقط. ومنذ عام ١٩٥٥م أنشئت دار اعتماد أبوظبي، واستمرت مراسلة المقيم السياسي في الخليج مع وزير الخارجية في لندن [١٢] .

تعاقب على منصب المقيم السياسي البريطاني في البحرين عدد من الدبلوماسيين البريطانيين أولهم السير روبرت هاي خلال الفترة من ١٩٤٦ - ١٩٥٢م، وشهدت هذه الفترة بدايات دخول التعليم النظامي للإمارات، وقام روبرت هاي بتأليف كتاب عن الإمارات بعنوان .(The Persian Gulf States)

وخلال الفترة من ١٩٥٣ - ١٩٥٨م تسلم هذا المنصب باروز، ثم جورج ميدلتون خلال الفترة من ١٩٥٨ - ١٩٦١م، ثم وليم لوس من ١٩٦١ - ١٩٦٦م وكراوفورد من ١٩٦٦ - ١٩٧٠ م، وأخيرا آرثر من ١٩٧٠ - ١٩٧١م، وكان آرثر آخر مقيم بريطاني، حيث تمَّ الانسحاب البريطاني من الخليج عام ١٩٧١م [١٣] .

الهامش:

(١) بيلكوك، الإمارات، التاريخ الاسطوري لساحل اللؤلؤ، ص ٢٥٠

(٢) مي الخليفة، سبز آباد، ص ٢٥٠

(٣) وليام فيس وجيليان غرانت، أوائل المصورين في الإمارات، ص١٢ -١٣

(٤) بيلكوك، الإمارات، م. س، ص ٢٥٠

(٥) أوائل المصورين، ص ١٣

(٦) للمزيد من التفاصيل أنظر د. محمد الفارس، الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل، إصدار مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، ص١٢٧

(٧) أنظر د. محمد الفارس، م. س، ص ١١٥

(٨) د. محمد الفارس، م. س، ص ١٢١

(٩) المرجع السابق

(١٠) نقل دار المقيم السياسي من بو شهر إلى البحرين عام ١٩٤٦م وتسلم وزارة الخارجية البريطانية المسؤولية عنها سنة ١٩٤٧م، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مجلد ٢، ص ٩٦ – ٩٨

(١١) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مجلد٢ ص٩٨-٩٩

(١٢) مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ١، ص ١٨

(١٣) د. محمد مرسي عبدالله، دولة الإمارات وجيرانها، ص ٤٤١ – ٤٤٢

(٤)

أ ـ الوكيل المحلي (مقره الشارقة)



"© Justin Codrai - Photograph by Ronald codrai"

جاسم الكظماوي آخر وكيل محلي في الشارقة عام ١٩٤٥م

بدأت الإدارة البريطانية في الإمارات عام ١٨٢٣م، عندما قامت بريطانيا بتعيين ممثل لها في الشارقة، ولمدة قرن وربع القرن تقريبا. كان هذا الوكيل هو قناة الاتصال الوحيدة بين بريطانيا والإمارات، وكان له اكبر الأثر على معظم قرارات بريطانيا تجاه المنطقة، ومما أثار الجدل حول هذه الشخصية كونها مختلفة عن باقي وكلاء بريطانيا في الخليج. ففي حين كان الوكلاء من الجنسية البريطانية، كان الوكيل المحلي في الشارقة من أبناء المنطقة مما أضفى على آرائه وزنا كبيرا وأثار حوله الكثير من الجدل [١].

وخلال الفترة من عام ١٨٢٥م إلى عام ١٨٥٠م اعتمدت بريطانيا على وكلاء من الساحل الإيراني، ويشير أحد التقارير البريطانية إلى أسباب اختيار وكيل محلي مقره الشارقة بأنه «تطلبت مكانة الشارقة وهي المقر الرئيسي لزعيم القواسم الشيخ سلطان بن صقر القاسمي وجود شخص يتميز بمواهب ومسؤوليات تفوق المألوف، لذلك قام الكولونيل ستانوس باختيار علي رضا خان للنهوض بهذه الواجبات مقابل أجر مرتفع بلغت قيمته ١٥٠ روبية في الشهر(٢).

واتجهت بريطانيا لتعيين وكيل محلي لها بعدما ترسخ وجودها الدائم في الإمارات بعد تدمير الإنجليز لأسطول القواسم عام ١٨١٩ م، ومعاهدة عام ١٨٢٠م، وذلك أثناء عهد الشيخ سلطان بن صقر القاسمي .

لذا يقول التقرير البريطاني إن تعيين وكيل سياسي في الشارقة يكون تابعا للإدارة البريطانية لم يكن شيئا مستساغا للشيخ سلطان بن صقر الذي كانت علاقته متوترة مع الإنجليز ويكمل التقرير (إن الوكيل السياسي اشتكى للإدارة البريطانية من أن تحركاته تخضع لمراقبة دؤوبة، وان أصحابه منعوا من زيارته، وانه على الرغم من تمتعه بالحصانة من سوء المعاملة، لم يلق معاملة تنم عن أدنى مقدار من الاحترام والتقدير) (٣). وكان شيئا طبيعيا أن يواجه أول وكيل للإنجليز بهذه المعاملة بعد التصرفات الإنجليزية القاسية تجاه المنطقة، وتعيين وكيل سياسي يعني أنه سيبدأ نظام جديد للوصاية على المنطقة سيمتد لفترة طويلة من الزمن وهذا ما حدث .

بعد المضايقات التي لاقاها الوكيل السياسي الجديد رضا خان، قام الكولونيل ستانوس بخلعه من منصبه وتعيين شخص آخر مكانه، وكان هذا الشخص هو (الملا حسين) الذي كان أكثر براعة من سلفه في التكيف مع الأوضاع المحلية على الساحل، واستطاع الملا حسين الذي عين عام ١٨٢٥م واستمر في منصبه حتى عام ١٨٤٩م أن يكسب ثقة الإنجليز وأن يكون عينهم الساهرة على الساحل، وعندما توفي الملا حسين عام ١٨٤٩م فضل الإنجليز إبقاء المنصب في عائلته نفسها فعينت محله ولده محمد الذي لم يكن بكفاءة أبيه، فأزيح وحل محله شقيقه أحمد الذي لم يكن أفضل من أخيه، فأسندت الوكالة الوطنية إلى شخص جديد هو الحاج

يعقوب عام ١٨٥٠م، واستمر يعقوب في منصبه حتى عام ١٨٦٦م. ثم تقلد هذا المنصب الحاج عبدالرحمن بن محمد (جد أسرة السركال في الإمارات) وأصبح هذا المنصب حكرا على عائلة السركال بعد ذلك لثلاثة أجيال متتالية. ونقل عبدالرحمن مقر إقامته من الشارقة إلى لنجة وأصبح يتنقل بين لنجة والشارقة حتى وافته المنية عام ١٨٨٠م. في ذلك الوقت كان منصب الوكيل المحلي قد تطور وأصبح أكثر أهمية، وفي الوقت نفسه بدأت العلاقة بين الوكالة السياسية في الساحل والمقيمية البريطانية في بو شهر تزداد نموا بفضل تحسن وسائل المواصلات البحرية وقيام المقيم البريطاني بزيارة سنوية إلى الساحل للتعرف إلى الأوضاع هناك.

والواضح من ملفات المقيمية البريطانية في بو شهر أن تقارير الوكلاء المحليين خلال القرن التاسع عشر كانت دائمة ودقيقة ومفصلة، ومع نهاية القرن التاسع عشر، شهد منصب الوكيل تغيرات جذرية نتيجة تطورات الأوضاع السياسية في المنطقة وسعي بريطانيا لتقوية نفوذها، وأصبح الوكيل المحلي أداة من أدوات السيطرة البريطانية حيث منح المزيد من السلطات، وبعد وفاة عبدالرحمن عام ١٨٨٠م انتقل هذا المنصب إلى أبو القاسم الذي كان يتنقل أيضا بين لنجة والشارقة، وبعد وفاته عام ١٨٩٠م، بدأت فترة جديدة من السيطرة البريطانية المطلقة على المنطقة تخللها إبرام الاتفاقيات المانعة عام ١٨٩٢م، ومنذ ذلك الوقت تولى منصب الوكيل المحلي وكلاء كان لهم تأثير كبير على صنع القرار البريطاني تجاه الساحل، فقد تمَ تعيين حاجي عبد اللطيف السركال عام ١٨٩٠م وفي عهده تبلور منصب الوكيل ليصبح الأكثر أهمية على الساحل. وكانت فترة عبد اللطيف الأطول بين الوكلاء حيث استمرت ٣٠ عاما تقريبا، وبعد وفاته عام ١٩١٩م تولى المنصب ابنه عيسى، ويعتبر عهد عيسى بن عبد اللطيف الذي امتد من عام ١٩١٩ إلى ١٩٣٥م العهد الذهبي لمنصب الوكيل المحلي، حيث استطاع عيسى أن يؤثر تأثيرا كبيرا في صنع القرار البريطاني، وفي كثير من الأحيان على اتخاذه . وتقديرا لخدماته منحته حكومة الهند اللقب الهندي (خان بهادر) أي كبير الموظفين وبعد وفاة عيسى تولى المنصب حسين عماد الذي كان يعمل كاتبا في الوكالة، وتولى مهام سياسية عديدة خلال فترة مرض عيسى. وخلال فترة توليه القصيرة (١٩٣٥-١٩٣٦م) كان يعمل كوكيل محلي بالإنابة حتى تمَ تعيين

سيد عبد الرزاق وهو أول شخص لا ينتمي لعائلة السركال يتقلد هذا المنصب بعد احتكار السركال لهذا المنصب سنوات طويلة، واستمر سيد عبدالرزاق في منصبه حتى عام ١٩٤٥م، ثم تولى بعده جاسم الكظماوي وهو كاتب سابق في وكالة البحرين. وأثناء فترة الكظماوي حدثت تغيرات كبيرة على المستويين المحلي والبريطاني حيث تمَ نقل المقيمية البريطانية من بو شهر إلى البحرين عام ١٩٤٦م، وكان الكظماوي هو آخر وكيل محلي يتولى هذا المنصب حيث استمر في منصبه إلى عام ١٩٤٩م [٤].

الضباط السياسيون البريطانيون

منذ منتصف الثلاثينات، اعتبر الساحل المتصالح منطقة نفطية مهمة، وبالتالي تشعبت المصالح البريطانية، وبدأت تظهر مشاكل رئيسية مثل الدفاع في زمن الحرب، وتزايد المصالح الاقتصادية الغربية في المنطقة وخصوصا الأمريكية، وفي هذه الظروف زادت الحاجة إلى موظف بريطاني مؤهل بشكل أفضل للتعامل مع مثل هذه المشاكل الشديدة الحساسية وبدأت وزارات كثيرة في الحكومة البريطانية تنادي بتغيير رئيسي في التمثيل البريطاني على الساحل، وقد أثارت مسألة التمثيل البريطاني الكثير من التساؤلات في مجلس الوزراء، وفي اجتماع لهيئة الدفاع الإمبراطوري في سبتمبر ١٩٣٥م، اقترح الكابتن فيليبس من البحرية البريطانية تعيين رجل انجليزي في منصب عيسى بن عبداللطيف الشاغر، وكان قد تم تعيين سيد عبد الرزاق في مكان عيسى بن عبد اللطيف، إلا أن معظم المسؤوليات بدأت تنتقل تدريجيا إلى موظف بريطاني منذ عام ١٩٣٧م وهو الكابتن هاوس. وعلى أي حال لم يتمكن هاوس بسبب نقص عدد الموظفين في الوكالة وبسبب الأحوال الجوية، وخاصة في فصل الصيف، وبسبب أيضا عدد من المشاكل الأخرى المصاحبة لأي تعيينات جديدة في حكومة الهند من تولي مهام عمله فعليا إلا عام ١٩٣٩م، وبقي في البحرين طوال ذلك الوقت وكان يزور الامارات وقت الشتاء فقط [٥].

كان آخر الوكلاء المحليين كما ذكرنا سابقا هو جاسم الكظماوي الذي انتهى

عمله عام ١٩٤٩م، وكان في تلك الفترة يعمل إلى جانب الضابط البريطاني، وبعد انتهاء عمل الكظماوي، أصبح الضابط السياسي البريطاني المقيم في الشارقة بعد هذا التاريخ الممثل الوحيد للمصالح البريطانية في الإمارات، وأصبح مقيما في الشارقة بصفة دائمة بعد عام ١٩٤٩م، حينما ألغيت تماما وظيفة الوكيل المحلي .

نعود قليلا إلى الوراء ففي عامي ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦م تمّ تعيين الكابتن مورفي ضابطا سياسيا إلى جانب الكظماوي. وخلال عامي ١٩٤٦-١٩٤٧م تولى هذا المنصب الكابتن هدسون، ثم جاكسون خلال الفترة ١٩٤٨-١٩٤٩م. وخلال أعوام ١٩٤٩ -١٩٥١ م أصبح ستوبارت ضابطا سياسيا مقيما بصفة دائمة في الساحل تبعه ولتون خلال أعوام ١٩٥١-١٩٥٣م. ثم وير ١٩٥٢-١٩٥٣م، ومنذ مايو ١٩٥٣م رفعت هذه الوظيفة إلى معتمد سياسي، وانتقل المقر من الشارقة إلى دبي . كان مورفي وهدسون هما أول تعيينات حكومة الهند من ضباط الجيش، بينما كان جاكسون وستوبارت هما أول تعيينات وزارة الخارجية، وكانا دبلوماسيين مدنيين من موظفي وزارة الخارجية البريطانية، ويعتبر هذا نهاية لنظام وضع وعاش طويلا في الخليج، إذ كان موظفو الإدارة السياسية في حكومة الهند يختارون عادة من ضباط الجيش الأذكياء ذوي الميول لدراسة اللغات والتاريخ، وكانوا يعدون إعدادا خاصاً في هذه الإدارة لهذه المهام، ومن أمثال الضباط السياسيين الذين خدموا في الخليج مايلز، الذي ألّف كتابا مهماً عن الخليج ترجم إلى اللغة العربية باسم «الخليج بلدانه وقبائله» وروس، وكوكس، وفاول، وكلها أسماء يعرفها تاريخ الخليج الحديث [٦].

المعتمد البريطاني في دبي

ازداد الاهتمام البريطاني بشؤون الإمارات، ورأت الحكومة البريطانية ضرورة رفع درجة تمثيل الضابط السياسي إلى معتمد سياسي، ونقل مقر التمثيل البريطاني من الشارقة إلى دبي، وبدأت المباحثات التمهيدية لذلك عام ١٩٥٠م. ففي رسالة من المقيم البريطاني في البحرين إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ



Ref: Noor Ali Rashid

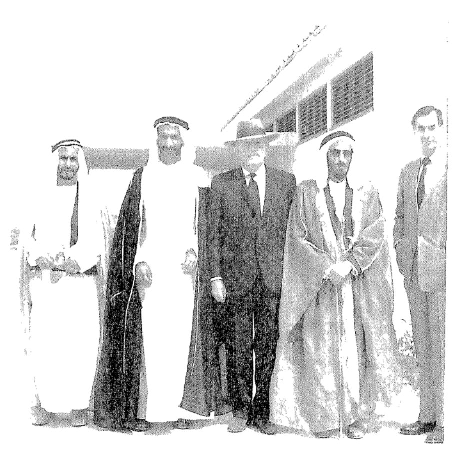
الشيخ راشد بن سعيد المكتوم يتحدث لجوليان بولارد المعتمد البريطاني في دبي

١٥ نوفمبر ١٩٥٠م، ذكر المقيم إن ستوبارت الذي كان ضابطا مقيما في الإمارات في تلك الفترة، أعد تقريرا عن أوضاع دبي المالية، ويشير المقيم البريطاني إلى توصيات الوكالة البريطانية في الشارقة بوجوب إقامة دار اعتماد في دبي بأسرع وقت ممكن. ويشير التقرير إلى أن الإجراءات بوشر بها حيث وقع الاختيار على موقع، ووافق عليه حاكم دبي(٧).

ويأتي الاهتمام البريطاني بوجود دار اعتماد في دبي نظرا للنمو التجاري لدبي الذي بدا واضحا منذ أوائل الخمسينات، خاصة مع احتمالات اكتشاف النفط في الإمارة والذي كان يجري التنقيب عنه من قبل شركة النفط الإنجليزية، ويبدو أن وجود بعض الخدمات في دبي في تلك الفترة شجّع الإنجليز على نقل مقرّهم لها خاصة مع ازدياد التعاملات التجارية للشركات البريطانية، وفتح فروع للبنك البريطاني وبعض الشركات الأجنبية، وبدأت الإجراءات تأخذ مسارها. ففي ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤م، أقفل مكتب الشارقة الذي بقيت فيه الوكالة السياسية منذ عام ١٨٢٣م. وفي الأول من مارس ١٩٥٤م انتقل موظفو دار الاعتماد إلى المكاتب الجديدة التي أنشأتها الحكومة البريطانية على الضفة الجنوبية لخور

دبي[٨]. بعدما رفعت درجة التمثيل من ضابط سياسي إلى معتمد سياسي منذ عام ١٩٥٣م، وتمّ تعيين بري جوردن معتمدا سياسيا في عام ١٩٥٣ م وبقي في منصبه حتى عام ١٩٥٥م، تبعه تريب خلال الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٨م، ثم دونالد هاولي من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١م، وقد ألف هاولي كتابا عن الإمارات بعنوان The Trucial States، ثم تبعه كريغ من ١٩٦١ إلى ١٩٦٤م، ثم بلفور بول من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٦م ثم روبرتس خلال الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٨م، ثم بولارد من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١م وأخيرا جوليان ووكر خلال عامي ١٩٧٠ و١٩٧١م[٩].

وجوليان وولكر هو الذي قام بتخطيط الحدود الداخلية بين الإمارات في منتصف الخمسينات عندما كان مساعدا للمعتمد البريطاني في دبي، وقام بتأليف كتاب عن الإمارات بعنوان (Tyro on the Trucial Coast).



Ref: Noor Ali Rashid

من اليمين، جيمس كريغ المعتمد البريطاني في دبي، الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي، السير بوستد المعتمد البريطاني في أبوظبي، الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي.

المعتمد البريطاني في أبوظبي

في منتصف الخمسينات، بدأ الاهتمام البريطاني بأبوظبي يزداد نتيجة للاحتمالات القوية لاكتشاف النفط في الإمارة. وفي رسالة من وزارة الخارجية البريطانية إلى المقيم البريطاني بتاريخ ٩ يوليو ١٩٥٤م، أبدى مسؤولو الخارجية البريطانية موافقتهم على مقترحات الإدارة البريطانية في الخليج بتعيين ضابط سياسي أو (معتمد سياسي مساعد) في أبوظبي تابع للمعتمد البريطاني في دبي.

وتشير الرسالة إلى أن تعيين معتمد سياسي سيصبح ممكنا حالما يتم اكتشاف النفط بكميات تجارية في أبوظبي[١٠]، وتم تعيين بكماستر ضابطا سياسيا في أبوظبي خلال الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٨م، وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦ أقيم احتفال في أبو ظبي بمناسبة افتتاح دار الاعتماد الجديدة[١١]. وبعد بكماستر، أصبح مورسنوب معتمدا مساعدا خلال الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٥٩م، ثم هندرسون خلال الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١ م، وتمّ رفع درجة التمثيل السياسي في أبوظبي عام ١٩٦١م وذلك بعد اكتشاف النفط ليصبح بوستد أول معتمد سياسي خلال الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٦٥ م، وتبعه لامب خلال الفترة من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨م، وأخيرا تريدويل من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١ م، وهكذا استمر كل من المعتمد السياسي في دبي والمعتمد السياسي في أبو ظبي في تمثيل المصالح السياسية البريطانية في الإمارات حتى الانسحاب البريطاني عام ١٩٧١م[١٢].

الهوامش:

(١) د. فاطمة الصايغ، الوكيل الوطني ودوره في صنع القرار البريطاني في الساحل المتصالح، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٦٩، ص ٨٩

(٢) رسالة من الدائرة السياسية إلى مجلس إدارة شؤون (الشركة المتحدة لتجار انجلترا) ٢ يوليو ١٨٢٥، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، تاريخ الإمارات، مجلد ١، ص١٢٩

(٣) المرجع السابق

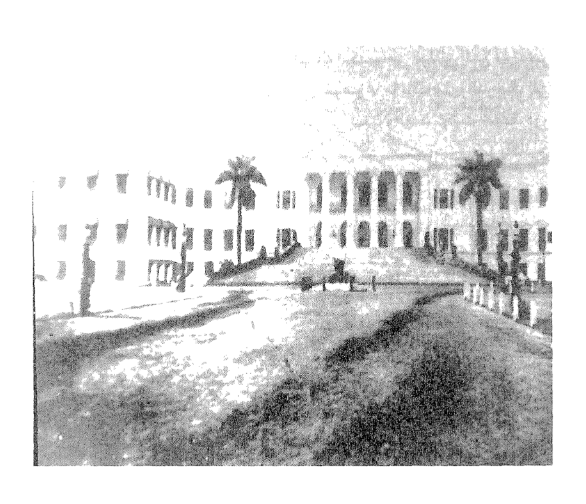
(٤) فاطمة الصايغ، م. س، ص ٨٩ ـ ١١٩

(٥) المرجع السابق

(٦) محمد مرسي عبد الله، م. س، ص ١٠٣ ـ ١٠٤

(٧) رسالة من المقيم البريطاني في البحرين إلى وزارة الخارجية، ١٥ نوفمبر ١٩٥٠، مختارات من أهم الوثائق البريطانية،

(٥)



دار الحكومة البريطانية في كلكوتا - الهند عام ١٨٦٠

أصدر الأرشيف البريطاني مختارات من الوثائق البريطانية على شكل مجلدات مصنفة حسب الموضوعات، فصدرت وثائق كثير من الدول مثل الإمارات والكويت والبحرين وقطر وعُمان والسعودية والعراق واليمن والأردن وغيرها، كما صدرت وثائق مختارة تخص موضوعات معينة مثل قضية فلسطين، ومشكلة الحدود العراقية الإيرانية، وقضية البريمي في الخمسينات، ومشاكل الحدود العربية، وغيرها .

ولا شك في أن تلك الإصدارات سهَلت للباحثين طرق الوصول إلى الوثائق، واختصرت لهم سنوات البحث عنها في دور الوثائق، ولكن تلك المجلدات تبقى غير كافية عند الكتابة في موضوع ما، فهناك الكثير من الوثائق التي لم تنشر لسبب أو لآخر . لذا سيضطر أي باحث يتناول موضوعا ما بالبحث والدراسة، إلى شد الرحال إلى مراكز الوثائق، وبشكل خاص إلى لندن والهند، حيث تحتفظ دور الوثائق هناك بكل ما كتب من رسائل وتقارير من قبل السياسيين البريطانيين والوكلاء المحليين وغيرهم .

وقبل أن نجري جولة في تلك المراكز، ونطلع على ما تحويه أرشيفاتها من مادة علمية تاريخية مهمة، سنأخذ فكرة عن الوثائق البريطانية، فقد ذكرنا سابقا أن قصة ظهور الوثائق البريطانية مرتبطة بتاريخ شركة الهند الشرقية البريطانية، وعندما أنشأت الشركة وكالة لها في بندر عباس عام ١٦٢٢م، بدأت تلك الوكالة في كتابة التقارير عن كل ما يخص منطقة الخليج، وبعد افتتاح مقر للشركة في بوشهر عام ١٧٦٣م، أصبح المقيم البريطاني هناك يرسل تقاريره مباشرة إلى حكومة الهند البريطانية. ولكن بعد تعيين وكيل محلي في الإمارات تابع للإدارة البريطانية عام ١٨٢٣م، أصبحت الرسائل والتقارير الصادرة من مقره في الشارقة أكثر غزارة وتفصيلا، وبدأت تشمل مختلف جوانب الحياة في الإمارات سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية .

ويستمتع المطلع على الأرشيف البريطاني بقراءة تقارير ورسائل باللغة الإنجليزية وأحيانا بالعربية، وهناك معاهدات كتبت بنسختين عربية وانجليزية مثل

معاهدة عام ١٨٢٠م التي عقدت بين بريطانيا وحكام الإمارات، وغيرها من المعاهدات، كما انه بالاستطاعة تصفح الكثير من رسائل الحكام والتجار وغيرهم، والتي تتطرق لمختلف القضايا .

ويتميز الأرشيف البريطاني بأنه يحتفظ بكل ورقة يرسلها المقيمون البريطانيون، فتستطيع قراءة الكثير من رسائل طلب العتق من الرق التي تقدّم بها الأرقاء ضد سادتهم، وشكاوى الغاصة ضد تجّار اللؤلؤ، وخلافات الممولين وتجار اللؤلؤ وغيرها كثير .

ولكن هناك سؤالاً يطرحه الكثيرون وهو : إلى أي مدى يمكن الاستعانة بالوثائق البريطانية؟ وهل من الممكن أن تقتصر الأبحاث عليها؟

لا شك في أن الاستعانة بمصادر مختلفة تثري الأبحاث والدراسات التي تتناول أي فترة من فترات تاريخنا الحديث والمعاصر، ولكن هذا يتوقف على توافر المصادر الأخرى ومدى دقتها، أما بالنسبة للوثائق البريطانية فيمكن القول إن مادتها تعتبر أفضل مادة تاريخية، وأهم مصدر لتاريخ الخليج، لأنها كتبت من قبل موظفين رسميين، وتحمل طابعا رسميا، وسجّلت الأحداث وقت حدوثها، ولكن يؤخذ عليها أنها كتبت من وجهة نظر الساسة البريطانيين، إلا أن هذا لا يقلل من قيمتها ولا يغير من صحة معلوماتها، غير أن عيب كثير من الوثائق عدم وضوحها، أو تكرار مادتها العلمية أحيانا، كما لا تحوي كل الوثائق مادة علمية يمكن الاستفادة منها، ولكن تبقى معظمها ذات قيمة تاريخية، ومما يميز الوثائق البريطانية أيضا طول المدة التي شغلتها، وعند مقارنتها بالوثائق الأخرى نجدها تتفوق من هذه الناحية، فالوثائق البرتغالية مثلا تغطي الفترة من عام ١٥٠٧م إلى ١٦٠٨م ، أما وثائق الدولة العثمانية فتقدم لنا فترة صراعها مع البرتغاليين في الخليج خلال القرن السادس عشر، ثمَ تختفي لتظهر ثانية بين عامي ١٨٧١ و١٩١٤ م، أما الوثائق الهولندية فتغطي الفترة من عام ١٦٢٣ حتى عام ١٧٦٠ م ثم تتوقف .

وتعنى الوثائق الأوروبية بصفة عامة بمسألة الصراع الدولي، ولا تمس إلا نادرا

الأوضاع الداخلية لبلدان الخليج، وهنا تبرز أهمية الوثائق البريطانية وتفوقها على مثيلاتها من الوثائق الأوروبية، ولكن أين توجد الوثائق البريطانية ؟ وما هي المراكز التي تحويها سواء في لندن أو في الهند أو غيرها، لنتجول معا في هذه المراكز ونرى ماذا يوجد فيها؟

(١) دار السجلات الحكومية في بومباي :

تحتفظ دار السجلات الحكومية في بومباي بمجموعة كبيرة من الوثائق التي تحتوي على معلومات كثيرة وقيمة تخص الجزيرة العربية وشرق الجزيرة ومنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، وسجلات بومباي في الأساس هي سجلات شركة الهند الشرقية البريطانية وسجلات السلطات البريطانية التي ورثت تلك الشركة وتولت مسؤولياتها، وتوصف سجلات شركة الهند الشرقية البريطانية بأنها أفضل مادة تاريخية في العالم، وليس في هذا القول كثير من المبالغة إذا

نموذج من الوثائق البريطانية المكتوبة بخط اليد

عرفنا العدد الهائل من المجلدات التي تتألف منها السجلات وطبيعة المادة التاريخية التي تحتويها .

وتتوفر سجلات شركة الهند الشرقية في أماكن متعددة، فتحتفظ مكتبة دائرة الهند India office library في لندن بجزء كبير منها، كما أن هناك جزءا كبيرا آخر في دور الوثائق المتعددة والمتناثرة في شبه القارة الهندية، وبالأخص دار الوثائق الوطنية الهندية National Archives of India، ودار السجلات الحكومية في بومباي .

وسجلات بومباي ذات مكانة متميزة كمصدر مهم لتاريخ الجزيرة العربية والخليج، إذ كانت بومباي كما ذكرنا مقرا لإحدى مديريات الشركة الثلاث في الهند، وقد عهد إليها بالإشراف المباشر على جميع الوكالات Agencies، والمقيميات Residencies، والممثليات البريطانية التي أوجدتها الشركة إلى الغرب من شبه القارة الهندية، منها تلك التي أقيمت في منطقة الخليج العربي والجنوب العربي والعراق وفارس، واعتبرت بومباي مسؤولة كذلك عن رعاية مصالح الحكومة البريطانية، إضافة إلى مسؤولياتها في رعاية مصالح شركة الهند الشرقية في كل تلك الأماكن، وبعد هذا فليس من الغريب أن يتوقع المرء العثور على المعلومات التاريخية الكثيرة ذات الصلة بما نحن بصدده في سجلات بومباي ووثائقها، ولعله من المفيد أن نذكر هنا أن سجلات بومباي هذه هي من خيرة السجلات البريطانية في الهند من حيث الوفرة والتنظيم، ومن الغرابة بمكان أن سجلات بومباي لم تستخدم بشكل فعّال من قبل الباحثين العرب، وتحفظ سجلات بومباي في الوقت الحاضر في مبنى Elphiston college في قلب مدينة بومباي وتضم ٩٨ ألف مجلد و ٣٠٠ ألف إضبارة من هذه ٦٠٠٠ مجلد تخص الفترة السابقة لعام ١٨٢٠م، ويعكس هذا القدر الضخم من السجلات والمعلومات التي تحتويها، فعاليات الشركة، والسلطات البريطانية التي تلتها لفترة من الزمن تزيد على ثلاثة قرون .

لقد كانت التجارة هي موضع الاهتمام الأول بالنسبة لشركة الهند الشرقية البريطانية، خاصة خلال الأعوام المائة والخمسين الأولى من قيامها، ولكن فعاليات الشركة لم تقتصر في أية فترة من فترات تاريخها الطويل على التجارة وحدها، بل كثيرا ما كانت تتجاوزها إلى المجالات السياسية والعسكرية وذلك بحجة الرغبة

في توسيع التجارة وحمايتها. واعتاد موظفو الشركة ومستخدموها تسجيل كل تلك الفعاليات والكتابة عنها إلى مستخدميهم في لندن وبومباي، بل كثيرا ما سجَل أولئك الموظفون والمستخدمون ما يقع تحت سمعهم وبصرهم من أحداث محلية في الأماكن التي كانوا يوجدون بها وان لم يكن لتلك الأحداث صلة مباشرة بهم وبمصالح الشركة. وهذا يفسر كثافة المعلومات التاريخية في وثائق الشركة وسجلاتها. وتتناثر المعلومات الخاصة بالجزيرة العربية بأصناف عديدة من سجلات بومباي، ولكن هناك أصنافا معينة من تلك السجلات تتميز بغزارة المادة ووفرتها ومن هذه :

(١) سجلات المقرات التجارية والمقيميات

Records of factories and Residencies

٢) سجلات مدينة بومباي

The Presidency Records

(٣) سجلات البعثات واللجان والمعاهد

Records of Missions , committees institutions

(٤) مختارات من الرحلات والرسائل والأوراق الرسمية المحفوظة عند سكرتارية بومباي.

Selections From The Travels and Journals Preserved in the Bombay Secretariat edited by George .W. Forrest

(٥) مختارات من سجلات حكومة بومباي

Selections from the Records of the Bombay Government

624 *Records of the Emirates*

Report by the Residency Agent Shargah. (No 5 d/ 25.1.07)

With reference to my report No 199 dated 31st December 1906, I beg to state that when a peace was effected between the Chief of Abu Dhabi and the Beni Katb tribe and the Chief of Um-el-Kowein and when the Chief of Um-el-Kowein received a letter from the Chief of Abu Dhabi to the effect that doubts & ill feelings have been dispelled and that the friendly relations which existed between him and the Chief of Um-el-Kowein's father will be duly observed, the Chief of Um-el-Kowein, being sincere in his wishes, proceeded to the Chief of Abu Dhabi to pay him a visit and also

نموذج من الوثائق البريطانية القديمة

وجاءت أغلبية سجلات الأصناف الثلاثة الأولى بشكل يوميات Diaries دوّن فيها ممثلو الشركة جميع المراسلات المتبادلة بين بعضهم بعضا. وبينهم ومديري الشركة في لندن، وبينهم والحكام المحليين، كما سجلوا فيها المناقشات والمشاورات Consultation التي تجرى في مجلس المديرية ومجالس الوكالات والإجراءات والقرارات التي تتخذ تبعا لذلك، واعتاد ممثلو الشركة تدوين كل ما يقع لهم وما يقع في المنطقة التي يقيمون بها من أحداث في يومياتهم. وكثيرا ما كتبوا في تلك اليوميات أنباء وأخبارا تطرقت إلى سمعهم من أماكن بعيدة نسبيا عن أماكن إقامتهم .

وبعد هذا الوصف الموجز لمدلول اليوميات، نأتي على ذكر كل صنف من الأصناف الخمسة المذكورة لنبين مدى أهمية محتوياتها .

أولا: سجلات المقرات التجارية والمقيميات :

ونجد في هذا الصنف من سجلات بومباي نوعين متميزين هما (يوميات المقرات التجارية Factory Diaries، ويوميات المقيميات Residency Diaries وضمن هذين النوعين من اليوميات نجد تلك السجلات الخاصة بمخا والبصرة وبندر عباس وبو شهر، وفي كل هذه السجلات معلومات قيمة تخص الجزيرة العربية، خاصة بالنسبة للفترة السابقة للقرن التاسع عشر .

بالنسبة إلى يوميات مخا، هناك يوميات المقر التجاري في مخا ويوميات المقيمية في مخا، وتحتوي يوميات المقر التجاري على أربعة مجلدات تغطي الفترة من عام ١٧٢٢م إلى ١٧٥٩ م وفي طياتها معلومات تجارية تخص القهوة وكل ما يتعلق بتجارة هذه السلعة المهمة، وكانت مخا خلال القرن الثامن عشر السوق التجاري الرئيسي لتجارة هذه السلعة، وكانت سوقها رائجة والأرباح المتأتية منها كبيرة ومغرية، وقد قامت كل من شركة الهند الشرقية البريطانية، وشركة الهند الشرقية الهولندية، بفتح مقر دائم لها في هذا الميناء، وعلى هذا كان التنافس على أشده بين ممثلي هاتين الشركتين، كما كان هؤلاء جميعا على خصام دائم مع السلطات المحلية التي كثيرا ما وصفها الأوروبيون بالتعسف، مدّعين أنها ترفع أسعار القهوة دون مبرر وتفرض ضرائب باهظة على بضائعهم وسفنهم .

أما يوميات المقيمية فهي في الحقيقة ليست يوميات بقدر ما هي رسائل كتبها المقيمون البريطانيون في مخا وربابين السفن إلى رؤسائهم في بومباي. وهناك يوميات البصرة: يوميات مقر البصرة التجاري Bussora Factory Diaries، ويوميات مقيمية البصرة Bussora Residency Diaries، والمادة التي تحتويها يوميات البصرة كثيرة ومهمة تخص البصرة وولاية بغداد والجزيرة العربية والخليج العربي والقوى المحلية والحكام المحليين لكل تلك الأماكن، ومن اليوميات المهمة التي تحتفظ بها سجلات بومباي، يوميات بندر عباس، وتغطي مادتها الفترة من ١٧٤١ إلى ١٧٥٧م ونجد فيها تحركات القبائل العربية في منطقة الخليج العربي في منتصف القرن الثامن عشر وأحداث الخليج العربي، ويقال الشيء نفسه عن يوميات بو شهر، وهي رسائل صادرة وواردة للفترة ما بين عام ١٧٨٩ وعام ١٧٩٨م(١).

ثانيا: - سجلات بومباي Bombay Residency Records

وتصنف سجلات مديرية بومباي تبعا للأقسام التي كانت تتألف منها المديرية، وحتى عام ١٧٥٥م لم يكن لمديرية بومباي إلا قسم واحد هو القسم العام Public Department. وفي التاريخ المذكور أنشئ قسم آخر هو القسم السياسي والسري Political and Secret Department. ثم تتالت الأقسام، فأنشئ القسم التجاري والقسم البحري وقسم الإيرادات والقسم الصحي.. الخ، وذلك نظرا لتوسع مهام المديرية وتشعب مسؤولياتها، وكان القسم السياسي والسري يفصل إلى قسمين، سياسي وسريّ في بعض الأحيان، ويدمج في قسم واحد في أحيان أخرى.

وقد نجد المعلومات التاريخية التي تهمنا متناثرة في سجلات أغلب تلك الأقسام، ولكن المادة الأساسية تتوفر في سجلات القسم العام للفترة السابقة لعام ١٧٥٥م، وفي القسم السياسي والسري للفترة التي تلت عام ١٧٥٥م. ووردت المعلومات في سجلات كلا القسمين (أي القسم العام والقسم السياسي والسري) ضمن اليوميات. وقد استمر نظام اليوميات هذا معمولا به حتى عام ١٨٢٠م حين أبدل النظام برمته.

وهناك في القسم السياسي والسرّي وللفترة ما بين عام ١٧٥٥ وعام ١٨٢٠م

ما يزيد على ١٠٠ مجلد. تضمنت يوميات أدخلت فيها موضوعات تخص عدن والبحرين ومسقط ومخا واليمن وقبيلة القواسم والدولة السعودية ومواضيع أخرى. وبعدما أبطل نظام اليوميات في كل الأقسام بالنسبة لجميع سجلات وإجراءات الشركة بعد عام ١٨٢٠م، صارت السجلات والمجلدات التي تضمها تصنف حسب الحروف الهجائية تبعا للموضوعات. وبالنسبة لمجلدات القسم السياسي والسري، فقد وضعت سجلات خاصة بها ومستقلة تخص كل مكان وموضوع ذوي شأن. لذا نجد السجلات التي تهمنا قد صُنفت مجلداتها تحت العناوين الآتية: الخليج، مخا، مسقط، بوشهر، التجارة، تجارة الأسلحة، البحرين، عدن، القواسم.. الخ.

وتتميز الفترة التي تلت عام ١٨٢٠م بكثرة المعلومات وغزارة المواد التاريخية التي تضمنتها سجلات بومباي، وقد زاد عدد المجلدات ذات الصلة بالجزيرة العربية والخليج زيادة هائلة، ولعل التطورات السياسية تعطي التفسير الملائم للوضع الجديد، فقد شهدت بداية هذه الفترة نهاية الصراع بين القواسم والبريطانيين ومهّدت تلك النهاية السبيل لسيطرة بريطانيا سيطرة فعلية على منطقة الخليج، وقد ارتبطت بعض القوى المحلية في المنطقة ارتباطا وثيقا بالبريطانيين، وزاد هذا في اهتمام هؤلاء بكل أحداثها، وشهدت الفترة أيضا تحركات المصريين في جزيرة العرب، وكان هناك احتمال اندفاعهم إلى سواحل الجزيرة العربية وتعرضهم للمصالح البريطانية هناك، وصمم البريطانيون على احكام سيطرتهم على الخليج العربي والممرات المائية المؤدية للمحيط الهندي فاحتلوا عدن عام ١٨٣٩م، وأوجدوا المبررات واختلقوا الحجج للتدخل في شؤون هذا الجزء من الوطن العربي أو ذاك؛ فحاربوا القبائل العربية بدعوى مكافحة القرصنة ومقاومة تجارة الرقيق ومنع تهريب الأسلحة وحماية أمن المنطقة ضد أطماع القوى المحلية من فارسية وعثمانية ومصرية، وضد القوى الأوروبية الأخرى من فرنسية وروسية وألمانية، وربط البريطانيون أغلب حكام المنطقة بمعاهدات واتفاقيات تضمن المصالح البريطانية، وانتشر القناصل والدبلوماسيون والممثلون في كل ناحية وميناء. لقد اقتضى هذا التوجه الجديد زيادة النشاط البريطاني وتطلب مضاعفة البريطانيين لاهتمامهم بكل شأن من شؤون الخليج والجنوب

العربي وشرق الجزيرة العربية والأقاليم المجاورة، فكتبت التقارير المفصلة لكل جانب من جوانب النشاط السياسي والاقتصادي والإداري في تلك الأماكن، وتوغل الرحالة والمغامرون في قلب الجزيرة العربية، وغطى كل حدث بشيء من التفصيل، فتراكمت المعلومات وتضاعف عدد المجلدات الخاصة بكل جزء من أجزاء المنطقة .

ويكفي أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر أن هناك ستة مجلدات عن عدن لعام ١٨٤٠م، وهناك خمسة مجلدات عنها لعام ١٨٤١م وسبعة مجلدات لعام ١٨٥٦م، كما توجد ستة مجلدات عن مسقط لعام ١٨٦٧م وتسعة مجلدات عنها لعام ١٨٦٩م .

ومجمل القول ان هناك ما يقرب من ٥٠٠ مجلد للفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٨٠م لها صلة مباشرة وغير مباشرة بالجزيرة العربية، متوفرة في القسم السياسي والسري في دار السجلات الحكومية في بومباي .

ويلاحظ الباحث تناقصا ملحوظا في سجلات القسم السياسي والسري خلال فترة السبعينات وبعدها من القرن التاسع عشر، وينحصر التفسير لهذا التناقص في تضاؤل الدور الذي أخذت تلعبه حكومة بومباي في الشؤون الخارجية، وسبق أن ذكرنا في بداية حديثنا، أن مديرية بومباي كانت مسؤولة عن رعاية مصالح شركة الهند الشرقية، بل ومصالح الإمبراطورية البريطانية في أجزاء مهمة من العالم تقع إلى الغرب من شبه القارة الهندية مثل منطقة الخليج والجنوب العربي والجزيرة العربية والعراق وفارس[٢] .

الهوامش :

(١) للمزيد من التفاصيل، انظر د. عبد الأمير محمد أمين، مصادر تاريخ الجزيرة العربية في دار السجلات الحكومية في بومباي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية الجزء الثاني، منشورات جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص ١٨٥

(٢) المرجع السابق

(٦)

نتابع في هذه الحلقة ما ذكرناه عن سجلات بومباي ، ففي عام ١٧٧٣م سنّ البرلمان الإنجليزي ما يعرف بقانون التنظيم (The regulating Act) الذي منح مديرية البنغال ومقرها كلكوتا الإشراف على شؤون المديريتين الأخريين، بومباي ومدراس، ولكن بومباي استمرت في رعاية الشؤون الخارجية للمصالح البريطانية في الأماكن الآنفة الذكر، وبقي الموضوع على ما هو عليه حتى بعد انتهاء دور شركة الهند الشرقية، وتولي حكومة لندن الإشراف الكامل على شؤون الهند عام ١٨٥٧م، وكان هناك شعور متزايد لدى الأوساط الحاكمة البريطانية، سواء في إنجلترا أو في الهند بأن استقلالية الحكومات المحلية في الهند بإدارة الشؤون الخارجية لا تخدم مصالح الإمبراطورية البريطانية على الوجه الأفضل .

ان تطور وسائل المواصلات وسرعتها واستخدام التلغراف أزال المبررات التي كانت قائمة والتي أعطت المديريات الثلاث في الهند حق الإشراف على الشؤون الخارجية، كل في مجالها الخاص، وآن الأوان لإخضاع جميع الشؤون الخارجية لسلطة حكومة الهند المركزية .

وأخيرا، وبعد مفاوضات مطولة بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند، تمت الموافقة عام ١٧٧٢ م على نقل الإشراف على الشؤون الخارجية إلى حكومة الهند المركزية، على أن ترسل نسخ من كل المراسلات للوكالة البريطانية في الخليج إلى حكومة بومباي لإحاطة المسؤولين في تلك الحكومة بالمعلومات الضرورية من جهة، وللاستفادة من ملاحظاتهم وخبراتهم من جهة أخرى، واستمرت حكومة بومباي

لسنين تشارك حكومة الهند المركزية في إدارة الشؤون الخارجية، ولكن دورها كان في تناقص مستمر. وما ان حلَ القرن العشرون حتى انتقلت إدارة تلك الشؤون برمتها إلى حكومة الهند المركزية، وهكذا انتقلت المادة التاريخية الأساسية إلى أماكن أخرى من الهند، ولم تعد بومباي هي المكان الملائم تماما للبحث عنها.

ولا نريد الانتقال إلى بحث الأصناف الثلاثة التالية من سجلات بومباي من دون التطرق إلى الميزة الأخرى للصنفين اللذين سبق الكلام عنهما (سجلات المقرات التجارية والمقيميات وسجلات مديرية بومباي)، وهذه لها أهميتها الخاصة كسجل مهم لتحركات القبائل العربية، ولعل سجلات هذين الصنفين هي من أفضل المصادر التاريخية في هذا المجال، فقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر فعاليات عربية واسعة النطاق في قلب الجزيرة العربية وعلى جانبي الخليج العربي، وأظهرت القبائل العربية من الحيوية والنشاط والقدرة البحرية والقوة ما ليس له مثيل في تاريخ العرب الحديث، ولعل اندفاع قبائل عُمان في عهد اليعاربة في النصف الثاني من القرن السابع عشر وتحرك القبائل العربية من وسط الجزيرة العربية في إطار الدعوة الإصلاحية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ونشاط القبائل العربية في الجزء الشمالي من الخليج (عرب بو شهر، وبندر ريق، وجزيرة خرج، وقبيلة كعب، والعتوب) ثم صراع القواسم مع الإنجليز ونجاح العتوب وعرب عُمان والجنوب العربي في المجال التجاري إضافة إلى نشاطاتهم السياسية والعسكرية، وسيطرتهم على التجارة بين الهند من جهة والخليج العربي والبحر الأحمر من جهة أخرى، كل هذه مظاهر واضحة للحيوية والنشاط العربيين.

واشتبكت القبائل العربية في صراع طويل مع العثمانيين والفرس طيلة القرن الثامن عشر للتخلص من نير هؤلاء وهيمنتهم، وزجَ الإنجليز والهولنديون بأنفسهم في هذا الصراع، وأدى تدخل الهولنديين إلى جانب الفرس ضد مير مهنا حاكم ميناء بندر ريق وجزيرة خرج إلى قيام الحرب بينهم وبين هذا الحاكم العربي، وانتهت الحرب بانتصار الأخير وسقوط جزيرة خرج آخر معاقل الهولنديين في الخليج عام ١٧٦٧م، وكانت هذه نهاية الوجود الهولندي في الخليج. وتدخل

البريطانيون في الحرب الدائرة بين قبيلة كعب من جهة، والفرس والعثمانيين من جهة أخرى وذلك بحجة حماية الملاحة في شط العرب والحفاظ على تجارة البصرة. ودارت الدوائر على العثمانيين والفرس وحلفائهم الإنجليز وتوالت عليهم الهزائم والنكبات. ويكفي أن نذكر أن الأسطول الذي أرسلته السلطات الإنجليزية إلى الخليج عام ١٧٦٦م لمحاربة كعب يمثل أعظم قوة بحرية بريطانية دخلت مياه الخليج منذ قدوم الإنجليز إلى هذه المياه في أوائل القرن السابع عشر وحتى قيام تلك الحرب، وخلال الفترة ١٧٦٦ ـ ١٧٧٢م كان الأسطول الإنجليزي في الشرق مشتبكا برمته تقريبا في الحرب ضد كعب وضد مير مهنا، وتطلب الأمر أخيرا الاستعانة بالأسطول الملكي في أوروبا للمساهمة في الحرب ضد القبائل العربية. كل تلك الجوانب من النشاط العربي السياسي والعسكري والتجاري، وكل هذه الحيوية للقبائل العربية، دُونت يوما بيوم في كثير من الأحيان وسجلت بشيء كثير من التفصيل، ووُصفت بقسط كبير من هذا، ونستطيع القول ان أي دراسة جادة لتاريخ الجزيرة العربية وتحركات وفعاليات القبائل العربية لا يمكنها تجاهل سجلات بومباي هذه .

ثالثا : سجلات البعثات واللجان والمعاهد

(Records of Missions ,Committiees ,Institutions , etc)

رابعا : مختارات من الرسائل والأوراق الرسمية الأخرى

(Selections From the letters , Dispatches and Other paper)

ويتضمن هذا الصنف من السجلات كثيرا من الرحلات قام بها عدد من المغامرين كان أغلبهم في خدمة شركة الهند الشرقية، وقد قام جورج فورست باختيارها وطبعها لاعتقاده بأهميتها وهي

(Narrative of A Journey From The Tower Of Bal Haff on the Southern coast of Arabia . April 1835).

(١) رحلة ولستد وزميله كروتندن، على ظهر سفينة الشركة الاستطلاعية (Palinurus) بالقرب من ساحل رملي يدعى رأس الأسد عندما تطرق إلى سمعهم وجود خرائب وبقايا مدن لا تبعد كثيرا عن موقع سفينتهم، فما كان منهما إلا أن

ملاً قربهما بالماء وامتطيا الجمال وسارا مصطحبين معهم بعض البدو . وكانت الرحلة شاقة ولكن النجاح الذي حققاه استحق ذلك العناء .

(٢) والرحلة الثانية من هذه المختارات هي (Account of An Excursion in Hadramout) وقام بها بارون رد ، وهو مغامر بافاري قام برحلة من عدن إلى المكلا في عام ١٨٤٣م ، وترك وصفا ممتعا لبعض المواقع وقام الكابتن هينز بإرسال وصفه هذا إلى حكومة بومباي وأرسلته هذه بدورها إلى الجمعية الملكية الجغرافية .

(٣) الرحلة الثالثة : (Narrative of Journey From Mocha to Sana)

(٤) الرحلة الرابعة :- (Memoir of the South Coast of Arabia from the Entrance of the Red Sea to Misena, by: Capt . Haines

(أعطى الكابتن هينز الذي قام بتلك الرحلة وصفا لخمسمائة ميل من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب التي لا يعرف عنها إلا النزر اليسير خلال أعوام ١٨٣٤ م و١٨٣٥م و١٨٤٦م .

مختارات من سجلات حكومة بومباي :

(Selections From the Records of The Bombay Government)

ويتضمن هذا الصنف تقارير ودراسات ورحلات متنوعة قام بها أشخاص بريطانيون وغير بريطانيين في أوقات متفاوتة واختارتها حكومة بومباي لاعتقادها بأهميتها وقامت بطبعها ونشرها[١] .

دار المحفوظات البريطانية

ومن المراكز المهمة التي يوجد بها وثائق مهمة تخص تاريخ الإمارات العربية المتحدة والخليج بصفة عامة، دار المحفوظات البريطانية العامة (Public Record Office) وأذكر انني عندما سألت عن موقع هذا المركز في لندن ذكر لي في البداية عنوان داخل مدينة لندن وبعد زيارتي له اتضح أن هناك فرعا له خارج مدينة لندن قمت بزيارته، وفوجئت بحجم المبنى الذي يتكون من عدة طوابق. وهذا المركز يحتفظ بعدد هائل من الوثائق التي تخص مختلف مناطق العالم ووجدت نفسي وأنا أتجول بين الأرفف والأدراج الهائلة، تائها بين عشرات الباحثين المنكبين على قراءة وثائق تخص مناطق مختلفة من العالم، وتكتسب وثائق دار المحفوظات البريطانية أهمية خاصة لدورها في الكشف عن المصالح البريطانية في جزيرة العرب بعد الحرب العالمية الأولى، حيث اتخذ النفوذ البريطاني طابعا جديا في تلك المنطقة المتميزة من الوطن العربي، وتلك الوثائق تتضمن كتابات الوكلاء البريطانيين وتقاريرهم إلى رؤسائهم في لندن حيث غطت سير الأحداث المحلية والحركات السياسية العربية في جزيرة العرب، وتحركات القبائل والنشاط التجاري. وهذه الوثائق بشكل عام تفصح لنا عن السياسة البريطانية في جزيرة العرب في تلك الفترة، وفيها مادة غزيرة عن جزيرة العرب، ويلاحظ الباحث تفاصيل دقيقة لمجريات الأحداث والإحاطة بصغائر الأمور مما يثير الدهشة، وهي من الضخامة والتعقيد بحيث تجعل الباحث يبذل جهدا خاصا للإحاطة بها. والجانب الأكيد من الوثائق يتعلق بالتقارير المبلغة إلى وزارة الخارجية البريطانية والرد عليها.

وثائق ما بعد الحرب العالمية الأولى

تحتل الوثائق التي تعقب الحرب الأولى أهمية بالغة للباحث حيث يمكن ملاحظة اتجاه الحكومة البريطانية لفرض حمايتها على إمارات الخليج والإجراءات التي اتخذتها لتنفيذ ذلك، إضافة إلى الأساليب العسكرية والدبلوماسية التي اتخذتها بريطانيا لكسب حكام الخليج والجزيرة العربية إلى جانبها، إلى جانب

التقارير والمذكرات الخاصة بوزارة الحربية البريطانية، والأدميرالية. بحكم انشغالهما بمشكلات الخليج والجزيرة العربية لظروف الحرب. كما يمكن ملاحظة مدى النفوذ الذي بلغته بريطانيا في المنطقة. حيث تدعمت السيطرة البريطانية بخروج جميع القوى الكبرى التي نافست بريطانيا قبل الحرب في الخليج والجزيرة العربية، إذ هزمت ألمانيا وقامت الثورة البلشفية في روسيا، وعقد اتفاق ودي مع فرنسا، وسلمت فرنسا بالنفوذ البريطاني في جزيرة العرب. وأغلقت قنصليتها في مسقط عام ١٩٢٠م. أمّا الدولة العثمانية فقد هزمت واستحوذت بريطانيا على مناطق نفوذها، وبهذا أخذ المعلقون يطلقون على الخليج العربي خلال هذه الفترة اصطلاح British Lake وقد تضمنت وثائق هذه الفترة مسألة التسويات في جزيرة العرب، فكانت هناك اتفاقية السيب عام ١٩٢٠م بين سلطنة مسقط وزعماء الإمامة في عُمان، وتسوية المحمرة عام ١٩٢٢م، وتسوية العقير عام ١٩٢٢م، بشأن تخطيط الحدود بين العراق ونجد، وبين العراق ونجد والكويت .

وتفصح الوثائق أيضا مسألة إلزام الملك عبدالعزيز بالتعهدات التي قدّمها لبريطانيا في عدم التحرك باتجاه الإمارات المجاورة لممتلكاته في شرق الجزيرة العربية .

وهناك مصنفات خاصة حول النفط يجدها الباحث، حيث يعثر على تسجيل أول امتياز في الجزيرة العربية عام ١٩٢٣م، وهو امتياز نفط الاحساء الذي حصل عليه هولمز من قبل الشركة الشرقية العامة المحدودة من الملك عبدالعزيز، ووثائق النفط تتضمن العقود الأولى للامتيازات والمشكلات التي صاحبتها والتي تمخضت عنها ظاهرة تخطيط الحدود في الجزيرة العربية، وهذه الوثائق كثيرة ومتنوعة وغزيرة المادة .

ويلاحظ الباحث مجموعة ضخمة من الوثائق التي تتضمن الاتفاقيات الأولى للنفط التي بقي بعضها سريا، إضافة إلى أن تلك الوثائق تكشف عن كيفية دخول المصالح الأمريكية في الجزيرة العربية لا سيما في المنطقة الشرقية منها، في وقت كانت تلك المقاطعات مناطق مغلقة للنفوذ البريطاني بسبب الاتفاقيات المانعة .

وتكشف الوثائق البريطانية قصة الصراع البريطاني - الأمريكي في الجزيرة العربية من أجل حصول المصالح الأمريكية على موطئ قدم لها في المنطقة. وتوضح الوثائق أيضا أن مساومات غامضة جرت ومفاوضات غريبة قامت في جو مشحون بالتوتر. حاولت بريطانيا فيه أن تدافع عن مصالحها بإبعاد القوى الكبرى عن الجزيرة العربية بما فيها الخليج العربي، ولكن المصالح الأمريكية استطاعت أن ترغم بريطانيا على الأخذ بسياسة عدم احتكار الامتيازات في المنطقة التي تسبب الأضرار بمصالح الدول الأخرى، واستطاعت الشركات الأمريكية مزاحمة الشركات البريطانية والنفاذ إلى المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين.

وتتضمن الوثائق البريطانية مادة وفيرة حول التطورات السياسية والاقتصادية في كل من الإمارات والكويت والبحرين ومسقط والعراق ومشاكل الحدود بين تلك الأقطار، ويجد الدارس نفسه في خضم التفاصيل والآراء والنتائج المتناقضة المتغيرة من حين إلى آخر وفقا للمصلحة البريطانية، وهناك عدد ضخم من الوثائق المحفوظة في دور السجلات البريطانية يمكن أن يعثر فيها الباحث على مجاميع كاملة وضعها خبراء متخصصون تدعو المسؤولين البريطانيين الموفدين للجزيرة العربية والخليج إلى الأخذ بضرورة استغلال النعرة القبلية والطائفية والدينية والإقليمية والفردية في المنطقة، مما نتج عنه إشاعة الحذر والخوف، ووهم خطر البعض على البعض الآخر، كل ذلك من أجل أن تستطيع بريطانيا أن تمارس مصالحها بحرية كاملة وبدون مقاومة تذكر.

وإلى جانب وثائق وزارة الخارجية البريطانية، هناك وثائق وزارة المستعمرات (Colonial Office) التي يمكن تمييز أربعة عشر مجلدا منها للفترة المنتهية بعام ١٩٢٦م، حيث تمَ إنشاء القسم الشرقي (Eastern Department) خلال تلك الفترة للإشراف على منطقة الخليج والجزيرة العربية والأقطار التي وضعت تحت الانتداب البريطاني، وتعد تلك الفترة، فترة تألق فيها ذلك القسم ومارس مختلف النشاطات حيث تلاشى بعدها لتأخذ وزارة الخارجية على عاتقها مهمته الأساسية بعد أن انتهى دوره في المنطقة بسبب التطورات السياسية التي أعقبت نشوءه،

والمجلدات بشكل عام تتضمن العلاقات الثنائية بين بريطانيا وحكام الخليج والإمام يحيى في اليمن إلى جانب الكشف عن السياسة الإيطالية في البحر الأحمر واليمن والكشف عن سياسة الاتحاد السوفيتي في الحجاز، والوسائل العسكرية الواجب اتخاذها في عدن والصراع اليمني البريطاني. وتلك الوثائق تهتم أولا وأخيرا بوجهة النظر البريطانية والسياسة التي يجب أن تتخذها للاحتفاظ بسيطرتها ونفوذها في أقطار المنطقة وقد قسمت الدبلوماسية البريطانية جزيرة العرب قبيل الحرب العالمية الأولى إلى قسمين سياسيين رئيسيين:

الأول: ويشمل الأجزاء الشمالية والغربية وهي ضمن مناطق النفوذ العثمانية.

الثاني: ويشمل الأجزاء المتبقية التي يحكمها الشيوخ العرب المحليون.

وتحددت المصالح البريطانية في القسم الثاني من جزيرة العرب بمنطقتين متميزتين:

الأولى: عدن والأراضي المحيطة بها.

الثانية: الشريط الساحلي للخليج العربي وخليج عُمان.

واعتبرت بريطانيا ان الشريط الساحلي للخليج، وخليج عُمان، من المناطق الرئيسية التي تديرها حكومة الهند بشكل مباشر، وأصبح الحفاظ عليها من أهم مبادئ تلك الحكومة. وعليه فقد ربطت الإمارات على طول ساحل الخليج بسلسلة من معاهدات الحماية، وقد أعطت الحرب العالمية الأولى اتجاها جديدا للسياسة البريطانية في المنطقة العربية بشكل عام، وجاء قيامها لصالح بريطانيا في جزيرة العرب بشكل خاص، فقد سارعت بريطانيا للدخول في عدة اتفاقيات وتحالفات مع الحكام في منطقة الجزيرة العربية للتعجيل بهزيمة العثمانيين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لعبت بريطانيا دورا بارزا في رسم خارطة سياسية جديدة للجزيرة العربية وذلك بعد أن قام خبراء متخصصون بإجراء دراسات مركزة وشاملة ودقيقة أعطوا فيها آراء محددة حول جميع الأوضاع في جزيرة العرب، وطرحت بعدئذ أمام الحكومة البريطانية بغية تسجيل ما يناسبها. وبعد أن اطمأنت بريطانيا على الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية وفرغت من التنسيق

بينها وبين الحكام العرب فيها كل على حدة. التفتت إلى العلاقات المحلية التي تربط بين الحكام أنفسهم، فوجدت أن مصلحتها تقتضي عدم حل الخلافات القائمة بينهم وأن يتركوا وشأنهم طالما أن تلك الخلافات لا تؤثر في سير المصالح البريطانية. لا بل تزيدها ضمانا [٢].

بعد الرحيل البريطاني عن الهند عام ١٩٤٧م، أصبح الخليج مسؤولية وزارة الخارجية البريطانية بشكل كامل. وصار المقيم السياسي في الخليج يكاتب مباشرة من موقعه الجديد في البحرين وزير الخارجية البريطانية في لندن، وكان المقيم البريطاني مشرفا على دار الاعتماد البريطانية في دبي التي انتقلت إليها وكالة الشارقة عام ١٩٥٤م، كما أشرف على دار الاعتماد البريطانية في الكويت والدوحة ومسقط، ومنذ عام ١٩٥٥م أنشئت دار اعتماد في أبوظبي، واستمرت مراسلة المقيم السياسي في الخليج مع وزير الخارجية في لندن .

كانت نسخ من الوثائق البريطانية منذ ظهورها في وكالة بندر عباس وحكومة بومباي تحفظ في مقر شركة الهند الشرقية في لندن، وبعد إلغاء الشركة صار المقر يسمى مكتب حكومة الهند ثم أصبح منذ عام ١٩٤٧م يسمى مكتبة مكتب حكومة الهند، وفيه نجد كل الوثائق البريطانية عن الخليج والإمارات حتى هذا التاريخ، أما الوثائق البريطانية عن الإمارات والخليج بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٧١م فنجدها في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية في لندن[٣] .

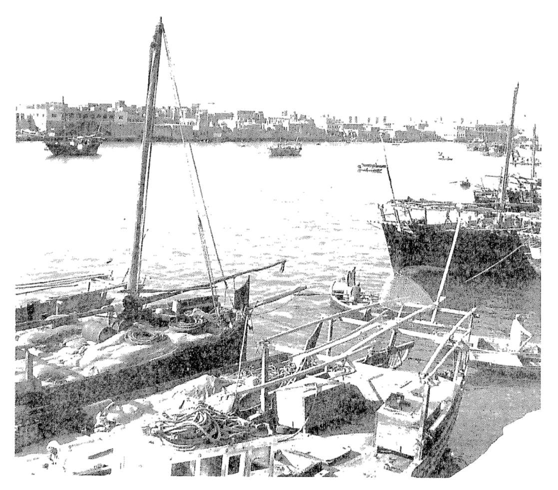
الهوامش :

(١) د. عبدالأمير محمد أمين، مصادر تاريخ الجزيرة العربية في دار السجلات الحكومية في بومباي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، منشورات جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص ١٨٥ ـ ١٩٢

(٢) د. مصطفى عبد القادر النجار، الوثائق البريطانية وأهميتها في كشف المصالح البريطانية في جزيرة العرب بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ ـ ١٩٢٦م، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول / مصادر تاريخ الجزيرة العربية. ص ١٩٧

(٣) محمد مرسي عبدالله، مقدمة، تاريخ الإمارات العربية المتحدة، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، المجلد الأول، ص ١٨

قراءة في رسائل الحكام والتجار
المحفوظة في الأرشيف البريطاني



خور دبي ١٩٦٢

(١)



كانت حرفة صيد الأسماك من الحرف المهمة التي امتهنها أبناء الإمارات قبل النفط

تواجه الباحثين والكتاب المهتمين بتاريخ منطقة الخليج لفترة ما قبل النفط، مشكلة ندرة المخطوطات والمصادر المحلية المدونة من قبل أبناء المنطقة والتي من الممكن أن تشتمل على معلومات حول مختلف جوانب الحياة في تلك الفترة، وفي

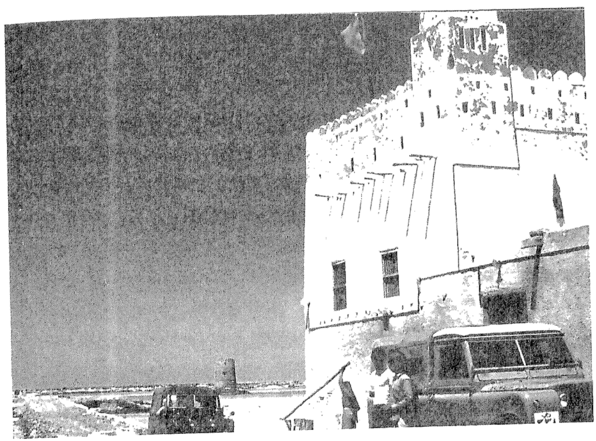
ما عدا بعض المخطوطات المرتبطة بأحداث وفترات معينة كتبت من قبل شهود عيان في كل من منطقة نجد وعُمان، نجد أن بقية دول المنطقة بما فيها الإمارات تخلو من المخطوطات، بالمعنى المفهوم للمخطوطة، لذا نجد أن ما حوته تقارير الساسة البريطانيين، المصدر الوحيد تقريباً لأحداث المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة خلال القرن العشرين.

اطلعت على ثلاث مخطوطات محلية كتبت من قبل اثنين من المؤرخين المواطنين هما عبدالله بن صالح المطوع وحميد الشامسي، كتبت تلك المخطوطات خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين، ولكن يمكن اعتبارها كتبا أكثر مما هي مخطوطات، لعدم توافر عناصر المخطوطة في تلك الكتابات، وأهمها أن كتابها لم يعاصروا معظم الفترات التي تحدثوا عنها، واستقوا المعلومات من مصادر مجهولة، أو من الكتب والمراجع، ولكن لا تخلو تلك المخطوطات من بعض المعلومات المهمة عن فترة الخمسينات والستينات التي عاصرها المؤلفان. وفي ظل عدم توافر مصادر متنوعة للأحداث التاريخية التي مرّت بها الإمارات خاصة خلال القرن العشرين، يبقى لنا مصدر واحد من الممكن أن يعوضنا عن عدم توفر المخطوطات، هذا المصدر هو رسائل الحكام والتجار وشكاوى العامة من الناس للحكام وللإدارة البريطانية. تكشف لنا تلك الرسائل جانبا كبيراً ومهماً من الأحداث، ويمكن اعتبارها بمثابة مخطوطات أو على الأقل مصادر معلومات تمثل وجهة النظر المحلية، ومن الممكن أن تفسر لنا تلك الرسائل الكثير من الأحداث التي حوتها الوثائق البريطانية التي لا شك في أن لها أهمية كبيرة وأساسية في شرح الأحداث التي مرّت بالمنطقة العربية بشكل عام، ومنطقة الخليج بشكل خاص. لقد اخترنا بعض الرسائل المتعلقة بمجموعة من الأحداث التي مرّت بها الإمارات خلال النصف الأول من القرن العشرين. سنقرأها ونعلق عليها، ونربطها بالمعلومات التي حوتها الوثائق البريطانية. ولنبدأ بواحد من الأحداث المهمة التي أثّرت على مصدر الرزق الوحيد لأبناء منطقة الخليج بصفة عامة ومن ضمنهم أبناء الإمارات، هذا الحدث هو انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في الإمارات وتأثيره على تجارة اللؤلؤ الطبيعي. وقبل أن نستعرض بعض الرسائل التي تتحدث عن انتشار اللؤلؤ

الاصطناعي في الإمارات، لنعرف أولا ما هو اللؤلؤ الاصطناعي أو «المستزرع».

من المعروف أن اقتصاد الخليج قام منذ مئات وربما آلاف السنين على حرفة صناعة الغوص على اللؤلؤ التي تتكون من شقين رئيسيين، الغوص على اللؤلؤ والاتجار به. صناعة الغوص على اللؤلؤ ازدادت ازدهارا في أواخر القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين وأصبحت المورد الوحيد تقريبا لكل سكان المنطقة بعد إدخال بريطانيا لسفنها البخارية للعمل على خط الهند ـ الخليج منذ عام ١٨٦٢م، وأصبحت السفن الشراعية منذ ذلك الوقت ناقلا «بدائيا وثانوياً» للبضائع، وبدأ السكان يعتمدون اعتمادا كليا على المهنة الوحيدة المتبقية لهم وهي الغوص على اللؤلؤ، ولكن في منتصف العشرينات من القرن العشرين حدث ما لم يكن في الحسبان عندما بدأت تستجد عوامل جديدة أدت إلى فقدان صناعة الغوص على اللؤلؤ أهميتها، فقد بدأت تجارة اللؤلؤ بالانهيار التدريجي بعد ما بدأ اللؤلؤ الاصطناعي بالانتشار في العالم، ودخلت كميات كبيرة من ذلك اللؤلؤ إلى منطقة الخليج، وبدأ بعض التجار بخلط اللؤلؤ الطبيعي مع الاصطناعي وبيعه على أنه طبيعي في أسواق الهند وأوروبا، وأخذ اللؤلؤ يفقد مكانته. ولكن هل اللؤلؤ الاصطناعي قريب الشبه من الطبيعي إلى درجة أنه من الممكن خلطه بالطبيعي من دون تمييز بينهما؟ أولا يجب معرفة أن اللؤلؤ الاصطناعي لم يكن لؤلؤا مصنعا وإنما هو لؤلؤ مستزرع وفكرته قريبة الشبه من عملية تكون اللؤلؤ الطبيعي، وكان الصينيون هم أول من بدأ باستزراعه قبل قرون عدة، وعملية تكوينه عبارة عن عملية استيلاد لؤلؤ داخل الرخويات وتحديدا المحار، ولكن اليابانيين قاموا بتطوير هذه الصناعة في تسعينيات القرن التاسع عشر بوضع أجزاء من عرق اللؤلؤ بين صدفتي المحار الذي يبلغ عمره ثلاثة أعوام، ومن ثم يوضع المحار في قفص يقذف به في المياه، وبعد مدّة تتراوح ما بين عشرة أشهر وثلاثة أعوام يجمع المحار لحصاد ما تجمع به من لؤلؤ. المهم في هذا الموضوع أن اللؤلؤ الذي يجمع، ليس من السهل تمييزه عن اللؤلؤ الطبيعي بالعين المجردة، ويتطلب ذلك استخدام الأشعة السينية X-Ray أو الأجهزة البصرية المعقدة، ومن هنا أصبح انتشار هذا اللؤلؤ بكميات كبيرة في أسواق المنطقة يمثل تهديدا مباشرا وكبيرا لأهم صناعة في منطقة الخليج

في تلك الفترة، وبالفعل كان ظهور اللؤلؤ الاصطناعي السبب الرئيسي في أفول صناعة الغوص على اللؤلؤ [١].



جسر أبوظبي في أوائل الستينات قبل بناء جسر المقطع

متى بدأ انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في الإمارات؟ تقول التقارير البريطانية إنه في عام ١٩٢٤م ظهر هذا اللؤلؤ للمرة الاولى في أسواق الإمارات وبصفة خاصة في دبي، ويبدو أن تجار الإمارات عانوا كثيرا من انتشار اللؤلؤ الاصطناعي، فكتبوا للوكيل السياسي في البحرين يشتكون له، ويطلبون تدخله. الوكيل السياسي بدوره كتب رسالة في سبتمبر / ايلول ١٩٣٣م إلى الوكيل المحلي في الشارقة عيسى بن عبد اللطيف السركال يستفسر منه عن تجارة اللؤلؤ الاصطناعي في الإمارات، وأعلمه بشكاوى التجار من قيام البعض بخلط اللؤلؤ الاصطناعي بالطبيعي وإرساله إلى بومبي، مما حدا بتجار بومبي إلى الامتناع عن شراء لؤلؤ الإمارات. لنقرأ رسالة الوكيل السياسي في البحرين. «إدارة بيت الدولة

البريطانية في البحرين في ٢١ سبتمبر ١٩٣٣م، حضرة الأكرم الأفخم خان بهادر عيسى بن عبد اللطيف وكيل الدولة البريطانية في الشارجة المحترم، تحية واحتراما وبعد. لقد أخبرنا بأن وردت إليكم شكاوى وتقارير من التجار في ساحل عمان المتصالح (المقصود بها دولة الإمارات حاليا) بأن بعضا من «السفلة»! يخلطون اللؤلؤ الجاباني (الياباني) الصناعي مع اللؤلؤ الحقيقي، وأن نتيجة ذلك جعل تجار بومبي الذين يعاملون في اللؤلؤ أن يمتنعوا عن شراء لؤلؤ الساحل، وأن قد نجم من ذلك ضرر عظيم وكلفة زائدة. أرجو أن ترسلوا لي التفاصيل التامة عن هذه المسألة لأن أحد التجار هنا قد مسك عنده لؤلؤ صناعي وكذلك بعضا من اللؤلؤ الصناعي وجد في السوق هذا ودمتم باحترام القبطان كاسترل باليوز دولة بريطانيا في البحرين»(٢).

228 *Records of the Persian Gulf Pearl Fisheries*

(ســـــــــــــري)

العدد سي/

ادارة بيت الدولة البريطانية في البحرين في ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ الموافق ٢ جمادى الثانية ١٣٥٢ .

حضرة الاكرم الافخم خان بهادر عيسى بن عبداللطيف او. بي. اي. وكيل الدولة البريطانية في الشارجة المحترم .

تحية واحتراما وبعد —

لقد اخبرت بان وردت اليكم شكاوى وتقارير من التجار في ساحل عمان المتصالح بان بعضا من السفلة يخلطون اللؤلؤ الجاباني الصناعي مع اللؤلؤ الحقيقي وان نتيجة ذلك جعل تجار بومبي الذين يعاملون في اللؤلؤ ان يمتنعوا من شراء لؤلؤ الساحل وان قد نجم من ذلك ضررًا عظيما وكلفة زائدة .

٢ — ارجو ان ترسلوا لي التفاصيل التامة عن هذه المسألة لان احد التجار هنا قد مسك عنده لؤلؤ صناعي وكذلك بعضا من اللؤلؤ الصناعي وجد في السوق .

هذا ودمتم باحترام ـــ

القبطان كاسترل
باليوز دولة بريطانيا في البحرين

CONFIDENTIAL.

No.C/441. Political Agency,
Bahrain, the 21st September
1933.

To

The Residency Agent,
Sharjah.

After Compliments.

I am informed that you have received complaints and reports from merchants on the Trucial Coast that certain unscrupulous persons have been mixing JAPANESE CULTURED pearls with real pearls. That, in consequence the Bombay pearl dealers have refused to buy Trucial Coast pearls, and that therefore much damage and hardship has been caused.

2. Kindly send me the fullest particulars on this matter as a local merchant has been apprehended with cultured pearls in his possession and some have been found in the market.

Usual Ending.

21/9
Political Agent, Bahrain.

عندما بدأت مشكلة انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في الإمارات في العشرينات من القرن العشرين كانت الاتهامات موجهة إلى الهنود والإيرانيين، ففي عام ١٩٢٤م وصلت الأخبار من بومبي للشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي تفيد أن بعض التجار الهندوس والإيرانيين اشتروا كميات

كبيرة من اللؤلؤ تقدر قيمتها بـ ٢٠٠ ألف روبية وذلك لأجل خلطها مع اللؤلؤ الطبيعي وبيعها، وأثار هذا الأمر الشيخ سعيد بن مكتوم الذي قام باتخاذ إجراءات مباشرة وحازمة ضد من يقوم بهذا العمل وبصفة خاصة التجار الهندوس، الذين يبدو أنهم كانوا يتزعمون العمل بهذه التجارة، فرفع عليهم الإيجارات بنسبة ٥٠٠٪، كما اعترض على تزايد أعدادهم في إمارته [٣].

كان أول من أدرك خطورة الموقف هو الشيخ سعيد بن مكتوم عندما أحس بأن ما يحدث هو عملية تخريب للاقتصاد الوطني وللمهنة الوحيدة المتبقية لأبناء المنطقة، ولكن سهولة إدخال اللؤلؤ الاصطناعي كانت هي المشكلة الأساسية التي أدّت إلى انتشاره وسهولة خلطه بالطبيعي وبالتالي تدمير المهنة الوحيدة لأبناء المنطقة التي يعتاشون منها منذ مئات السنين، ويبدو أن كثيرا من التجار الخليجيين وجدوا أنفسهم مضطرين في ما بعد للاتجار باللؤلؤ الاصطناعي عندما بدأ اللؤلؤ الطبيعي يفقد قيمته تدريجيا، ماذا حدث؟ بعد مرور أكثر من ست سنوات على انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في الإمارات، أفاد عيسى بن عبد اللطيف الوكيل المحلي للإدارة البريطانية في الإمارات ومقره الشارقة في رده على رسالة الوكيل السياسي في البحرين أنه تمّ القبض على أحد النجديين في الشارقة وهو يبيع لؤلؤا اصطناعيا لمجموعة من التجار، إلا أن الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة أمر بالقبض عليه وإيداعه السجن، وقام بتغريمه ألف روبية ثم تمت مصادرة ما عنده من لؤلؤ اصطناعي، كما أفاد عيسى في رسالته أن اللؤلؤ الاصطناعي الياباني أو (الجاباني) كما ذكر في الرسالة لم يدرج ضمن قوائم الإرساليات التي أرسلت إلى بومبي، وأن بقية الحكام وضعوا مجموعة من المخبرين السريين في الأسواق للتحري حول هذا الموضوع. كما أن كلا من حاكمي دبي والشارقة أفاد بأنه تم القبض على بعض تجار البحرين الذين يتاجرون بهذا اللؤلؤ في الإمارات. ولا شك في أن هذه الإجراءات كانت ضرورية لحماية الاقتصاد الذي بدأ ينهار منذ بداية الثلاثينات، وكان أهم أسباب انهياره ظهور اللؤلؤ الاصطناعي، ولكن في ظل الإمكانات البسيطة، كان من الصعب حماية الأسواق بشكل فعال.

لنقرأ رسالة عيسى بن عبد اللطيف للوكيل السياسي « ٣٠ سبتمبر

١٩٣٣م، لجناب عالي الجاه الأفخم القبطان كاسترل باليوز الدولة البريطانية في البحرين المحترم، السلام والسؤال عن حالكم، ان المعروض نسبتنا إلى كتابكم السري عدد سي / ٤٤ المؤرخ ٢١ سبتمبر ١٩٣٣م في خصوص ما استخبرتم عن ورود الشكاوى وتقارير من التجار في ساحل عمان المتصالح عن بعضا من لؤلؤ الجاباني الصناعي يخلطونه مع اللؤلؤ الحقيقي، أعرض لجنابكم هذه الأشياء، التجار إلى حال ما عرضوا لنا ذلك (يقصد أنه سيقوم بإطلاع الإدارة البريطانية عن أي شكاوى يتقدم بها التجار حول هذا الموضوع)، فقط بالشارقة رجل من النجديين (من نجد في السعودية) تبين عليه يبيع لؤلؤ الجاباني على بعض من الذين يعاملون في اللؤلؤ، الشيخ سلطان بن صقر (حاكم الشارقة) قبض الرجل وجعله في الحبس مدّة أيّام ثم جعل عليه النكال ألف روبية (غرامة ألف روبية) وأخذ بما عنده من اللؤلؤ الجاباني وأطلقه من الحبس، بالحاظر وصلت الأخبار من بمبي إلى تجار اللؤلؤ عن خروج بعض اللؤلؤ الجاباني في الأرقام اللؤلؤ الحقيقي مرسولة للبيع إلى بومبي (أي أنه تم فصل اللؤلؤ الياباني عن اللؤلؤ الطبيعي وتم استبعاده وحذفه من القوائم المرسلة إلى بومبي)

230 *Records of the Persian Gulf Pearl Fisheries*

S. No: 2

POLITICAL AGENCY BAHRAIN PERSIAN GULF

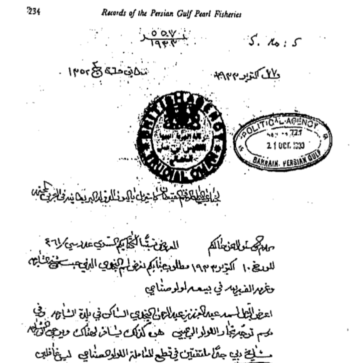
S. No: 1.

بالحاظر المشايخ الساحل ملتفتين (أي متنبهين) في قبض الذي يجد عنده الجاباني ، محبكم أخبرنا شيخ دبي وشيخ الشارقة عن حصول اللؤلؤ الجاباني عند بعض تجار البحرين وقبض عليه ، المشايخ صاروا مسرورين وصار منهم التفاة نهاية (المقصود التفاتة نهائية أي متابعة) في الفحص على لؤلؤ الجاباني ، وجعلوا الجواسيس الخفية ، في هذا الباب ما يصير تعرض لجنابكم هذا والسلام»[٤] .

في الثلاثينات ازداد الاهتمام بمحاربة تجار اللؤلؤ الاصطناعي بعدما بدأت آثار الأزمة الاقتصادية تتفاعل ، فانهيار سوق الأسهم العالمية في نيويورك عام ١٩٢٩م أصاب تجارة اللؤلؤ في مقتل ، حيث كان اللؤلؤ أحد المعادن الثمينة التي يتم التعامل بها في البورصة ، كما أن كبار التجار الأوروبيين امتنعوا عن الشراء بعد خسائرهم نتيجة أزمة الكساد العالمية ، لذا نجد أن الاهتمام بملاحقة المتلاعبين باللؤلؤ ازداد سواء من الحكام أو من الإدارة البريطانية حتى يمكن المحافظة على ما تبقى من هذه الصناعة .

الإدارة البريطانية أبدت اهتمامها بهذا الموضوع من خلال تتبع أسماء المتعاملين، وهناك رسالة من الوكيل السياسي في البحرين للوكيل المحلي في الشارقة بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٣٣م يطلب فيها إعلامه بنتائج التحقيقات والمتابعات التي يقوم بها الحكام بخصوص المتاجرة باللؤلؤ الاصطناعي ، كما يطلب فيها إخباره بإسم الشخص النجدي الذي تم القبض عليه في الشارقة وهو يتاجر بهذا اللؤلؤ[٥] . كان الوكيل المحلي يقوم بمهمة كبيرة من خلال منصبه المكلف به من الإدارة البريطانية ، لذا نجد أن رسائل الوكيل تتميز بذكر التفاصيل الدقيقة لمجريات الأحداث في المنطقة التي يشرف عليها ، كانت هذه أحد أهم أسباب اختيار الإدارة البريطانية لأفراد من أبناء المنطقة لتولي هذا المنصب حيث أنهم الأقدر على التعبير عن حقيقة الأوضاع . سنقرأ رسالة عيسى بن عبد اللطيف إلى الوكيل السياسي في البحرين بخصوص اللؤلؤ الاصطناعي ، حيث يذكر فيها أن شيوخ دبي مهتمون كثيرا بالقضاء على وجود اللؤلؤ الاصطناعي في دبي ، ويتعاون معهم في ذلك تجار دبي الذين يقومون بإجراء فحص على اللؤلؤ لمعرفة ان كانت هناك أي محاولات غش ، وهذه المهمة التي يتشارك فيها الجميع تعبّر عن الوضع الاقتصادي المتأزم

والمحاولات التي تبذل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، خاصة بعد أن تأثرت تجارة الإمارات مع الهند وأصبح التجار الهنود يمتنعون عن شراء اللؤلؤ الإماراتي أو لؤلؤ الساحل كما كان يسمى. رسالة عيسى بن عبد اللطيف توضح لنا كيف تكاتف الحكام مع أبناء الشعب المتضررين من تأزم الأوضاع، كما انها تعبر عن معاناة الجميع من الأوضاع السيئة. لنقرأ رسالة عيسى بن عبد اللطيف التي كتبت بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٣٣م. «لجناب عالي الجناب الأفخم القبطان كاسترل باليوز الدولة البريطانية في البحرين المحترم. السلام والسؤال عن حالكم. المعروض نسبتا لكتابكم السري عدد سي / ٤٦١ المؤرخ ١٠ أكتوبر ١٩٣٣م مطلوب جنابكم نعرض اسم النجدي الذي حبسه شيخ الشارجة وغرّمه ألف ربية في بيعه لؤلؤ صناعي، أعرض الرجل اسمه عبد العزيز بن عبد الرحمن النجدي الساكن في بلدة الشارجة، وفي موسم توجه تجار اللؤلؤ إلى بمبي، هو كذلك يسافر لهناك ويرجع إلى الشارجة، مشايخ دبي ملتفتين في قطع المعاملة اللؤلؤ الصناعي ليس غافلين، أعيان تجار عرب دبي لا زالوا يتفحصون في هذا الخصوص إلى حال ما تبين لهم خبر الصحيح عند من يجد هذا الصناعي حيث التجار يرون المعاملة في هذا الجنس يخل عليهم


234 Records of the Persian Gulf Pearl Fisheries

POLITICAL AGENCY
21 OCT. 1933
BAHRAIN. PERSIAN GULF

Translation attached.
21.10.33

اللؤلؤ الحقيقي عند تجار الهند (أي يفسد عليهم بضاعتهم من اللؤلؤ الطبيعي) ما يصير نعرض لجنابكم عن ذلك (أي نعرض لجنابكم كل ما حدث حول هذا الموضوع) هذا ما لزم والسلام» [٦].

كانت الإدارة البريطانية تعلم أن ترويج اللؤلؤ الاصطناعي في منطقة الخليج بصفة عامة لم يكن لينجح لولا وجود مجموعة من التجار تقوم باستيراده وتوزيعه بانتظام، لذا كان هناك متابعة من المسؤولين البريطانيين والحكام لمعرفة أية كميات تهرب، ولكن كان من الصعب تحقيق نجاح في هذه المهمة نظرا لتعدد وسائل دخول اللؤلؤ وأهمها السفن، بالإضافة إلى سهولة نقله وسهولة إخفائه، ولكن كان هناك منفذ واحد من الممكن متابعة أي عمليات تهريب من خلاله، ألا وهو مطار الشارقة. وبالفعل تمت متابعة إحدى الحالات كما جاء في رسالة الوكيل السياسي في البحرين لعيسى بن عبد اللطيف بتاريخ ٣ يناير ١٩٣٤م التي يقول فيها «حضرة الأكرم الأفخم حميد الشيم خان بهادر عيسى بن عبد اللطيف وكيل الدولة البريطانية بالشارجة المحترم. تحية واحتراما وبعد. لقد بلغني بأن طيارة الامبريال ايرويز المسماة هانيبال التي وصلت من كراجي بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٣٣م قد سلمت بالشارجة بارسل (صرة) (المقصود هنا طرد مرسل من كراتشي للشارقة) صغير يحتوي على لؤلؤ مرسل من كراجي مشتبه بكونه قد يحتوي على شيء من اللؤلؤ الجاباني (كلجرد) (يقصد cultured) ولذلك أكون ممنونا جدا إذا تعملوا تحقيقا بوجه السرعة وبطريق التروي والحذر عن محتويات هذه الإرسالية، وما هو اسم المورد لها وغيرها من المعلومات الخاصة بالمعاملة والتي يمكنكم الحصول عليها وأن تخبروني بوقته عن نتيجة تحقيقاتكم وقد طلبت من مدير المحطة أن يساعدكم للوقوف على معرفة الصرّة هذا ودمتم باحترام» [٧].

الهوامش

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر د. محمد الفارس. الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل (دولة الإمارات العربية المتحدة حاليا) منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية – أبوظبي

(2) Records of the Persian Gulf Pearl Fishries . vol .3 pp. 228

(٣) د. محمد الفارس، م. س، ص ٨٨

(4) Records of the Persian Gulf Pearl Fishries , vol. 3 pp. 228

(5) Records of the Persian Gulf Pearl Fishries , vol .3, p231

(6) Records of the Persian Gulf Pearl Fishries , vol .3, p 234

(7) Records of the Persian Gulf Pearl Fishries . vol .3, p237

(٢)



طرق الشحن من وإلى السفن قبل النفط

جمعت أبناء منطقة الخليج صلات قوية بسبب اشتغالهم بمهنة واحدة هي مهنة الغوص للبحث عن اللؤلؤ، وكانت البحرين القاعدة الرئيسية لهذه الصناعة بسبب وضعها كسوق تجاري يتجمع فيه تجار اللؤلؤ من كل دول المنطقة، ويفد اليه تجار اللؤلؤ من شتى أنحاء العالم وبصفة خاصة من الهند وفرنسا، وتعقد في هذا السوق صفقات البيع والشراء، ويعرض كثير من البحارة انفسهم للعمل. وقبل

كل هذا يوجد حول جزر البحرين افضل مغاصات اللؤلؤ في العالم. كان لموقع البحرين ومكانتها التجارية أثر كبير في انتقال مقر المقيم البريطاني اليها من بوشهر عام ١٩٤٦م، لذا نجد أن كثيرا من الرسائل الصادرة من البحرين لا تعنى بشؤون البحرين فقط وانما تعنى ايضا بشؤون المناطق الاخرى من الخليج، لدينا رسالة من الميجر باريت الوكيل السياسي في البحرين موجهة لحاكم البحرين تتناول الحديث عن موضوع يخص كل دول المنطقة، هذا الموضوع هو قيام بعض صغار التجار (الطواويش) الذين يقومون بزيارة سفن الغوص في اماكن عملها في المغاصات أو كما يطلق عليها في الخليج (الهيرات) بسفن نقل سريعة ليصلوا الى سفن الغوص قبل غيرهم من التجار الذين يستخدمون السفن التقليدية، هذه القضية بدأت في الظهور عام ١٩٢٨م، وأوجدت مشكلة في كل المنطقة بسبب تمكن التجار الموسرين من تركيب مكائن لسفنهم الصغيرة بعد أن بدأت المكائن في الانتشار واصبحت «اللنجات»، وهو الاسم الجديد لهذه السفن، محط انظار الجميع، وبدأت تكسر قاعدة العمل التقليدي الذي كان يسمح لجميع الطواويش بالابحار الى سفن الغوص بالسفن الشراعية الى وسيلة جديدة تقضي على تكافؤ الفرص وتجعل لبعض التجار الحظوة في الوصول وعقد الصفقات قبل غيرهم، اثارت هذه المسألة اهتمام المقيم البريطاني الذي كان في ذلك الوقت يقيم في بوشهر الايرانية، وارسل الى حكام المنطقة يستشيرهم في هذا الامر، لنقرأ رسالة الوكيل السياسي في البحرين المرسلة الى حاكم البحرين ويوضح فيها موقف حاكمي دبي والشارقة من هذه المسألة «١ أوكست (اغسطس) ١٩٢٨، من ميجر سيرل بيرث باليوز دولة بريطانيا في البحرين، حضرة الاكرم الافخم حميد الشيم صاحب السعادة المحب الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة سي إس آي نائب حكومة البحرين المحترم، بعد التحية وتقديم الاحترام والسؤال عن عزيز وشريف خاطر سعادتكم الكريم، أن فخامة رئيس الخليج (المقصود هنا المقيم البريطاني) قد وصله من مشائخ الشارقة ودبي الجواب من جهة استعمال اللنجات لأجل الطواشة، يقول حضرات المشائخ أن استعمال اللنجات يكون فيه ضرر على الطواويش الذين يأخذون دراهم بالقرضة (يقصد قروض) لكي يعاملوا باللؤلؤ، الاول هو انه اذا

ذهبت اللنجات فانها تصل الى هيرات المغاص بسرعة ويستطيع الطواش أن يشتري اللؤلؤ بينما الطواش الذي في السفينة (يقصد الذي يستخدم السفن التقليدية) لا يحصل على شيء ما، والثاني أن غرض الغاصة هو أن يسرقوا اللؤلؤ من النواخذة ويبيعوه على الطواويش في محل المغاص بقيمة زهيدة، ولهذا السبب نفسه فان التجار في مدة السنوات الثلاث الاخيرة اصابهم الضرر من جراء هذا العمل، وأن التجار الصغار الذين يقترضون الدراهم من التجار الاغنياء قد اصابهم الضرر ايضا، هذا هو رأي شيخ الشارقة ودبي بينما حاكم الكويت يرى الا يمنع استعمال اللنجات لأنها من مسائل التقدم العادية. وفخامة رئيس الخليج يود الآن أن يفهم رأي سعادتكم في التأثير الذي يحدثه استعمال اللنجات في عمل صناعة اللؤلؤ، وبالاخص هل استعمال اللنجات يكون سببا لجلب الغريب بدلا من العربي، حيث أن جلب الغرباء هو مخالف للسياسة البريطانية، كذلك هل يدعي حاكم البحرين بملكية شيء من هيرات المغاص

البحرين في ١ اوكست ١٩٢٨ الموافق ١٥ صفر ١٣٤٧

من ميجر سيريل بارت باليوز دولة بريطانيا في البحرين

حضرة الاكرم الافخم حميد الشيم صاحب السعادة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة سي اس آي

نائب حكومة البحرين المحترم

بعد التحية وتقديم الاحترام والسؤال عن عزيز خاطركم افيد سعادتكم الكريم ان فخامة رئيس الخليج قد وصله من مشايخ الشارجة ودبي الجواب من جهة استعمال اللنجات لاجل الطواويش . يقول حضرات المشايخ ان استعمال اللنجات يكون فيه ضرراً على الطواويش الذين يأخذون دراهماً بالقرضية لكي يتعاملون باللؤلؤ . الأول كونه اذا ذهبت اللنجات فانها تصل الى هيرات المغاص بسرعة ويستطيع الطواش ان يشتري اللؤلؤ ويعود بينما الطواش الذي في السفينة لا يحصل على شيئ ما والثاني ان غرض الغاصة هو ان يسرقوا اللؤلؤ من النواخذه ويبيعونه على الطواويش في محل المغاص بقيمة زهيدة ولهذا السبب نفسه فان التجار في مدة الثلاثة سنين الاخيرة اصابهم الضرر من جراء هذا العمل . وان التجار الصغار الذين يقترضون الدراهم من التجار الاغنياء قد اصابهم الضرر ايضاً . هذا هو رأي شيخ الشارجة ودبي بينما حاكم الكويت يرى ان لا يمنعوا استعمال اللنجات لانها من مسائل التقدم العادية

وفخامة رئيس الخليج الآن يود ان يفهم رأي سعادتكم عن ما هو التأثير الذي يحدثه استعمال اللنجات في عمل (صناعة اللؤلؤ) وبالاخص هل استعمال اللنجات يكون سبباً لجلب الغريب بدلاً

لنفسه أو لحد الحكام العرب المجاورين له، وهل بصفتهم حكام الساحل العربي يرون لأنفسهم الحق أن يخرجوا من بيهم الاجانب، هذا ما لزم رفعه لسيادتكم ودمتم باحترام التوقيع.ميجر سيرل بيرث»[١].

هذا نص رسالة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين لحاكم البحرين وفيها يستعرض رأي كل من حاكمي دبي والشارقة بخصوص استخدام «اللنجات» من قبل بعض الطواويش بدلا من السفن التقليدية، للوصول الى سفن الغوص، وأمدتنا الرسالة ببعض المعلومات عن تطور وسائل المواصلات، وبداية استخدام المكائن في السفن، ومتى استخدمت كلمة لنج وعلى أي نوع من السفن اطلق هذا الاسم، أيضا استطعنا أن نطلع على المنافسة القائمة بين تجار اللؤلؤ للوصول الى غايتهم بشتى الطرق، وحتى نستطيع ان نفسر محتويات الرسالة بشكل ادق لنتعرف أولا على اساس المشكلة، لنقرأ رأي أحد نواخذة البحرين الذي عاصر هذه المشكلة، يقول راشد الزياني «قبل عام ١٩٢٨ كان الطواويش (صغار تجار اللؤلؤ) يذهبون الى المغاصات ويتجولون في ارجائها، ويتنقلون بين مواقعها في سفن شراعية، غير انه اثناء موسم غوص عام ١٩٢٨م بدأ بعض الموسرين من الطواويش استعمال سفن ذات محركات ميكانيكية اطلق عليها اسم «لنجات» بدل السفن الشراعية، وأدى ذلك الى تذمر واحتجاج الغالبية العظمى من الطواويش الآخرين، الذين لم يتيسر لهم امتلاك سفن ذات محركات ميكانيكية، أو تحويل سفنهم الشراعية الى لنجات، إما لأسباب مالية او فنية، وقدّم غالبية الطواويش في البحرين عريضة الى حكومة البحرين أبدوا فيها احتجاجهم على استخدام اللنجات للطواشة كونها تختلف عما تعودوا عليه في السنوات السالفة، ولأنها تعطي مجالا وفرصة اكبر للاغنياء، بينما تحرم الآخرين غير القادرين على اقتناء لنجات، من مجاراتهم، وبالتالي تؤدي الى الحاق الخسارة والضرر بهم[٢].

والسؤال هنا انه اذا كان الامر متعلقا بطواويش البحرين، فما علاقة تجار الامارات بذلك؟ ولماذا أُرسلت رسائل لحكام الامارات لابداء رأيهم في الموضوع؟ والجواب عن ذلك هو أن مغاصات اللؤلؤ في الخليج كانت حقا مشاعا لجميع ابناء المنطقة، لذا كانت المغاصات تعج بسفن مختلف دول المنطقة، ففي المغاص الواحد يمكن

رؤية سفن تحمل اعلاما كويتية وبحرينية واماراتية وغيرها . لذا كانت أي تأثيرات جديدة على هذه المهنة التقليدية ستعني بالطبع كل دويلات المنطقة التي يرتبط اقتصادها بهذه المهنة التي تمارس جماعيا . ان الآثار التي سيعاني منها تاجر اللؤلؤ البحريني بسبب استخدام وسائل النقل من قبل بعض التجار الموسرين سيمتد اثرها الى جميع البحارة وربابنة السفن والممولين، وستعم هذه الآثار بقية مواطني المنطقة بجميع فئاتهم، وبسبب خطورة تغيير الاساليب التقليدية في ممارسة هذه المهنة التي لا يوجد غيرها للاغلبية العظمى من ابناء المنطقة، فقد كان من الضروري تحرك السلطة البريطانية والمحلية، وهذا ما حدث بالفعل حيث بادر مستشار حكومة البحرين بلجريف بعد استلامه عريضة طواويش البحرين الى ارسال نسخة منها الى المقيم البريطاني في بوشهر، ونسخ الى حكام امارات الخليج والسعودية يستشف رأيهم في موضوع العريضة، امامنا الآن فرصة للدخول الى «عالم الهيرات» أو مغاصات اللؤلؤ لنرى ماذا يجري داخلها، وطبيعة الحياة في تلك المغاصات، في السنوات الاخيرة لهذه المهنة، التي بدأت بالانهيار السريع بعد عام ١٩٢٨م، يقول بلجريف الذي كتب رسالته الى المقيم البريطاني بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٢٨م «ان البحرين تعتمد كل الاعتماد على تجارة اللؤلؤ التي يعتاش منها الفقير والغني، والطواويش الذين يذهبون الآن الى المغاصات يجدون فرص الشراء متساوية بينهم، اما اذا استعملت اللنجات فان مالكيها سيتفوقون على أولئك الذين لا يملكونها، اذ انهم يستطيعون التنقل من مكان لآخر بسرعة فائقة، وانه اذا ما صادف يوم كانت الرياح فيه ساكنة، فان اصحاب اللنجات يستطيعون الذهاب الى المغاصات وشراء لؤلؤ الغواويص خلافا للسفن الشراعية التي لا تستطيع الحركة، لعدم وجود ريح تحركها، ان استعمال اللنجات سيغير كل القواعد المتعارف عليها في هذه التجارة، فمن المتعارف عليه ان من يصل أولا لسفينة الغوص له الحق في الصعود اليها وأنه لا يجوز لأحد غيره ان يصعد لتلك السفينة قبل ان يغادرها من صعد اليها، ان اللنجات ستعطي الاغنياء فرصا وامتيازات كبرى، فمن المعلوم أن التاجر الصغير في الوقت الحاضر لديه الفرصة لشراء اللؤلؤ مثله مثل الآخرين المستخدمين وسائل التنقل نفسها، وان استخدام

اللنجات سيضر بالاغلبية. ومع أن عددا كبيرا من مقدمي العريضة اغنياء، ويستطيعون شراء لنجات، الا انهم مراعاة لشعور متوسطي الحال يعارضون استعمالها[٣]. وتلفت نظرنا في رسالة بلجريف الجملة الاخيرة التي يذكر فيها امتناع كثير من الاغنياء عن استخدام اللنجات تضامنا مع التجار متوسطي الحال، وليس هذا فقط، بل أنهم وقعوا معهم العريضة التي تطالب بمنع استخدام اللنجات، مع أن هذا الاجراء ضد مصالحهم الخاصة. وهذا التصرف يعطينا صورة واضحة لطبيعة العلاقات بين الناس في تلك الفترة، العلاقات التي تقوم على التراحم والتعاون والتكاتف في اوقات الشدة. نعود لرسالة الوكيل السياسي ونتابع رأي كل من حاكمي دبي والشارقة، فقد اثارا مسألة القروض التي يأخذها الطواويش من كبار التجار والممولين لإجراء الصفقات الصغيرة، وأن ضررا كبيرا سيصيبهم من جراء تغيير نظام تكافؤ الفرص بادخال اللنجات، واتاحة الفرص للبعض فقط للوصول الى السفن وعقد الصفقات، وتكشف لنا آراء كل من حاكمي دبي والشارقة طبيعة نظام التمويل السائد في ذلك الوقت، الذي تسيطر عليه مجموعة من الممولين واغلبهم من الهنود، واساسه هو اقراض المواطنين سواء التجار الصغار او البحارة قروضا بفوائد عالية، وان العاملين بهذه المهنة قد رتّبوا امورهم على اساس العمل كل في مجاله وتسديد قروضه كل حسب طريقته، الا ان تغيير النظام السائد والمتعارف عليه لهذه التجارة سيؤدي الى تكبد البعض لخسائر فادحة، فادخال السفن التي تعمل بالمكائن، سيؤدي الى تفوق بعض الطواويش على غيرهم في عقد الصفقات، وبالتالي سينتهي نظام تكافؤ الفرص المتاح للجميع، وسيؤدي الى غنى بعض الطواويش على حساب الآخرين الذين سيصبحون مفلسين نتيجة عدم تمكنهم من امتلاك السفن الحديثة، وهذا بدوره سيؤدي الى المزيد من الانهيار لهذه الصناعة. من ضمن ما ذكر في رسالة حاكمي دبي والشارقة أن استخدام اللنجات السريعة أدى الى شيوع عمليات البيع السريعة، وهذا بدوره شجّع بعض الغاصة على سرقة جزء من اللؤلؤ الذي يعتبر ملكية جماعية لجميع طاقم السفينة بأسعار زهيدة حيث يقول نص الرسالة «أن غرض الغاصة هو أن يسرقوا اللؤلؤ من النواخذة ويبيعوه على الطواويش في محل

المغاص بقيمة زهيدة[٤] . وهنا نلاحظ أن التغيرات الجديدة ادت الى اوضاع لم تكن موجودة من قبل، فالمعروف عن نظام الغوص أنه نظام صارم، حيث كان النوخذة وهو ربّان السفينة ورئيسها يقوم بعملية اشراف دقيقة على جمع المحار في نهاية كل يوم، ويتم فتحه أو فلقه فجر اليوم التالي بشكل جماعي، ويتساوى جميع بحّارة السفينة في الملكية وتوزع الحصص كل حسب مهنته على ظهر السفينة، وقيام بعض الغاصة بسرقة اللؤلؤ وبيعه كما جاء في الرسالة يعتبر وضعا جديدا ربما يكون نشأ من الحالة الاقتصادية السيئة في ذلك الوقت، او بسبب تأثير دخول اللنجات، او نتيجة طمع بعض الغاصة، ولكن لم توضح الرسالة كيف تتم عمليات بيع اللؤلؤ المسروق، هل على ظهر السفينة أم خارجها، على اية حال استطعنا الى حد ما أن نتعرف على جزء من الحياة السائدة في مغاصات اللؤلؤ وتأثيرات وسائل النقل الجديدة عليها .

الرسائل التي ارسلها المقيم البريطاني الى حكام الخليج يستطلع آراءهم بخصوص استخدام اللنجات اتته باجابات متباينة، أيّد كل من حاكم الكويت والملك عبدالعزيز استخدام اللنجات باعتبارها وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة. كما جاء في رأي حاكم الكويت من خلال رسالة الوكيل السياسي، ورسالة امير القطيف محمد بن عبدالرحمن السويلم الذي ذكر «أن الملك عبدالعزيز يرى أن استعمال اللنجات في الخليج وسيلة من وسائل الرقي وسرعة المواصلات التي فيها تسهيلات مفيدة للناس عامة فضلا عن أن الناس احرار في الشؤون التجارية والواجب يقضي بتشجيع هذه الامور المفيدة في مرافق الناس لا اقامة العقبات في طريق تقدمها[٥] .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبدالرحمن السويلم امير القطيف

الى حضرة الاجل الافخم [illegible] صاحب السعادة لفتننت كرنل سير [illegible] دولة بريطانيا العظمى في الخليج [illegible]

بعد تقديم السلام اللائق بمقامكم [illegible] نخبر سعادتكم اننا تلقينا جواباً من جلالة سيدي الملك عبدالعزيز اعزه الله فيما يتعلق باللنجات وجلالته يرى ان استعمال اللنجات في الخليج وسيلة من وسائل الرقي وسرعة المواصلات التي فيها تسهيلات مفيدة للناس عامة فضلاً عن ان الناس احرار في الشئون التجارية والواجب يقضي بتشجيع هذه الامور المفيدة في مرافق الناس لا اقامة العقبات في طريق تقدمها فلهذا احببنا ابلاغ سعادتكم رأي جلالته بخصوص ما استفسرتم عنه وتفضلوا بقبول الاحترام

القطيف | ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٧

1907-1931

451

بينما عارض حكام دبي والشارقة وقطر استخدام تلك اللنجات كما جاء في رسائلهم، وقد شرح الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني في رسالته اضرار استخدام اللنجات بشكل مفصل حيث قال «إن القاعدة السائدة منذ القدم هو قدوم الطواويش الى المغاصات بسفنهم الشراعية وتتم عمليات الطواشة من خلال قواعد كثيرة اهمها الثقة التي يكتسبها الطواش على مرّ الزمن، واسبقيته في الوصول الى السفينة حيث يصبح له الحق الكامل في المتاجرة الى أن ينزل من السفينة وبذلك يتساوى صغار الطواشين بكبارهم، وتصبح قاعدة التعامل شبه متساوية مع الطواويش الاغنى حيث لا توجد في هذه الحالة افضلية، وهذه الطريقة ادت الى اتاحة الفرصة للطواويش الاقل ثراء لعقد اكثر من صفقة على ايام عدة مع الطواويش الاغنى، اذ انهم يستفيدون من تكافؤ الفرص، ومن معدل الربح البسيط الذي يتحصلون عليه من بيع لؤلؤهم للاغنياء»، ويشير الشيخ عبدالله الى مسألة مهمة هي ان استخدام اللنجات سيقضي على تكافؤ الفرص وسينجم عن ذلك ظهور مشاكل اجتماعية جديدة مثل السرقة والغش والتلصص وذلك بسبب الحاجة وضيق سبل الرزق[٦]. وربما تكون هذه المشاكل قد بدأت في الانتشار كما اشارت اليها رسالة حاكمي دبي والشارقة من خلال ما يحدث من قيام بعض الغاصة بسرقة اللؤلؤ وبيعه.

لقد كانت آراء حكام دبي والشارقة وقطر اكثر صوابا بضرورة منع استخدام اللنجات، ويمكننا ان نرى آثار استخدام اللنجات في تلك الفترة من شهادة احد

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر

شهود العيان وهو راشد الزياني الذي يقول «لقد عايشت شخصيا الصراع بين القديم والحديث حول استعمال اللنجات بدلا من السفن الشراعية، واتذكر انه في ضحى يوم من ايام غوص عام ١٩٢٨م عندما فرغ والدي من طواشته في هير (الميانة)، اقتضى رأيه التوجه الى هير بوعمامة، كانت الريح ساكنة، أمر النوخذة بنشر شراع سفينتنا «سمحاء» على امل أن تهب رياح خفيفة تحرّك سفينتنا الى مقصدها، ولكن أمله خاب اذ ظلّت الريح في سكونها، وفي هذه الاثناء مرّ بنا ومن مسافة ليست بالبعيدة عنا «بوم» يسير بمحرك ميكانيكي قاصدا وجهتنا. وكنا ننظر اليه بدهشة اذ لم نكن قد الفنا هذا المنظر من قبل، خاصة أن سفينتنا كانت في حالة جمود وتوقف»(٧).

ولكن ماذا كان رد المقيم البريطاني النهائي حول هذا الموضوع، ارسل المقيم رسالة الى الوكيل السياسي في البحرين طلب فيها أن تترك الحرية لكل حاكم ليقرر بنفسه ما يراه مناسبا بالنسبة لتجاره، أي أن الادارة البريطانية لم تنظر بعين العطف لمعاناة صغار التجار، وللآثار السيئة التي ستنجم عن استخدام هذه الوسيلة الحديثة في تجارة اللؤلؤ، وتركت الحرية للاغنياء للانقضاض على ما تبقى لدى الفقراء(٨).

1907–1931 457

[illegible] في ٢٢ جنوري ١٩٢٩ موافق ١١ شعبان ١٣٤٧
١٩٢٩

من لفتننت كولونل [illegible] بالمعتمد دولة بريطانيا في البحرين

الى حضرة الاكرم الافخم حميد الشيم صاحب السعادة المعظم الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة سي آي اي نائب حاكم البحرين المحترم

[illegible]

بعد التحية وتقديم الاحترام اللائق بسعادتكم اشارتنا الى المخابرة المتعلقة في مسئلة اللنجات لاجل الغوص [illegible] اخبر سعادتكم بان فخامة رئيس الخليج قد اوعز اليّ ان اخبر سعادتكم بانه لا ينوي حصر حرية اي فرد من حكام الساحل العربي لوجه من الوجوه بل لكل منهم ان يقرر لنفسه فيما اذا كان عليه ان يسمح للتجار الذين في بندره ان يستعملوا اللنجات لزيادة خشب الغوص. هذا ما لزم رفعه ودمتم باحترام

[signature]

لفتننت كولونل [illegible]
بالمعتمد دولة بريطانيا في البحرين
[illegible]

الهوامش :

(1) Records of The Persian Gulf Pearl Fishries, vol. 2, PP . 439 - 440.188

(٢) راشد الزياني، الغوص والطواشة، ص ١٣٤

(٣) راشد الزياني، م. س.، ص ١٣٥

(٤) راجع نص الرسالة

(5) Records of The Persian Gulf Pearl Fishries, vol. 2, PP. 442-443

(6) Records of The Persian Gulf Pearl Fishries, vol. 2, p p. 457

(٧) راشد الزياني، م. س، ص ١٤٩

(8) Records of The Persian Gulf Pearl Fishries,vol 2,P.457

(٣)



الشارقة ١٨٦٠

انتهى عصر اللؤلؤ بنهاية العشرينات من القرن العشرين، وانتهى معه الازدهار الاقتصادي الذي نعمت به المنطقة طوال اكثر من خمسين عاما امتدت طوال الربع الاخير من القرن التاسع عشر، والربع الاول من القرن العشرين، ومنذ بداية الثلاثينات، دخلت المنطقة نفقا مظلما وطويلا من الكساد والفقر والمعاناة، واستمر هذا الوضع طوال فترة الثلاثينات والاربعينات. كان انتشار اللؤلؤ الاصطناعي في منطقة الخليج في منتصف العشرينات بداية النهاية لصناعة

الغوص على اللؤلؤ التي ظلت المهنة الرئيسية لابناء المنطقة لمئات السنين، وكان انهيار سوق الاوراق المالية في نيويورك عام ١٩٢٩ الحدث المكمل لانهيار تلك المهنة، حيث اوقفت الدول الاوروبية استيراد المواد الكمالية وكان اللؤلؤ احدى تلك المواد، ومنذ تلك اللحظة بدأت معاناة الجميع، التجار والبحارة والصنّاع وكل من ارتبط عمله بهذه المهنة، وتصف لنا التقارير البريطانية الكثير من الاحداث المهمة التي نتجت عن هذه الازمة وخاصة خلال فترة الثلاثينات، مثل خلافات البحارة والممولين، وتدخلات المسؤولين البريطانيين لخدمة الدائنين الهنود باعتبارهم رعايا بريطانيين.

كانت تلك الازمة المدمرة قد عمّت كل منطقة الخليج منذ بداية الثلاثينات، ويصف كثير ممن عاصروا تلك الفترة مدى المعاناة التي اصابت السكان، ومما زاد من تردي الاوضاع نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وعلى أثر ذلك توقفت وسائل النقل عن العمل، وارتفعت اسعار السلع بشكل كبير، وبدأت الحكومة البريطانية بفرض مجموعة من القيود التي ترمي الى تطبيق سياسة التقشف في منطقة الخليج على الرغم من ان المنطقة بعيدة عن مجريات الحرب. اثناء الحرب كانت بعض دول الخليج تأخذ احتياجاتها من السلع الغذائية من الامارات، وفي محاولة لزيادة الضغوط لمنع اعادة التصدير من الامارات، اصدر الوكيل المحلي في مايو ١٩٤٢ تحذيرا لحكام الامارات من الصعوبات التي يمكن ان يواجهها مواطنوهم إذا لم يحافظوا على مخزونهم من السلع الاستهلاكية، ولم يكن امام الحكام سوى الاستجابة لهذه الضغوط. ولكن سيتساءل البعض، كيف يكون هناك تقشف، وفي الوقت نفسه تتم صفقات لاعادة تصدير السلع الغذائية، وما حدث هو ان المواطنين في تلك الفترة كانوا يتسلمون حصصهم من الغذاء بنظام (البطاقة) الذي طبّقته بريطانيا على كل منطقة الخليج، ومنها الامارات، وكان المواطنون يقومون ببيع الفائض من الاغذية للتجار الذين يقومون بدورهم بإعادة تصديره للدول المجاورة. لدينا مجموعة من الرسائل التي كتب معظمها عام ١٩٤٢ وهو العام الذي طبّقت فيه بريطانيا قرار منع اعادة التصدير، وطلبت من جميع الحكام صياغة برنامج للطلبات الشهرية من السلع الغذائية الضرورية، وتحوي هذه الرسائل ردود الحكام على طلب بريطانيا بعدم اعادة تصدير المواد الغذائية.

وتطلعنا تلك الرسائل التي كتبت بخط اليد على طبيعة الازمة من خلال تفاصيل الطلبات الضرورية من السلع الغذائية، وكيف عاشت المنطقة سنوات حالكة من المعاناة التي أدت الى عدم توافر السلع الغذائية الاساسية. لنطلع على الرسالة الاولى، وهي من الشيخ احمد بن راشد المعلا حاكم ام القيوين الى الوكيل المحلي سيد عبدالرزاق عام ١٩٤٢ يقول فيها «من احمد بن راشد المعلا الى جناب الامجد الافخم الاخ خان صاحب السيد عبدالرزاق. اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. دمتم بخير وسرور، وعنا ولله الحمد في حال يسركم، كتابكم الشريف وصل. من خصوص قصد جنابكم نفيدكم عما تحتاج اليه بلادنا من الامتعة الغذائية شهريا تقدير حضرتكم تشرفون عليه من المواد الآتية وذلك تقريبا الصواب اولا (أ) عيش (ارز) عدد الف وخمسمائة جونية (الجونية هي كيس من الخيش) (ب) طحين عدد مايتين جونية (ج) قهوة عدد خمسين جونية (د) حنطة (الحنطة هي القمح) (هـ) شكر (سكر) عدد خمسين جونية (و) كاهي (شاي) عدد عشرة صناديق، هذا بما امكن تقديره والباري يحفظكم[٢].


"© Justin Codrai - Photograph by Ronald codrai"
الشيخ أحمد بن راشد المعلا

حدد الشيخ احمد بن راشد المعلا حاكم ام القيوين في الرسالة الموجهة الى سيد عبدالرزاق الذي كان وكيلا محليا للادارة البريطانية احتياجات ام القيوين لاحد اشهر سنة ١٩٤٢، ويلاحظ قلّة الكميات المطلوبة التي تعني قلة عدد السكان في الامارة، كما يلاحظ انها تقتصر على ٦ انواع فقط من السلع الغذائية،

وهي المتطلبات الرئيسية من الاغذية، ولكن كان اصعب ظرف واجهه السكان، هو ان طلبات الاغذية يجب ان تتم شهريا. وهذا بالطبع ينطبق على كل الامارات، ولنا ان نتخيل كيف تتم كتابة الطلبات الشهرية لجميع السكان وتنتظر تلك الطلبات الاجراءات الروتينية للموافقة عليها من قبل الوكيل المحلي، ثم ترسل للمقيم البريطاني ومنها الى الهند او الدول الاخرى، وكانت السلطة البريطانية تأمل في اصدار قرارها بعدم اعادة التصدير، الى احتفاظ الناس بما يسد رمقهم لحين تلبية الطلبات الجديدة.

لنقرأ رسالة اخرى كتبها الشيخ احمد بن راشد المعلا بخصوص توصية المقيم البريطاني بالاحتفاظ بالمواد الغذائية وكتبت بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٤٢م وتأتي ردا على رسالة الوكيل المحلي، تقول الرسالة: «ان حضرة باليوز الدولة البهية الانقليزية قد اوعز اليكم ان ترشدونا الى ما يعود على البلاد بالصلاح وهو ان نحتفظ بالمواد الغذائية والمنسوجات وجميع تلك المواد في البلاد دون ان تسفر (تصدر) الى الخارج خوفا من الازمة التي سيلاقيها الناس في المستقبل». كانت ظروف الحرب العالمية الثانية قاسية على السكان الذين كانوا يعانون بالاصل من ظروف ازمة اللؤلؤ، وحتى نستطيع ان نطلع على جانب من ظروف تلك الايام الصعبة، لنر ماذا يقول احد المعاصرين لتلك الايام وهو عبدالرحمن البكر: «كان التموين المعيشي يأتينا عن طريق بريطانيا ويوزع بالبطاقات كل اسبوع عن طريق

الحكومة وهو عبارة عن اقمشة وارز وسكر، وكان يطلق على التموين (زغنبوط) وهو انواع اربعة مخلوطة (دخن وشعير وسكر وارز) الا انها لم تكن تسد الرمق، وكنا نستمع الى اخبار الحرب من اول جهاز راديو دخل رأس الخيمة أتى به الشيخ كايد بن محمد القاسمي ومنه سمعنا عن انتصار دول المحور على الحلفاء»[٣]. نعود مرّة اخرى لرسالة الشيخ احمد لنقرأ نصها الاصلي: «من احمد بن راشد المعلا لجناب الامجد الافخم الاخ خان صاحب السيد عبدالرزاق المحترم. امّا بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. على الدوام مع السؤال عنكم لا زلتم بلحال السار وكتابكم الشريف وصل خصوص بأن حضرة جناب باليوز الدولة البهية الانقليزية في البحرين قد اوعز اليكم ان ترشدونا الى ما يعود على البلاد بالصلاح وهو ان نحتفض بالمواد الغذائية والمنسوجات وجميع تلك المواد في البلاد دون ان تسفر الى الخارج خوفا من الازمة التي سيلاقيها الناس في المستقبل نفيد حضرتكم انا سنحتفض بتلك النصيحة ونعمل.. على ما ذكرتم الله يدبرنا واياكم في احسن تدبير هذا بما لزم والباري يحفظكم وهنا الاخوة والاولاد يبدون السلام»[٤].

كانت السلطة البريطانية قد منعت كل الكماليات من دخول الامارات في تلك الفترة بما فيها قطع الغيار للسيارات القليلة الموجودة في تلك الفترة

والتي يمتلكها بعض الحكام، وفي رسالة بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٤٢م مرسلة من الشيخ احمد بن راشد المعلا حاكم ام القيوين للوكيل المحلي، يقول في رسالته «مأمورنا ابراهيم بن سلطان امرناه بالمسير الى البحرين ليشتري بعض لوازم الموتر (يقصد السيارة) كما تشرفون عليه بموجب السياهه (يعني الطلب) التي بيده» ويضيف الشيخ احمد في آخر رسالته «ربما يصير عارض منع من قبل الحكومة في عدم جلب تلك الاجناس» والمقصود بالاجناس البضاعة.

لنقرأ النص الاصلي للرسالة «من احمد بن راشد المعلا لجناب الامجد الافخم الاخ خان صاحب السيد عبدالرزاق، اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والطاقة على الدوام مع السؤال عنكم لا زلتم بأجمل حال وانعم بال ثم نعرف جنابك الشريف هذا مأمورنا ابراهيم بن سلطان امرناه بالمسير الى البحرين ليشتري بعض لوازم الموتر كما تشرفون عليه بموجب السياهة التي بيده المرجو تعطونه جواز السفر الى البحرين ويكون تعطونه كتاب من حضرتكم رخصة ربما يصير عليه عارض منع من قبل الحكومة في عدم جلب تلك الاجناس الى هنا انشاهد جنابك ما تقصر. والباري يحفظكم ومنا الاخوة والاولاد يهدون السلام» (٥).

لنطلع على صورة اوضح للمعاناة

التي كابدها الناس في فترة الاربعينات، سنقرأ رسالة احد التجار التي تعبر عن مدى الصعوبات التي كان يواجهها التجار في العمليات التجارية وبشكل خاص طلبات الاستيراد من الهند. تقول الرسالة التي وقعت من قبل اثنين من تجار الشارقة هما حسن بن مختار وحسين حسن ومؤرخة بـ ١٠ / ٣ / ١٩٤٢م وموجهة الى المقيم البريطاني «منطرف طلبنا الاجناس من الهند وعدم حصول عاملنا الجواز لصدور الاجناس للشارقة اعتراضكم علينا بأننا لم نعرف في البرنامج الخاماة» والمقصود بذلك ان التاجر حسن بن مختار قدّم طلبا لاستيراد بضاعة او «اجناس» كما جاء في الرسالة، من الهند، ولم يحصل ممثل الشركة او كما جاء في الرسالة «عاملنا» على تصريح التصدير للشارقة كما جاء في تعبيره «الجواز لصدور الاجناس».

ويشرح كاتب الرسالة ان سبب اعتراض الادارة البريطانية (اعتراضكم) يعود لسبب انه لم يدرج طلب اقمشة او «الخاماة» حسب قوله ولا اعرف ان كان يقصد بذلك ان السلطة البريطانية كانت تفرض على التجار استيراد الاقمشة او انه حدث من قبل ان قدّم طلبا للاستيراد، لم تدرج به طلبات الاقمشة التي استوردها فيما بعد واعتبرت مستوردة بدون إذن مسبق.

ويكمل كاتب الرسالة «صاحب السعادة اننا نعترف بأننا سابقا كما زعمتم لم نعين في البرنامج، ولكننا لاحظنا الدفاتر ورأينا بأننا مقدمين برنامج شهر ابريل ١٩٤٢ ومعينين فيه الخاماة وغيره من الاجناس». ويبدو من رد التاجر ان المقيم البريطاني نبّههم الى عدم وجود الطلب مدرجا ضمن قائمة الطلبات، وهنا يلفت التاجر نظر المقيم الى انه يعترف بأن هذا حدث في الماضي، وان قائمة الطلبات لشهر ابريل ادرج فيها طلب القماش او «الخاماة» (يطلق اسم الخام على القماش في منطقة الخليج). وواضح من رسالة التاجر مهما كان تفسيرها ان السلطة البريطانية تشترط كتابة الطلبات بشكل مفصّل ودقيق، ولا تسمح بإغفال اسم اي نوع من البضاعة المراد استيرادها حتى تعرف نوعية الطلبات وكمياتها بدقة.

ويبدو ان الغرض من هذا الاجراء ان تكون الطلبات بكميات محدودة ومعروفة لدى السلطة البريطانية، ولكن تلك الاجراءات الصعبة لم تكن العقبة الوحيدة امام التجار، فإجراءات الاستيراد المعقدة التي تتطلب تفاصيل كاملة

للموافقة عليها من الادارة البريطانية، تقابلها اجراءات اخرى معقدة ايضا في الهند، ويبدو ذلك واضحا مما ذكره كاتب الرسالة بقوله: «وكما هو لدا فخامتكم معلوم بأن ولدنا حسن هو في الهند وانه مشتري قهوة وشكر والخاماة وحل وغيره من الاجناس وبما انه بذل جهده لحصول الجواز لصدور الاموال فلم يتأتا له ذلك» أي ان ابنه الذي اشترى كل البضاعة المطلوبة من الهند لم يستطع استخراج تصريح تصدير او «الجواز لصدور الاموال» حسب قوله. ويبدو ان التجار اختصارا للوقت كانوا يبعثون بمندوبيهم لشراء حاجياتهم من الهند او غيرها، وفي الوقت نفسه يسعون هنا لاستخراج تصاريح الاستيراد، ويطلب كاتب الرسالة من المقيم سرعة انجاز المعاملة ليتم التوريد مباشرة حتى يتمكن ابنه من الرجوع الى الشارقة بسرعة. كانت تلك الاجراءات الصعبة من اهم ما افرزته اجراءات التقشف التي طبقتها بريطانيا على المنطقة.

لنقرأ النص الاصلي للرسالة «الشارقة في ٢٢ صفر ١٣٦١هـ الموافق ١٠ مارس ١٩٤٢م، «لحضرة صاحب السعادة خان صاحب الكبتن مستر باليوز الدولة البهية القيصرية البريطانية المعظمة طال مجدها. المعروض لسعادتكم عن تقديمنا عرضحال (المقصود بذلك عرضا لحالته) لفخامتكم منطرف طلبنا الاجناس من الهند وعدم حصول عاملنا الجواز لصدور الاجناس للشارقة، اعتراضكم علينا بأننا لم نعرف في البرنامج الخاماة. صاحب السعادة اننا نعترف بأننا سابقا كما زعمتم لم نعين في البرنامج ولكننا لاحظنا الدفاتر ورأينا بأننا مقدمين برنامج شهر ابريل ١٩٤٢م ومعينين فيه عن الخاماة وغيره من الاجناس، وكما هو لدى فخامتكم معلوم بأن ولدنا حسن هو في الهند وانه مشتري قهوة وشكر والخاماة وحل وغيره من الاجناس، وبما انه باذل جهده لحصول الجواز لصدور الاموال فلم يتأتا له ذلك فرجائنا من مراحيم الدولة البهية القيصرية البريطانية المعظمة دام عزها ونصرها الله على اعدائها، ومراحيمكم السامية بعمل طريق المساعدة لتوريد الجنس رأسا ولأجل رجوع ولدنا سريعا لسبب وقت الحرج وأملنا بك وطيد. وختاما أتمنا لك حياة سعيدة وأسأل الله أن ينصر الدولة البهية العليا البريطانية العظمى ويخذل أعدائها ولكم الشكر، التوقيع حسن بن مختار، حبيب بن حسن»[٦].

(115)

HASSAN MUKHTAR HASSAN & Bros

Merchants & Commission Agents

SHARGAH.

بسم الله الرحمن الرحيم

I have explained the position to the applicant.

15/3/42.

هناك رسالة اخرى من التاجر حسن بن مختار توضح لنا قيام السلطات في الهند بإيقاف التصدير الى الشارقة واستمراره في دبي، ويبدو ان السلطة البريطانية اتخذت هذا الموقف ربما لقلّة الطلب بسبب ظروف الحرب وعدم الحاجة الى اتجاه السفن، لكل من الشارقة ودبي حتى تستطيع ضبط حركة الاستيراد من خلال الاشراف على موقع واحد تتجه له السفن. لنقرأ رسالة التاجر حسن بن مختار المؤرخة بتاريخ ٩ مارس ١٩٤٢ وموجهة هذه المرة الى المقيم البريطاني مباشرة وليست الى وسيطهم الوكيل المحلي وربما يعود ذلك الى اهمية الموضوع الذي تتضمنه الرسالة من ايقاف التصدير للشارقة «لحضرة صاحب الفخامة خان صاحب المفخم المستر (الاسم غير واضح) باليوز الدولة البهية البريطانية، المعروض لفخامتكم بأننا رعايا الدولة البهية البريطانية المعظمة اعزها الله ونصرها على اعدائها، القاطنين بالشارقة وطلبنا اجناس من الهند حسب العادة فكاتب لعواملنا المقيمين هناك بإيراد الاجناس (أي تمت مراسلة الموردين هناك لاستيراد السلع) وقد اشتريا لنا من منغلور (مدينة في الهند) قهوة وفلفل وخام عمل مدراس (الخام هو القماش باللهجة المحلية صناعة مدينة مدراس) وغيره ومثلما اشتريا موضوع هناك لانهم عرفونا بأن الجوازة لصدور الاجناس لم يحصل للشارقة ويحصل لدبي (اي أن

البضاعة تم شراؤها وبقيت هناك واعلمونا انه سمح بالتصدير لدبي ولم يسمح للشارقة) وايضا عاملنا المقيم في بمبي اشترا لنا شكر وقهوة وخام عمل هند وحل وودك (الحل نوع من الزيوت والودك نوع من زيوت التشحيم يستخدم للسفن) وغيره ويذكر ان حاولنا وبذلنا الجهد للحصول الجواز للشارقة لم نحصل عليه» ويكمل كاتب الرسالة «ألم يكونان الشارقة ودبي خليج واحد وتحت متصرف الحكومة البريطانية فرجائنا من عواطفكم وعواطف الدولة اعزها الله ونصرها على اعدائها بعمل وسيلة وطريق لحصولنا على الجوازة لصدور الاجناس للشارقة

هذه المقتطفات من رسالة التاجر كاتب الرسالة توضح لنا معاناة التجار من جملة من الصعوبات، فبعد ان منعت السلطة البريطانية اعادة تصدير المواد الغذائية، وضعت قيودا على حركة الاستيراد أولها تقديم برنامج شهري للطلبات الغذائية لكل امارة، والموافقة عليه، وضرورة الحصول على إذن تصدير من الهند، واخيرا تقييد حركة انتقال البضائع بحصرها في ميناء واحد هو ميناء دبي.

HASSAN MUKHTAR HASSAN & Bros.

Merchants & Commission Agents.

SHARGAH.

(113)

Applicants have been informed that, as they did not enter their requirements in our programme, nothing can be done for them.

R.A.

9/3/42.

الهوامش

(١) د . محمد الفارس، الاوضاع الاقتصادية في امارات الساحل، منشورات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية . ابوظبي .

(٢) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٣) مقابلة مع عبدالرحمن محمد البكر ضمن كتاب الامارات في ذاكرة ابنائها (الحياة الاقتصادية) ص ٦٨٢ .

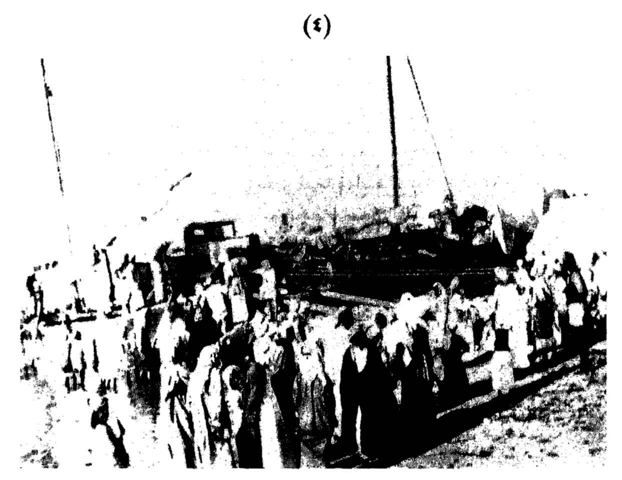
(٤) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٥) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٦) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٧) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٤)



نزول سيارة في مرفأ الشارقة عام ١٩٣٢

بعد صدور قرار تحديد الاحتياجات الشهرية لكل امارة عام ١٩٤٢، أرسل الوكيل المحلي رسائل الى حكام الامارات يطلب منهم تحديد مقدار ما يحتاجون اليه من سلع كل شهر. لنقرأ رسالته الى الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم ابوظبي المؤرخة في ٢٩ ابريل ١٩٤٢: «من خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية المعظمة في عمان المتصالح الى حضرة الاجل الاكرم حميد المكارم والشيم المحب الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد حاكم ابوظبي المحترم. بعد

التحية والاحترام والسؤال عن صحتكم دمتم بكمال السرور وعنا من فضل الله كما تودون. في كتابي عدد ٤٢٢ المؤرخ ٢٥ ابريل ١٩٤٢ الذي لم يصلني عليه جوابا حتى الآن رجوت حضرتكم ان تخبروني فورا عن ما تحتاجون توريده في كل شهر من الهند رأسا من المواد الآتية (أ) الحنطة (ب) الطحين (ج) الشكر (د) الشاهي (هـ) القهوة (و) العيش. وبما انه لم يصلني الجواب حتى الساعة فالتمس ان ترسلوا لي الجواب حالاً[١]، هذه الصورة القاتمة للوضع الاقتصادي في بداية الاربعينات التي حددت ٦ سلع من المواد الغذائية فقط للسكان، يعبر عنها ايضا احد المعاصرين لتلك الفترة، يقول حميد بن سلطان الشامسي مؤلف مخطوطة «نقل الاخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار» لما اشعلت المانيا نار الحرب في العالم وحصل ما حصل من تعطيل التجارة وانقطاع المواصلات حينذاك، اخذ ظل تلك الثروة يتقلص والسبب هو انحطاط اسعار اللؤلؤ وبخس ثمنه الى آخر درجة، هذا الانحطاط دعا الناس الى الانقطاع عن العمل بتجارة اللؤلؤ، وصار الناس يبيعون ما ادّخروه من تلك الثروة بأبخس الاثمان وخاصة عام ١٣٥٩هـ (تقريبا ١٩٤٠م) عندما زحفت جيوش اليابان الى الهند الشرقية فحصل اضطراب عظيم في العالم، وانقطعت المواصلات من الهند واليها جوا وبحرا، واشتدت وطأة الغلاء لدرجة لم يعهد مثلها سابقا، فأخذت حكومة بريطانيا تمون هذا الساحل بالحنطة من استراليا، ومن الهند السكر، ومن العراق الشعير والذرة والارز ويسميه اهل عُمان (السهوى) الذي تعافه الكثير من الدواب لسوء هضمه، ذلك ان اهل الساحل لم يعتادوا اكله، ولذا احدث في اجسامهم القروح والتورم ومات خلق كثير، واصاب الناس جوع وفقر مدقع بل عراء كذلك، فانعدمت الاقمشة تقريبا، وصار سعر ذراع الخام ثلاث روبيات هندية واضطر بعض الفقراء الى لباس اكياس الارز والحنطة وبقيت هذه الحالة ثلاث سنين حتى وضعت الحرب اوزارها فحصل الفرج وتحسنت حالة الناس[٢]. نعود مرّة اخرى الى الرسائل، كان الوكيل المحلي قد ارسل رسائل الى الحكام مشابهه لرسالته الى الشيخ شخبوط بن سلطان حول احتياجات اماراتهم الشهرية من المواد الغذائية، لنلق نظرة على رد الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة الذي حدّد احتياجاته بالآتي:

(ا) العيش ٣٠٠ طن بعدد ٤٠٠٠ جونية (شوال) (ب) شكر ٥٠ طنا بعدد ٥٠٠ جونية (ج) طحين ٥٠ طنا بعدد ٥٠٠ جونية (د) قهوة ١٠ اطنان بعدد ٥٠ جونية (هـ) شاي ١٢ طنا بعدد ٣٠ صندوقا (و) حنطة ١٥ طنا بعدد ٢٠٠ جونية. نلاحظ قلّة الكميات المطلوبة شهريا وهذا ناتج عن قلّة عدد السكان الذين هاجر معظمهم الى دول الخليج الاخرى وبالاخص السعودية والكويت للعمل في حقول النفط، ونلاحظ ان الاحتياجات التي ترسل للسلطة البريطانية للموافقة عليها لا تشتمل على الملابس وتقتصر فقط على الحاجات الاساسية من الاغذية، ويبدو ان السلطة البريطانية تركت حرية استيراد الاقمشة للتجار ولكن بكميات محددة. كانت الوجبة الرئيسية لسكان المنطقة هي الارز والسمك ونادرا ما يؤكل اللحم بسبب الفقر الشديد، لذا نجد ان الارز يتفوق بكمياته المطلوبة عن بقية السلع الغذائية، يقول نص الرسالة الاصلي «من سلطان بن صقر القاسمي لحضرة الافخم الاخ خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية العظمى المحترم. بعد التحية والاحترام والسؤال عن حالكم واحوالنا من كرم الله سارة، الله المحمود على ذلك، تشرفت بورود كتابكم العدد ٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان بن صقر القاسم
حكم الشارقة وتوابعها

عدد
١٩٠

من سلطان بن صقر القاسم لحضرة الأفخم الأخ خان صاحب السيد عبدالرزاق وكيل الباليوز

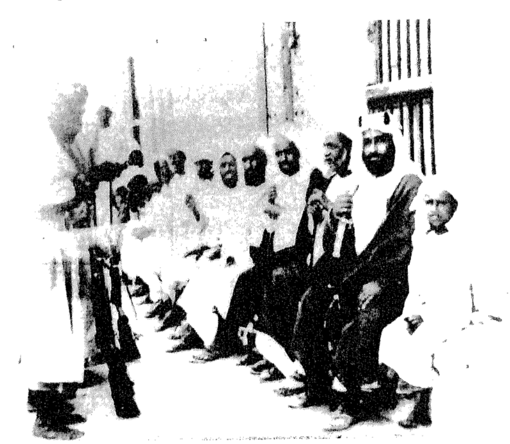
بعد التحية والاحترام والسؤال عن حالكم واحوالنا من كرم الله سارة الله المحمود على ذلك، تشرفت بورود كتابكم العدد ٤٢٠ المؤرخ ٨ ربيع الثاني ١٣٦١ الموافق ٢٥ مارس ١٩٤٢ واحطت علماً بما ذكرتم من خصوص ما اشرتم اليه بأن نخبركم عن مقدار ما تحتاج البلاد من الأطعمة لتعديلها في كل شهر، فها نحن نوضح لكم بالتفصيل كما يلي ادناه

المواد	طن	عدد	
عيش	٣٠٠	٤٠٠٠	اربعة آلاف جونية
شكر	٥٠	٥٠٠	خمسماية جونية
طحين	٥٠	٥٠٠	خمسماية جونية
قهوة	١٠	٥٠	خمسين جونية
شاي	١٢	٣٠	ثلاثين صندوق من ذو المئة رطل
حنطة	١٥	٢٠٠	مايتين جونية

هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ودمتم ٩ ربيع الآخر ١٣٦١

المؤرخ ٨ ربيع الثاني ١٣٦١ هـ الموافق ٢٥ مارس ١٩٤٢ واحطت علما بما ذكرتم من خصوص ما اشرتم اليه بأن نخبركم عن مقدار ما تحتاجه البلاد من الاطعمة لتوريده في كل شهر، فها هو نوضحه لكم بالتفصيل كما يلي ادناه: عيش ٣٠٠ طن اربعة آلاف جونية، شكر ٥٠ طنا عدد خمسماية جونية، طحين ٥٠ طنا عدد خمسماية جونية، قهوة ١٠ طنا عدد خمسين جونية، شاي ١٢ طنا عدد ثلاثين صندوق من ذو المئة رطل، حنطة ١٥ طنا عدد مايتين جونية، هذا وتفضلوا بقبول فايق الاحترام ودمتم ٩ ربيع الآخر ١٣٦١هـ»[٣].

لنبتعد قليلا عن الرسائل التي تتناول الاحتياجات الغذائية وسنقرأ رسالة مهمة كتبها الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة في ١٠/٣/١٩٤٢ حول قيام حكومة الهند البريطانية بمنع السفن من التوجه للشارقة، وسبق ان اشرنا الى هذا الموضوع من ضمن رسالة التاجر حسن بن مختار في الحلقة الماضية، ويبدو ان هذه القضية اضرّت بالتجار كثيرا بحيث استدعت من الشيخ سلطان الكتابة



الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة خلال الفترة (١٩٢٤ - ١٩٥١)
في مجلس مفتوح أمام الإدارة في بداية الاربعينات (الأول من اليمين)

الى الوكيل المحلي حول هذا الموضوع، يقول الشيخ سلطان بن صقر في رسالته «المعروف لحضرتكم بأن تجّار بلادنا كتبوا الي بأنه وردت اليهم كتب وبرقيات من وكلائهم في الهند يخبرونهم بأن حكومة الهند لا تجيز تحميل الاموال (يبدو انه يقصد تحميل البضائع) الى بندر الشارقة (اي مرفأ الشارقة) لا في البواخر ولا في السفن الا اذا كانت الى بندر دبي».

وحتى يؤكد الشيخ سلطان كلامه ذكر انه «فعلا وصلت الى بندر دبي جميع التحميلات» وكما ذكرنا سابقا ربما ارادت حكومة الهند من هذا القرار حصر نقل البضائع بميناء واحد بسبب ظروف الحرب حتى يسهل معرفة مدى التزام التجار بنقل الحصص المقررة فقط، وضمان عدم شحن اي كميات تزيد على حاجة السكان ويعاد تصديرها، وربما يكون الباعث الى ذلك ان الكميات القليلة المرسلة لم تكن تستدعي ارسال سفن الى اكثر من ميناء، وعلى اية حال، فقد انكر الوكيل المحلي معرفته بأية اوامر جديدة تكون صدرت من حكومة الهند بهذا الخصوص، لنقرأ نص الرسالتين، اولا: رسالة الشيخ سلطان بن صقر ويقول فيها «من سلطان بن صقر القاسم لحضرة الافخم الاخ خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية العظمى المحترم بعد التحية والاحترام، والسؤال عن حالكم، واحوالنا من كرم الله سارة، الله المحمود على ذلك،

والمعروف لحضرتكم بأن تجّار بلادنا كتبوا اليّ بانه وردت اليهم كتب وبرقيات من وكلائهم في الهند يخبرونهم بأن حكومة الهند لا تجيز تحميل الاموال الى بندر الشارقة لا في البواخر ولا في السفن الا اذا كانت الى بندر دبي، وفعلا وصلت الى بندر دبي جميع التحميلات فلا نعلم الباعث على عدم قبول تحميل الاموال الى بلادنا، فنرجوكم الافادة عن السبب لذلك وان تتفضلوا وتعملوا ترتيبا في المبادرة لرفع الحجز للتحميل لبلادنا ولكم مزيد الشكر والامتنان هذا وختاما تقبلوا خالص احترامي ودمتم، ٢٢ صفر ١٣٦١هـ[٤].

أما رد الوكيل المحلي فكان كالآتي «من خان صاحب عبدالرزاق الى حضرة الأجلّ الاكرم حميد المكارم والشيم المحب الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة المحترم (الجمل الاولى في الرسالة غير مبينة) الاحترام والسؤال عن صحتكم ودمتم بكمال السرور وعنا من فضل الله كما تودون، الى كتاب حضرتكم عدد ٥١ المؤرخ ٢٢ صفر ١٣٦١ هـ، اتشرف بأن حضرتكم على ان لا علم لنا بصدور امر ما من حكومة الهند في التحميل الى الشارقة، هذا

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي ودمتم»[٥].

هناك رسائل تحمل طلبات ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها مثل طلبات بعض الشيوخ بمنحهم الموافقة على استيراد قطع غيار لسياراتهم التي ستتوقف عن العمل في حال عدم اصلاحها، منها رسالة الشيخ سلطان بن سالم القاسمي حاكم رأس الخيمة الى الوكيل المحلي في مارس ١٩٤٢ ويطلب فيها منحه الموافقة على استيراد بعض الحاجات الخاصة من الهند، وبحوزتنا رسالته ولكنها غير واضحة، الا ان رد الوكيل المحلي على الرسالة اوضح مطالب الشيخ وهي بعض قطع الغيار لسيارته من كراتشي، تاريخ رسالة الوكيل المحلي ١٩ ابريل ١٩٤٢، وهذا يعني ان دخول السيارات للامارات بدأ منذ فترة طويلة وليس كما يعتقد الكثيرون من ان ذلك كان منذ منتصف الخمسينات، ولم توضح الرسائل نوعية السيارة او غيرها من السيارات المستخدمة والتي يراد لها قطع غيار، ولكن كما هو معروف فإن السيارات المستخدمة في تلك الفترة كان معظمها من نوع اللاندروفر الانجليزية، ودخلت فيما بعد السيارات الامريكية ومن يطلع على الصور التي صورت في الامارات في اواخر الاربعينات وفترة الخمسينات وخاصة البومات رونالد كودري، يرى السيارات اللاندروفر والسيارات الامريكية التي كانت تتميز بكبر حجمها في ذلك الوقت، ولم يكن هناك اي وجود للسيارات اليابانية التي كانت غير مرغوبة في كل مكان بسبب رداءة صناعتها في تلك الفترة وعدم قدرتها على منافسة السيارات الانجليزية والامريكية المشهورة بالمتانة، ويبدو ان قطع غيار السيارات كانت متوافرة في بومبي وكراتشي وخاصة لسيارات اللاندروفر الانجليزية، نظرا للاستخدام الكبير من قبل الانجليز لتلك السيارات اثناء الوجود الانجليزي في الهند قبل استقلالها عام ١٩٤٧.

لنقرأ رسالة الشيخ سلطان بن سالم التي يقول فيها «من سلطان بن سالم لحضرة الافخم حميد المكارم والشيم الاخ المكرم خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية المحترم. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ارجو انكم باتم الحال، بخصوص (الكلمة غير واضحة ولكن يبدو انها مذكرتنا) معكم في طلب رخصة من الهند لجلب بعض الاوايل لاجل اشغالنا الخاصة، فعليه ارجوكم

تعرفون سعادة الباليوز بالبحرين في ذلك وتجدون طيه ورقة تتضمن المطلب، وساكون ممنون بمساعدتكم هذا وفي الختام تفضلوا فائق احترامي ودمتم، من رأس الخيمة في ٤ ربيع الاول ١٣٦١هـ (يوافق شهر مارس ١٩٤٢م) [٦].

كان رد الوكيل المحلي ايجابيا على رسالة الشيخ سلطان حيث وافقت الادارة البريطانية على منحه اجازة لاستيراد بعض قطع غيار السيارات او ادوات السيارات من كراتشي، تقول الرسالة «من خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية المعظمة في عمان المتصالح الى حضرة الاجل الاكرم حميد المكارم والشيم المحب الشيخ سلطان بن سالم حاكم رأس الخيمة المحترم، بعد التحية والاحترام والسؤال عن صحتكم، دمتم بكمال السرور وعنا بفضل الله كما تودون، بالاشارة الى كتاب حضرتكم تاريخ ٤ ربيع الاول ١٣٦١هـ الذي فيه طلبتم رخصة لتوريد بعض ادوات السيارات من كراجي، اتشرف بأن اقدم لحضرتكم برفقته اجازة لتوريد ذلك وارجوكم افادتي عن وصولها اليكم وتفضلوا بقبول فائق إحترامي ودمتم. ١٩ ابريل ١٩٤٢م [٧].

لنقرأ رسالة اخرى للشيخ سلطان بن سالم حاكم رأس الخيمة عن احتياجات امارته من السلع الغذائية: «من سلطان بن سالم لحضرة الفاضل المحترم الاخ المكرم خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ارجو انكم باحسن حال جوابا على رسالة رقم ٨ الجاري بخصوص كفاية بلادنا من الاطعمة لاجل توريدها من الهند، فاليكم التصريح المحرر: اولا مايتين طن عيش، ثانيا خمسين طن طحين، ثالثا عشرين طن حنطة، رابعا ستماية طن شكر، خامسا الف رطل جاهي (شاي) في صندوق، تعد المبلغ الذي تحتاج اليه شهريا وتكون الرخصة بإسمنا نصدرها للموردين بطرفنا رأسا ام عن طريق دبي بالمراكب. هذا وفي الختام تفضلوا بفائق احترامي ودمتم، في ١٠ ربيع الثاني ١٣٦١هـ»[٨].

وهنا نطرح سؤالا، هل استطاعت السلطات البريطانية ان توقف اعادة التصدير من خلال تقنين وتحديد السلع الغذائية المستوردة؟

كان السكان يعانون من ضائقة مالية شديدة، ومهما كانت عمليات التقنين التي تقوم بها السلطة البريطانية، فمن الصعب التحكم في عمليات البيع والشراء،

كان الناس مضطرين للحصول على سيولة مالية لتلبية احتياجاتهم الاخرى من الملبس وغيره، وبالتأكيد استمرت عمليات البيع والشراء، ولكن الم يكن هناك ادراك من الادارة البريطانية من ان احتياجات الناس لا تقتصر على الغذاء فقط، لقد ادى نظام التقتير في توزيع المواد الغذائية الى وجود نقص في السلع في بعض الاحيان، ولكن لا نستطيع ان نؤكد أن النقص في السلع الغذائية في بعض الاحيان ناتج عن القيود التي وضعتها السلطة البريطانية، او عمليات البيع التي يقوم بها السكان، فربما تكون هناك اسباب اخرى منها ظروف الحرب العالمية الثانية وآثارها على دول العالم، ولكن مهما كانت الاسباب، فلقد مرّت البلاد بفترات حرجة خلت فيها من الاغذية. لنقرأ رسالة الشيخ سلطان بن سالم التي يشكو فيها من ان رأس الخيمة خالية من حاجاتها الضرورية، ولنا ان نتخيل كيف يكون الوضع عندما تخلو امارة باكملها من حاجتها للغذاء وتنتظر موافقة السلطة البريطانية لاستيراد احتياجاتها، ويجب الا يغيب عن بالنا ان الحاجات الضرورية الاخرى مثل الملابس والادوية لا تذكر اصلا. وهذا يعني ان السكان الذين كانوا يجدون متنفسا في بيع بعض غذائهم لسد الاحتياجات الاخرى وجدوا انفسهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من سلطان بن سالم [illegible]

[illegible] كتابكم الكريم رقم ١٥ [illegible]

[illegible] بالاحتياط [illegible]

[illegible] وحيث ان البلاد الآن خالية من حاجاتها

الضرورية فارجوكم الافادة اذا قد تحصلتم على تفاصيل ما قدمنا [illegible]

[illegible] لكي نقدم طلبنا في ما تحتاجه البلاد من الهند [illegible] وفي الختام

تفضلوا بقبول فائق احترامي [illegible] ٢٢ ربيع [illegible] ١٣٦٦

من دون اي شيء في بعض الاوقات. لنقرأ النص الاصلي لرسالة الشيخ سلطان بن سالم القاسمي حاكم رأس الخيمة «من سلطان بن سالم لحضرة الافخم الامجد حميد المكارم والشيم الاخ الكريم خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية العظمى المحترم، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ارجو انكم في اتم الحال، جوابا على محرركم الكريم رقم ١٥ الجاري وبخصوص ما ذكرتم بالاحتفاظ على الاطعمة والكماليات الاخر، باسواق بلادي اشكر نصائحكم الثمينة واقدرها، فقط عزيزي الفت نظركم الى ما تقدّم من طلباتنا ولحيث ان البلاد خالية من حاجاتها الضرورية فأرجوكم الافادة اذا قد تحصلتم على تفاصيل ما قدّمنا وهذا واصلكم الاخ محمد البكر ارجوكم افادته لكي نقدم طلبنا فيما تحتاجه البلاد من الهند، ولكم مزيد الشكر هذا وفي الختام تفضلوا بقبول فائق احترامي ودمتم، في ٢٢ ربيع ٢ عام ١٣٦١هـ الموافق ٧/٥/١٩٤٢م»[٩].

الهوامش :

(١) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٢) حميد بن سلطان الشامسي، نقل الاخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار، ص ١٧٩ - ١٨٠

(٣) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٤) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٥) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٦) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٧) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٨) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٩) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٥)

كـيـف كـانـت الحـيـاة في الامـارات في أواخـر الـثـلاثـيـنـات وأوائل الأربعـينـات؟ لنطلع هذه المرّة على رأي أحد المعاصرين لتلك الفترة وهو علي محمد التاجر الذي يقول: «كانت الحياة الاقتصادية في الامارات في أواخر الثلاثينات شبه ميتة، وكان اللؤلؤ يلفظ أنفاسه، وكان السكان يعتمدون كليا على صيد الاسماك مثل الجاشع والعومة حيث تجفف وتحفظ ثم تصدر الى شرق آسيا لتستعمل كأسمدة، وكذلك زعانف أسماك القرش التي كانت تصدر الى شمال أوروبا، كما ان بعض التجار كانوا يتاجرون في الأخشاب مع أفريقيا الشرقية والهند بسفنهم الشراعية، اما تجارة الأطعمة والأقمشة فقد احتكرها الهندوس والبهرة»[١]. (الهندوس أو البانيان أتباع احدى الطوائف الدينية الهندية، أما البهرة فهم أتباع احدى الطوائف الاسلامية في الهند).

كانت هذه مشاهدات علي التاجر الذي قدم من البحرين عام ١٩٣٨م، وهو يعطينا تصورا كاملا للوضع الاقتصادي في الامارات قبل الحرب العالمية الثانية، ويمكننا ملاحظة المهن البسيطة التي كان يعمل بها بعض التجار في تلك الفترة وتنحصر في صيد الأسماك وتصديرها والتجارة الخارجية مع أفريقيا والهند، ولكن ماذا حدث بعد نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م يقول علي التاجر «جاءت الحرب وازدادت الأوضاع سوءا، وكان السكان يعتمدون على تهريب الأطعمة (في اشارة الى قيام السكان ببيع الفائض من الأطعمة للتجار واعادة تصديره الى ايران وغيرها). في تلك الفترة كان يوجد في أبوظبي ثلاثة دكاكين فقط ولم يكن بها سوى تجار اللؤلؤ، وكان هؤلاء في وضع سيئ للغاية، وكانت

هناك بعض الرحلات للسفن العاملة بالتجارة الخارجية وخاصة من دبي، وقد ازداد الاهتمام بتصدير الأطعمة من الامارات في تلك الفترة حيث كانت السلطة البريطانية تقوم بتوزيع الأطعمة بنظام الحصص على التجار، وكان هؤلاء بدورهم يبيعونها على السكان حسب عدد أفراد كل عائلة، وكان الناس يزيدون من عدد أفراد عائلاتهم عند الشراء للحصول على حصص أكبر من الأطعمة، وبذلك تفيض عندهم بعض الأطعمة حيث يقومون ببيعها بسعر أعلى للتجار حيث يصدر هذا الفائض الى الدول الأخرى، وكان هناك بعض التجار الكويتيين ممن يعملون ببعض الأعمال التجارية مثل مرشد العصيمي (الذي أصبح في ما بعد ممثل الكويت في الامارات)[٢]. كنا أشرنا من قبل الى تجارة الأطعمة، أو تهريب الأطعمة كما يسميه الانجليز، التي اضطر لها السكان بسبب الوضع المتردي، وقيام السلطة البريطانية باصدار قرار منع اعادة التصدير، ولكننا لم نقرأ رسالة الوكيل المحلي التي طلب فيها ايقاف التصدير للخارج، وأرسلها الى جميع الحكام. لنقرأ ما جاء فيها «بالنظر الى ما يصدر الآن الى خارج ساحل عمان المتصالح من الأطعمة والأقمشة والمنسوجات وغيرها التي قد تحتاجها البلاد للاستهلاك والتي لا يمكن تعويضها فيما بعد والتي صدورها في جهات أخرى ممنوع، فقد أمرني سعادة باليوز الدولة البريطانية في البحرين بأن أحذر حضرتكم من الصعوبات التي محتمل أن تصل لرعاياكم فيما بعد السنة الحالية ان لم تحتفظوا في أسواقكم بكمية من هذه المواد لأن الحصول على مواد أخرى في مكان المواد المصدرة الآن سيكون فيما بعد صعبا ومن المحتمل مستحيلا، ٢٠ مايو ١٩٤٢م»[٣]. كنا قد أشرنا من قبل الى ردود بعض الحكام على طلب السلطة البريطانية بايقاف التصدير. لنقرأ رسالة الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي المرسلة الى الوكيل المحلي في يونيو ١٩٤٢ «من شخبوط بن سلطان الى حضرة الأكرم الأحشم المحب المحترم خان صاحب عبدالرزاق وكيل الدولة البريطانية المعظمة في عمان المتصالح، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عنكم على الدوام، نحن من فضل الله في حال يسركم، كتابكم المكرم المؤرخ ٢ مايو ١٩٤٢م موافق ١٥ ربيع الثاني ١٣٦١هـ الينا وصل وما عرفت أنه أمرك باليوز الدولة البريطانية المعظمة في

البحرين أن تخبرنا مما يتطلبه الوقت الحاضر من التحفظ عن تسربه الى الخارج من أطعمة وأقمشة فهمناها على التفصيل، دمتم مسرورين والسلام»[٤].

بعد صدور هذا القرار أصدر الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة مرسوما الى التجار يقول فيه «إلى كافة من يقف على مرسومنا هذا اعلاما لكم بأننا من الآن فقد منعنا خروج جميع المواد الحيوية من بلادنا منعا باتا ومن



"© Justin Codrai - Photograph by Ronald codrai"

الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان

بسم الله الرحمن الرحيم

من شخبوط بن سلطان الى حضرة الأكرم الأفخم المحب المحترم صاحب السعادة عبد الرزاق وكيل الدولة البريطانية المعظمة في عمان المتصالح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عنكم على الدوام نحن من فضل الله في عافية يسركم كتابكم الكريم المؤرخ ٢ مي ١٩٤٢ الموافق ١٥ ربيع الثاني ١٣٦١ الينا وصل وما عرفت أنه أمركم باليوم الدولة البريطانية المعظمة في البحرين بأن تخبرنا مما يتطلبه الوقت الحاضر من التحفظ عن تسربه الى الخارج من أطعمة وأقمشة فهمناها على التفصيل دمتم مسرورين والسلام جرى في ٥ جماد أول ١٣٦١

كان خالف هذا فاننا سنعاقبه العقاب الشديد، ومن أنذر فقد أعذر لتحيطوا علما»[٥]. كان الحكام يرسلون رسائل بين الحين والآخر الى الوكيل المحلي والمقيم البريطاني بناء على رغبة التجار والسكان تلبية لمطالبهم بتسهيل اجراءات الاستيراد، وكما ذكر علي التاجر فقد كان يسيطر على تجارة المواد الغذائية والأقمشة في تلك الفترة الهنود من طائفتي الهندوس والبهرة، وقد طلب أحد تجار الأغذية الهندوس من الشيخ سعيد بن مكتوم الكتابة للوكيل المحلي لتسهيل اجراءات الاستيراد لجلب بعض الأغذية الى دبي، وقد استجاب الشيخ سعيد لمطالب التاجر وكتب الرسالة التالية للوكيل المحلي «بسم الله وحده، من سعيد بن مكتوم آل حشر الى حضرة الأجل المكرم الأفخم المحب خان صاحب عبدالرزاق وكيل الدولة البهية البريطانية، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فان هذا البانيان

ودوداس، مراده من تحميل ٢٠٠٠ قوطي (يعني علبة) دهن ديسي (يعني زيت من نوعية غير ممتازة) من كراجي و٢٠٠٠ كيس شكر جاوي من بمبي ويريد منكم الاجازة لتحميل ذلك لأجل انهن الى بلدنا دبي خاصة، ان شاء الله الاجازة في ذلك وجنابكم ما تقصرون ودمتم»[٦].

لنقرأ رسالة أخرى وهي «من الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي الى الوكيل المحلي يطلب فيها منح أحد التجار البانيان ترخيصا لاستيراد خمسة آلاف شوال أرز وحب وطحين، فماذا يقول النص الأصلي للرسالة «من شخبوط بن سلطان الى حضرة الأكرم الأحشم المحب المحترم خان صاحب عبدالرزاق وكيل الدولة البريطانية المعظم في عمان المتصالح، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والسؤال عنكم على الدوام. نحن من فضل الله في حال يسركم وبعد فهذا واصلنك (يصلك) لكوه البانيان (يبدو انه أحد التجار الهندوس واسمه لكوه) انشاء الله تعطونه رخصة في توريد خمسة آلاف جونية عيش وحب وطحين الى أبوظبي، هذا ودمتم مسرورين والسلام، جرا في جماد اول ١٣٦١هـ»[٧].

لنقرأ رسالة أخرى للشيخ سعيد بن مكتوم موجهة الى الوكيل المحلي

بسم الله الرحمن الرحيم

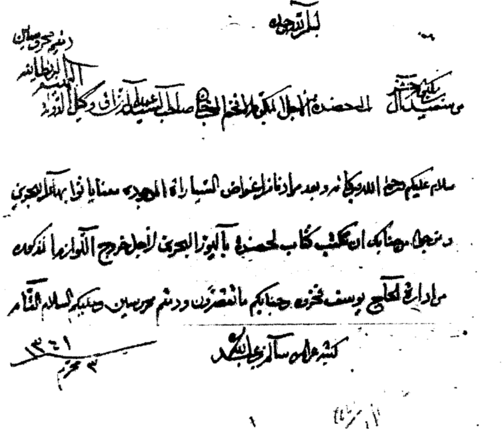
الدولة البريطانية المعظم في عمان المتصالح وكيل

من شخبوط بن سلطان الى حضرة الأكرم الأحشم المحب المحترم خان صاحب عبدالرزاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عنكم على الدوام نحن من فضل الله في حال يسركم وبعد فهذا واصلنك لكوه البانيان انشاء الله تعطونه رخصه في توريد خمسة آلوف جونيه من عيش وحب وطحين الى ابوظبي

هذا ودمتم مسرورين والسلام جرا في جماد اول ١٥ ١٣٦١

بخصوص طلب اذن توريد بعض قطع الغيار لسيارته من وكيل السيارة في البحرين يوسف فخرو، يقول الشيخ سعيد «بسم الله وحده، من سعيد بن مكتوم آل حشر الى حضرة الأجل المكرّم الأفخم المحب خان صاحب عبدالرزاق وكيل الدولة البهية البريطانية دمتم محروسين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، مرادنا من أغراض السيارة الموجودة معنا يأتوا بها من البحرين، ونرجو من جنابك أن تكتب كتاب لحضرة باليوز البحرين لأجل خروج اللوازم المذكورة من ادارة الحاج يوسف فخرو وجنابكم ما تقصرون ودمتم محروسين وعليكم السلام التام. كتبه عن أمره سالم بن عبدالله»[٨].



بسم الله وحده

من سعيد بن مكتوم آل حشر الى الحضرة الأجل المكرم الأفخم المحب صاحب عبدالرزاق وكيل الدولة البهية البريطانية دمتم محروسين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد مرادنا من أغراض السيارة الموجوده معنا يأتوا بها من البحرين

ونرجو من جنابك ان تكتب كتاب لحضرة باليوز البحرين لأجل خروج اللوازم المذكوره

من ادارة الحاج يوسف فخرو وجنابكم ما تقصرون ودمتم محروسين وعليكم السلام التام

كتبه عن أمره سالم بن عبدالله

لنواصل مع علي التاجر حواره عن مشاهداته للأوضاع خلال الحرب العالمية الثانية كان مجتمع الامارات منعزلا بسبب الهيمنة البريطانية التي كانت تفرض استمرار هذا الانغلاق وترفض أي محاولة لانفتاح المجتمع. وكانت القيود البريطانية سببا في عدم تمكن أي من الجاليات العربية أو غيرها للحضور والاستقرار في الامارات

الا بعد الحصول على تصريح من السلطة البريطانية، لذا لم يكن هناك تجار عرب في تلك الفترة الا ما ندر، وكان كل من يدخل الامارات وتشعر الادارة البريطانية بضرر من وجوده يتم ترحيله بشكل سريع، وكانت الجنسيات غير المشمولة بتصاريح الدخول هي أبناء دول الخليج وايران وبلوشستان. قبل الحرب العالمية الثانية، كانت شركة البواخر البريطانية تأتي الى دبي والبحرين والكويت أربع مرّات في الشهر، وعندما بدأت الحرب، قلّصت الشركة عدد رحلاتها بسبب استخدام الانجليز لبعض تلك البواخر في العمليات الحربية، فاستعيض عن هذه البواخر بسفن صينية صغيرة وأصبح عدد الرحلات مرتين ثم مرة واحدة شهريا، ثم فيما بعد، أصبحت السفن تأتي مرة واحدة كل شهرين، وفي أواخر الحرب بدأ بعض التجار المواطنين من مختلف الامارات بالاستقرار في دبي، واستغل بعضهم ما تبقى لهم من رؤوس أموال من تجارة اللؤلؤ في العمل بالتجارة في دبي[٩]. كانت ظروف الحرب الصعبة سببا في صدور قرارات لمنع التصدير بين فترة وأخرى حسب مجريات الحرب؛ وحتى نطّلع على المزيد من مجريات الأحداث في تلك الفترة، لنقرأ هذه الرسالة من الشيخ جمعة بن مكتوم أحد شيوخ دبي مرسلة الى الوكيل المحلي يستفسر فيها عن سبب منع التصدير من كراتشي ويستند في معلوماته الى رسائل مرسلة من تاجرين أحدهما محمد شريف سلطان العلماء، والآخر أحد التجار الهندوس أو «البانيان» كما كان يطلق عليهم. ويبدو أن قرارات المنع التي تتخذ بين الحين والآخر لم يكن يصدر فيها قرار مكتوب من السلطات في الهند، وانما قرارات شفوية تتخذ بين حين وآخر تبعا لمجريات الحرب أو الظروف التي تستجد، تقول الرسالة المؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٣٦١ الموافق ٢٤ مارس ١٩٤٢م «من جمعة بن مكتوم الى حضرة حميد الشيم والمكارم وكيل باليوزية الدولة البريطانية المعظمة في عمان المتصالح خان صاحب عبدالرزاق المحترم، بعد مزيد من خالص السلام والاحترام، أحوالنا ولله الحمد كما تحبون، بالأمس اخبرنا جنابكم الصادرة في منع خروج الأموال من كراجي (يقصد بخروج الأموال أي تصدير البضائع وسيتضح معنى هذه الجملة من رد الوكيل المحلي)، وبهذا اليوم وجدنا تلغرافين اما واحد فهو للشيخ محمد شريف سلطان

العلماء والآخر للبانيان، ودوه (أي أرسلوه) وهما واصلان اليكم في جوف الكتاب، نرجو من سعادتكم تشرفون على ذلك وفيما بعد ترسلون ذلك الينا حتى نرجعهما لأصحابهما، ولكم منا مزيد الشكر ونهاية الممنونية، حرر في ٦ ربيع الأول ١٣٦١هـ»[١٠].

رسالة الشيخ جمعة لم توضح ما هو المقصود بالأموال التي منع خروجها، وسيعتقد بعض من يقرأ الرسالة أن المقصود بذلك هو منع اخراج العملة، ولكن

بسم الله الرحمن الرحيم

من جمعه بركتوم الى حضرة [illegible] المكرم وكيل [illegible] الدولة البريطانية [illegible]
خان صاحب السيد عبد الرزاق [illegible]

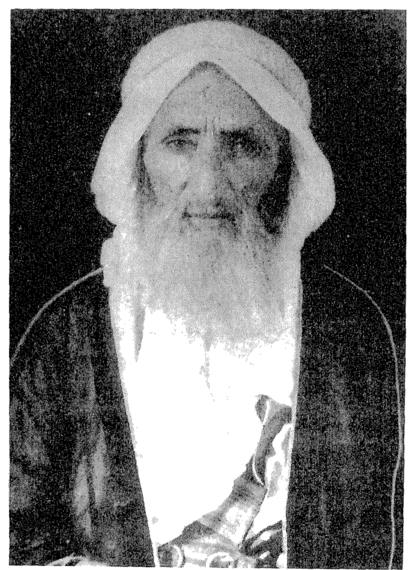
بعد مزيد خالص السلام والاحترام [illegible] ولله الحمد كما تحبون بالأمس اخبرنا [illegible]
بامتثال الصادرة في منع خروج الأموال من كراتشي الى [illegible] اليوم وجدنا [illegible]
اما واحد فهو للشيخ محمد شريف [illegible] العلماء والآخر للبانيان ودوه وهما واصلان
اليكم في جوف الكتاب نرجو من سعادتكم تشرفون على ذلك وفيما بعد ترسلون
ذلك الينا حتى نرجعهما لأصحابهما ولكم منا مزيد الشكر ونهاية الممنونية
حرر في ٦ ربيع الأول ١٣٦١

The attached are [illegible]

من المعروف أن التجار كانوا يدخلون أموالا في تلك الفترة ليشتروا بضائع وبالتالي فالمقصود بذلك البضائع، وبشكل عام كان يطلق على بضاعة التاجر مصطلح «حلالا أو مالا» ورد الوكيل المحلي يعطينا المزيد من التفاصيل .

ويذكر الوكيل في معرض رده على رسالة الشيخ جمعة رأيه الشخصي في مسألة عدم وصول البضاعة، وأن برقيات التجار لم تؤكد مسألة منع التصدير من كراتشي، ويطلب المزيد من التحري حول هذا الموضوع بسؤال التجار القادمين .

ورد الوكيل يؤكد أن القرارات في زمن الحرب كانت أحيانا تتخذ حسب الظرف ولم تكن هناك قرارات مكتوبة وواضحة من المفروض أن تصل نسخ منها الى الادارة البريطانية في الخليج .



الشيخ سعيد بن مكتوم

لنقرأ رسالة الوكيل المحلي «من خان صاحب عبدالرزاق وكيل باليوزية الدولة البريطانية المعظمة في عمان المتصالح الى حضرة الأجل الأكرم حميد المكارم والشيم المحب الشيخ جمعة بن مكتوم المحترم. بعد التحية والاحترام والسؤال عن صحتكم دمتم بكمال السرور، وعنا من فضل الله كما

تودون، لقد تشرفت بكتاب حضرتكم تاريخ ٦ ربيع الأول ١٣٦١هـ وبصحبته البرقيتين الواردتين، من جهة العيش (يقصد بخصوص الأرز)، التي أعيدهما لحضرتكم برفقته (يقصد البرقيتين)، أما البرقيتين فلا يفهم منهما أن العيش ممنوعا ولكن أوقف التحميل، وهذا قد يعني أنه لم يحصل فسحة في البواخر، ولكن أرجوك تخبروني بعد وصول المركب اذا تجدوا عند التجار خبرا غير هذا، أو وصل لهم تفصيلا بالبريد، هذا وتفضلوا بقبول فائق احترامي ودمتم، ٢٥ مارج (مارس) ١٩٤٢ موافق ٧ربيع الأول ١٣٦١هـ»[١١].

ولكن هذا الخوف من منع تصدير الأرز من كراتشي أو الهند أصبح حقيقة منذ مطلع يناير عام ١٩٤٣م عندما أصدرت حكومة الهند البريطانية قرارا بايقاف تصدير الحبوب من الهند الى الخارج اضافة الى منع التصدير بالكامل من الهند، وتسبب هذا القرار في احداث موجة من الذعر والخوف في منطقة الخليج وقد فرض هذا القرار على أهل المنطقة تغيير اسلوبهم في التجارة الذي ألفوه لقرون طويلة، عندما كانت المواد الغذائية احدى أهم أنواع السلع التي كانوا يسيطرون على تجارتها، واضطروا للبحث عن مصادر أخرى غير الهند للاستيراد منها، وكان أهم الحبوب التي أوقف تصديرها الأرز، وهو الغذاء الرئيسي في المنطقة، وبهذا القرار أجبر الناس على تغيير غذائهم الرئيسي الى غذاء آخر هو القمح أو (الحنطة) كما كان يطلق عليه محليا، والذي لم يعتادوا على أكله [١٢].

كانت هذه هي أوضاع الامارات خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن ماذا بعد توقف الحرب؟ ظهرت كثير من المشكلات بعد توقف الحرب، واتخذت كثير من القرارات أهمها حظر استيراد اللؤلؤ الى الهند، كانت حكومة الهند قد رأت أنه من الضروري مراجعة سياسة ضبط تجارة الاستيراد لأجل الاستفادة من عائدات التجارة الخارجية وذلك بحظر استيراد بعض البضائع غير الضرورية، فأوقفت اعطاء رخص الاستيراد لهذه البضائع، ومنها اللؤلؤ غير المصنع ابتداء من أول يوليو ١٩٤٧م. وبما أن الهند كانت السوق الرئيسية للؤلؤ الخليج العربي، فقد كان هذا بمثابة المسمار الأخير في نعش هذه المهنة، وبدأت ردود فعل هذا القرار تتوالى من كل مكان، وقامت مجموعة من تجار دبي برفع رسالة تظلم للشيخ

سعيد بن مكتوم حاكم دبي يرجونه فيها بذل المساعي للحيلولة دون تنفيذ هذا القرار الذي سيسبب كارثة لهذه التجارة بعد توقف البيع والشراء ووصول أخبار المنع من الهند، وأن هذا الاجراء قد يؤدي الى توقف العمل في مغاصات اللؤلؤ، وقام الشيخ سعيد بدوره برفع هذا التظلم الى الوكيل المحلي (١٣). لنقرأ الرسالة ونتعرف الى كاتبيها «الى حضرة صاحب السمو المطاع الشيخ سعيد بن مكتوم المفخم بعد تقديم فائق التحية وجليل الاحترام، نرفع الى سموكم انه جاءت الأخبار من الهند تفيد ان حكومتها منعت دخول اللؤلؤ الى الهند بالفعل منذ أول يوليو ١٩٤٧م، وقد أقلقت هذه الأخبار افكارنا اذ لا يخفى على سموكم ان مركز تجارة اللؤلؤ منذ مئات السنين هو الهند وأنه بسبب هذه المنع تقع كارثة عظمى علينا وعلى كل من يتعاطى هذه العمل، وها منذ وصول هذه الأخبار الى طرفنا توقف البيع والشراء وقد يتوقف العمل توقفا تاما فلا يعلم الا الله ما هو مصيرنا ومصير عمل هذه البلاد الرئيسي لذلك قدّمنا لسموكم الأمر راجين بذل المساعي الجميلة في دفع هذا الضرر عنا وعن هذه التجارة

1930–1962 567

وثيقة (15)
رسالة التجار للشيخ سعيد بن مكتوم
انظر:
Records Of The Persian Gulf Pearl Fishries, vol. 3, p.567

التاريخية القديمة التي يعتمد عليها ويعيش من ورائها غالبية أهالي هذا الساحل.
٢١ شعبان ١٣٦٦هـ. التوقيع محمد شريف بن سلطان العلماء، محمد عبدالله عباس، عن عبدالقادر محمد عباس، محمد صالح، عن الشيخ مصطفى عبداللطيف، عبدالله مراد، رامال ايسارداس، عبدالرحمن فاروق، خالد بن ابراهيم، سيف بن أحمد بن كلبان، ابراهيم بن فردان، علي بن فردان، اسماعيل بن عبدالله البقالي / محمد بن علي بن رحمة، عبدالله بن علي نومان، حسن بن خليفة السويدي، محمد ابراهيم البكر، عيسى بن أحمد بن حارب، حمد بن عبدالله بن عمران، الحاج يوسف خوري، احمد بن عبدالله، ارحمة بن عبدالله، علي بن عبدالله بن عويس، سعد بن ابراهيم بن ربيعة، عبدالله بن سلطان عويس، سلطان بن محمد عويس، حمد عبدالله العويس [١٤].

الهوامش :

(١) مقابلة شخصية مع علي التاجر أجريت في دبي بتاريخ ١٥/٦/١٩٩٣

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر نص الرسالة والمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع في كتاب الأوضاع الاقتصادية في امارات الساحل، منشورات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

(٤) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٥) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٦) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٧) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(٨) مقابلة مع علي التاجر ١٥/٦/١٩٩٣

(٩) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(١٠) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(١١) للمزيد من التفاصيل، انظر د. محمد الفارس، الأوضاع الاقتصادية في امارات الساحل .

(١٢) وثائق غير منشورة R/15/4/13

(١٣) محمد الفارس، الأوضاع الاقتصادية في امارات الساحل (دولة الامارات العربية المتحدة حاليا) منشورات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية – ابوظبي

(14) Records of the Persian Gulf Pearl Fishries ,vol.3,P.567

صدر عن سلسلة «كتاب الخليج»

(١) العلاقات الخليجية - الأمريكية.
(٢) الخلل السكاني في الإمارات خلال ٣٠ سنة.
(٣) د. حسين غباش، الإمارات والمستقبل.
(٤) العلاقات الخليجية - الخليجية.
(٥) سعد محيو، العرب والعولمة والتحضير للقرن الواحد والعشرين.
(٦) د. مطر أحمد عبدالله، الخلل في التركيبة السكانية لدولة الإمارات العربية المتحدة وطرق علاجها.
(٧) عبدالغفار حسين، هموم وطنية.
(٨) يوسف أبو لوز، شجرة الكلام.
(٩) د. يونان لبيب رزق، وداع قرن واستقبال آخر.
(١٠) ياسين سويد، القرن العشرين: حروب وثورات غيرت وجه العالم.
(١١) حوارات القرن: شخصيات فلسطينية وأردنية.
(١٢) حوارات القرن: شخصيات يمنية.
(١٣) د. يوسف الحسن، شجرة الذاكرة: تأملات في الثقافة والحوار.
(١٤) د. يوسف الحسن، كلام على الهواء: كلام في الهواء.
(١٥) د. عبدالرزاق فارس الفارس، التربية والتنمية.
(١٦) كلوفيس مقصود، العروبة في زمن الضياع.
(١٧) محمد ابراهيم النقبي، المفاوضات العبثية (الفلسطينية - «الإسرائيلية»).
(١٨) د. حسين غباش، الجزر الإماراتية في الوثائق البريطانية.
(١٩) د. حسن مدن، تنُّور الكتابة.
(٢٠) أسامة عبدالرحمن، شظايا: في الفكر والتنمية والوطن.
(٢١) د. محمد فارس الفارس، دراسات في تاريخ الإمارات

هذا الكتاب

تعاني المكتبة العربية من نقص حاد في الدراسات التاريخية المتعلقة بمنطقة الخليج بصفة عامة، ورغم وجود كم هائل من الوثائق البرتغالية والهولندية والبريطانية، ووثائق الشركات الاستعمارية ، إلا أن الدراسات التي تتطرق لمختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال فترة تمتد لأكثر من خمسمائة عام منذ وصول البرتغاليين لمنطقة الخليج، بقيت قليلة، وتعتبر الوثائق البريطانية أفضل مادة تاريخية لمؤرخي التاريخ الحديث والمعاصر.

وأثناء قراءتي لبعض تلك الوثائق، وجدت أنه من الضروري إطلاع القراء على بعض الأحداث التي مرت بها منطقة الخليج بصفة عامة، والإمارات بصفة خاصة، فنشرت أربعة موضوعات في جريدة الخليج استندت في مادتها على الوثائق والرسائل المحفوظة في الأرشيف البريطاني، كان الموضوع الأول بعنوان "موقف الإنجليز من بدء التعليم النظامي في الإمارات في الخمسينات".

والموضوع الثاني بعنوان "السيطرة الأجنبية على الاقتصاد وأثرها على التركيبة السكانية". أما الموضوع الثالث فكان بعنوان "الإدارة البريطانية في منطقة الخليج" وجاء الموضوع الرابع بعنوان "رسائل الحكام والتجار المحفوظة في الأرشيف البريطاني".

لقد تفضلت جريدة الخليج بنشر هذه الموضوعات في كتاب ليسهل على المهتمين بدراسة تاريخ الإمارات والخليج الوصول للمعلومة بسهولة، والاستفادة من المادة المكتوبة ومصادرها، متمنياً أن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة التاريخية.



د. محمد فارس الفارس

- دكتوراه دولة في العلوم الإنسانية والاجتماعية - شعبة التاريخ بدرجة امتياز من جامعة تونس عام ١٩٩٩ عن اطروحته "الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل خلال الفترة من ١٨٦٢م إلى ١٩٦٥ (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً)
- ماجستير تاريخ من جامعة القديس يوسف، بلبنان عام ١٩٩١ عن رسالته "التجمعات القبلية ودورها في تكوين الوحدات السياسية في الخليج خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر".
- دبلوم الدراسات العليا في الآداب من جامعة القديس يوسف عام ١٩٨٩.

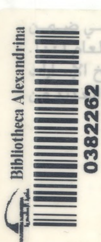
ليسانس آداب قسم التاريخ، جامعة القاهرة ١٩٨٤.

- نشرت اطرحة الدكتوراة من قبل مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية عام ٢٠٠٠.
- يعمل حالياً رئيساً لقسم الجودة بوزارة التربية والتعليم، وباحثاً مشاركاً بمركز الوثائق والدراسات بديوان رئيس الدولة.

-عمل مدرساً مشاركاً بجامعة الامارات وجامعة الاتحاد برأس الخيمة.

- فاز بجائزة أفضل باحث محلي ضمن فعاليات معرض الشارقة للكتاب لعام ...

نشر العديد من المقالات عن تاريخ ... في جريدة الخليج، كما شارك في ... الندوات.





وحدة الدراسات - دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر

دولة الإمارات العربية المتحدة - ص. ب : ٣٠ الشارقة هاتف: ٥٥٩٨٧٧٧ - ٦ - ٩٧١+ فاكس: ٥٥٩٩٣٣٦ - ٦ - ٩٧١+

e-mail : rsu@alkaleej.co.ae